رحیل آدم

الكتاب: رحيل آدم
المؤلف: محمد جاد
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
تدقيق لغوي: هدير جودة
رقم الإيداع: 2019/27403
الترقيم الدولي: 978-977-778-202-9

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

مُحَمَّدُ جَاد

رحيل آدم

رواية

نون
للنشر
والتوزيع

الفصل الأول..

كثير منَّا يعشق أن يعيش ماضيه أكثر من أن يفكر في مستقبله... كثير منَّا يعشق الذكريات المسببة فقط لإحياء مشاعر قد ماتت... كثير منا يعشق قصة حب قديمة يتمنى لو ترجع مرة أخرى فقط ليصحح ما حدث بها من ضرر... هل تسآلت يومًا لماذا كل هذا العشق للماضي؟

شمس مشرقة, أشعة قويَّة هابطة على اليابسة, تراب وقليل من الرياح أدت إلى ملئ المكان برائحة التراب, وكأنَّك تقف بجانب شخص مدخن فتتنفس دخان سجارته وتتشبع ملابسك برائحة دخان سجائره, ولكن فى موقف آدم تشبعت ملابسه برائحة التراب ورائحة كفن زوجته ممزوجة بذلك الطعم المالح الذي يجري في حلقك نتيجة تلك الدموع المحبوسة بداخلك, المعروفة بدموع الوداع الأخير لأغلى الأشخاص عندك.

انتهت مراسم الدفنة... انطلق آدم على سيارته مع ابنته بعد أن وقف بكل فخر ليستقبل تعازي الناس له... ببدلته السوداء والمنديل الأحمر المفضل لدى جيهان, مخبئ دموعه خلف عداسات نظارته الزرقاء المحاطة بشنبر ذهبي اللون على شكل نصف دائرة.... بَدَء المقرئ في قرائة بعد آيات القرآن على المتوفية, تلك المراسم الأساسية التي يفعلها العاملون في الترب التي تحولت مصدر كسب للمال, فينقسمون إلى شخصين, الأول يرتل الآيات القرآنية والآخر ينتظره حتَّى ينهي ما

يرتله، ويبدأ في توعية الناس على الزكاة وقيمتها في حياتنا ونتيجتها في آخرتنا, فيبدأ الناس في إخراج ما يقدر عليه ويعطي ذلك الرجل لإسكاته.

صوت دق الشاكوش على الحديد, وانطلاق شرارات لحام الحديد لجسيمات السيارات, سلاسل رفع موتور السيارات, صوت الماشة لتوضيب حجر صبي القهوة لشيشة إحدى المعلمين صحاب الورش المجاورة للقهوة الخارج منها أغاني أم كلثوم ودندنة الصنايعية لها, يلحقهم صوت ملعقة طبق الكشري وتوصية إحدى العاملين في المطعم للرجل الواقف لتوضيب أطباق الكشري بصوته العالي.

تجلس بنت تتسم بوجهٍ أبيض نقي, في وسطة عيون واسعة بنية اللون, تتوسطهما أنف طويلة صغيرة الحجم في نهايتها شفايف حمراء صغيرة الحجم ذات ضحكة مميزة, داخل إطار شعر بني غامق ناعم متوسط الطول, أمام شاب طويل بملامح مصرية أصيلة, بشرة أمحاوية بلون التراب الممزوج بالقليل من المياه, تتوسطه رموش كثيفة تحدد عينه السوداء -ليست واسعة أو ضيقة- تتوسطهما أنف كبيرة بعض الشيء, في نهايتها شارب كثيف يليه شفايف كبيرة مِمَّا تجعله كثير الكلام, يتميز بشعر قصير ناعم الذي يظهر أذنه متوسطة الحجم. طلب كل منهم طلبه وذهب ذلك الصبي بصوته الجهير ليرسل الطلب إلى ذلك الرجل المسئول عن تحضير الطعام خلف صواني المكرونة, العدس الأسود, الأرز, البصل, وحلة الصلصلة.

دقائق ووصل طلب تلك الترابيزة, التي لمْ يتوقفْ أحد عن النظر إليها بسبب أفعال تلك البنت, وكأنَّك ترى فرحة طفلة صغيرة عند تركها في مكان جديد مليء بالألعاب فتتوغلها فرحة كبيرة تجعلها مليئة بالطاقة فتظل تنظر يمينها وشمالها مرسومة على وجها ضحكة تجعلك تبتسم أنت الآخر لما وجده من براءة وحب

للحياة, فكانت قادرة على تحويل ملامح صاحب المحل إلى ضحكة في وسط شنبه الكثيف دون أي نظرة شهوة بفعل ذلك الفستان الذي ترتديه.

فجأة تحولت ملامح المنطقة الصناعية إلى ملامح معركة مليئة بالدماء بين إحدى عمال الورش وإحدى العاملين بالمطعم... مِمَّا أدى إلى تغيير مكان المعركة إلى المحل والورشة, فقام العمال بتخريب الورشة, وبدورهم الصنايعية بكتسير محل الكشري وقلب الصواني على الأرض, فهرع الناس من داخل المطعم إلى الشارع بعد فترة من الوقت, نجح الشارع في تفرقة طرفي الخناقة عن بعضهم البعض بعد الكثير من الخسائر والقليل من قطرات الدماء على أطراف محل الكشرى, وملابس الصناعية في الورش, وفي وسط تلك التفرقة ظهر صوت ذلك الشاب وهو يحمل تلك من الأرض على كتفه, فجلس ليحضتنها بعد أن وجد فستانها الأبيض المليء بالورود مختلفة الألوان إلى فستان أحمر بعد أن وجد قطعة زجاج تحت رئتيها على جهة اليمين. هرع بها بمساعدة إحدى الرجال في الشارع ليأخذه في سيارته إلى أقرب مستشفى, فور وصولهم إلى مدخل المستشفى انطلقت إحدى الممرضات في حملها على السرير المتحرك لتدخل بها إلى غرفة العمليات.

ذلك الشعور عندما يرهق جسمك من البكاء, وتغرق عينيك في بحر دموعك مِمَّا تجعل رؤيتك للمكان مهزوزة وغير واضحة وأنفاسك الخارجة والداخلة كسرعة تنفس الفهد بعد سعيه وراء إحدى فرائسه, فتجعلك غير قادر على تنفيذ أي حركة, فسرعان ما تجد نفسك مُلْقَى على الأرض أو أن تكون كمثل المسمار الثابت في خشبة غير قادر على تحريك خصلة شعر نتيجة للصدمة, كان هذا أبسط وصف لذلك الشاب فور دخول البنت تلك الغرفة, ولكن سرعان ما تغيرت ملامحه عندما رأى وسمع صوت باب الغرفة في الفتح فهرع إلى الدكتور...

- الشاب: أيووووه... يا دكتور طمني أبوس إيدك.

- الدكتور: حضرتك تعرفها؟

- الشاب: أنا خطيبها.

- الدكتور: إحنا بس محتاجين ننقلها دم علشان هي فقدت دم كتير منها, حضرتك فصيلتك إيه؟؟!

- الشاب: فصيلة دمي "O".

- الدكتور: طب ممتاز, اِتفضل معايا، علشان نبدأ بسرعة في عملية نقل الدم.

- الشاب: في أمل يعني يا دكتور...؟

- الدكتور: إن شاء الله خير... بسرعة بس علشان ننقذ ما يمكن إنقاذه.

هرع الشاب إلى داخل الغرفة, مزق قميصه وأعطى دراعه إلى الممرضة, فطلبت منه بعد الإجراءات السريعة خوفًا من عملية نقل دم ملوثة, بعد ثواني اِنتهت من الإجراءات وبدأت في عملية نقل الدم من الشاب إلى الفتاة.

كان الشاب مستخدمًا كل حواسه, فكانت أذنه تنصت لصوت جهاز القلب, وعينه على ملامح تلك البنت وكأنَّه أول مرة يراها في حياته لمْ يعطِ أي انتباه إلى وجود الدماء على وجها واِختفاء نص وجها تحت جهاز التنفس, كل ما كان يريد أن يراه تلك العيون, بالرغم أنَّها كانت مغمضة ولكنَّه لن يقدر أن ينسى رسمة تلك العيون البريئة المليئة بالحب والحنان, أدت إلى رسم ضحكة غير مفهومة على وجه مِمَّا أدت إلى تعجب الممرضة بجانبه, وأيضًا كانت حاسة التذوق حاضرة عند تذوقه كمية الدموع بإملاحها المتشبعة داخل حلقه, أخيراً حاسة اللمس التي جعلته لم يفارق يديها طوال عملية نقل الدم.

مرت دقائق بعد عملية فصل الدم, نظرًا لحالته أجبرت الممرضة على عدم تحركيه من مكانه. في نفس لحظة وقوفه على رجله سمع صوت ثبات جهاز القلب

على نغمة واحدة مع ثبات الخط المرسوم, فوقع كوقوع طفل في أول تجربة له على المشي, فظل يزحف محاول التقرب من السرير بمحاولة إحدى الممرضين في الغرفة, حتَّى وصل إلى طرف السرير تمسك فيه حتَّى وقف على رجله بصعوبة, وعند فصل الممرضين للأجهزة هرع في مكانه ويظل يمسك الأجهزة ويرفض فصلها عن البنت.

- الشاب: إيييييه... محدش هيفصل الأجهزة, فين البت... بت... البتاااااع بتاع القلب ده... أيووووه ده... اِعمله عليها وأكيد هي هتفوق. لا هي مامتيتش... أنا لسه عملها عملية نقل دم, طب لو عايزة نقل دم تاني... أنا مستعد... اِعمل أي حاجة بس هي متموتشي... مينفعشي أصلًا تمووت... أنتو لو شوفتو ضحكتها والله ما هتخلوها تموت... وأنت ما تفصلشي أي حاجة... فين السماعة بتاعتكم أكيد لسه في نفس... لا هي مامتشي... ده مقلب منها أصلها بتحب تعمل فيا مقالب... قوومي بقى المقلب ده بايخ أووى... يا دكتووووووووور... ما تشغلوو البتاع ده.

- الدكتور: أنا آسف يا فندم. بس مفيش حاجة في إيدي أقدر أعملها.

- الشاب: مفيش إزاي... أمال دكتور إزاي.؟.. والدم طيب اللي أنا نقلتو, معملمشي أي تأثير... هي بس بتحب تهزر, لو اتفقت معك وأنا برا إنكو تعملو فيا مقلب, قولها قومي بقى.

- الدكتور: يا فندم مفيش لا مقلب ولا أي حاجة.

- الشاب: ماتقومي بقى... مايبقاش دمك تقيل... دا أنا حتَّى عملك مفاجاة, جبتلك الفستان اللي أنتِ عايزاه, مع إنِّي مش موافق؛ لأنه عريان حبتين, بس موافق عليها, أهوو أديني وافقت أهوو. قومي بقى يلا...

- الدكتور: أنا آسف يا فندم, بس حضرتك لازم تخرج دلوقتي...

الشاب في لحظة رفع الملاءة على وجها: إنتووو بتعملو إييه, محدش يغطيها,

قومي بقى يا كارولين... هي هتقوم دلوقتي أنا عارف وتضربني على كتفي زي ما بتعمل بعد كل مقلب... وتطلعلي لسانها الرفيع ده المستفز وتقولي عليك واحد... وأنا أرجع أضربها على كتفها وأقولها مرضوضلك!...

يقبلها على وجنتيها بعد إن عرف وصدق أنَّها انتقلت إلى مكان آخر, وأخذت روحه معها, لم تكن كارولين مجرد بنت جملية تتسم بالجمال في وجهة نظر آدم, في منظوره كارولين كانت مثل الماء في حياتنا, لا ترى ولا تشم ولكن الحياة بدونها معدومة...

رجع آدم من شروده بعد أن دخل السيارة بجانب ابنته رَحِيل التي ظلت تنادي عليه أكثر من مرة... فرد عندما ضربته على كتفه.

- آدم: أيووووه يا رولينا!!!...

- رحيل: هي جي جي جالها السرطان ليه يا بابا...؟؟

- آدم: الدكاترة قالو أنَّها تشبعت من الكيماويات اللي كانت عندها في المصنع فاتصابت بيها.

- رحيل: يعني أنا مش هيجيلي السرطان وراثة يعني زي ماما.

- آدم يأخذها في حضنه: لا يا حبيبتي بعد الشر عليكِ, مفيش لا وراثة ولا أي حاجة.

- رحيل: جي جي وحشتني أووي يا بابا.

- آدم بكل حزن!: وأنا كمان جيهان وحشتني أووووي.

انطلق آدم ورحيل إلى المنزل لتجهيز نفسهم لمراسم العزاء في المسجد بعد المغرب... عاش آدم مهندس الميكانيكا وجيهان دكتورة الكيماويات لإحدى أكبر

شركات الأدوية في مصر, حياتهم كلها ل(رحيل) ابنتهم الوحيدة المتخرجة من كلية إعلام. أصابت جيهان بمرض السرطان في آخر فترات حياتها نظرًا لظروف وظيفتها, حاولت أن تصارع المرض ولكن الرب -سبحانه وتعالى- أراد لها شيئًا آخر.

بعد وصولهم المنزل على الساعة العاشرة مساءً, لم يقدر آدم أو رحيل إلى نطق كلمة واحدة, فانطلق آدم إلى غرفته لينام بملابسه على السرير... فيجد رحيل تلاحقه لتساعده في خلع جزمته ومن ثمَّ النوم في حضنه وصوت البكاء يعلو منها...

الفصل الثاني

صباح مشرق, زقزقة العصافير, صوت حركة أوراق الشجر, تلك الرائحة الخالية من أي شوائب أو عوادم السيارات. ارتدى آدم بدلته الكحلي ووضع منديل جيهان الأحمر الذي لم يقدر أن يغارد المنزل من دونه, قبله كالعادة ووضعه في جيب الجاكيت وانطلق إلى مكان عمله, وهو في طريقهِ في إحدى إشارات المرور تلقى مكالمة تليفونية على هاتفه النقال, بأن يأتي لمستشفى الفلكي الدولية للأهمية.

سلالم بيضاء يتوسطها سور أزرق, وعلى يمين السلالم يوجد مزلقان يتحرج عليه ممرضان يجريان بسرير إلى داخل المستشفى حاملًا بنت في منتصف عمرها والدماء تكاد تغرقها ويجري خلفهم شاب في منتصف عمره والدموع تكاد تغرق عينيه من كثرة البكاء, يمران عبر باب زجاجي ذو إطار أزرق, يفتح أتوماتيكا لتجد نفسك محاط بجدران نصفها أزرق وأبيض اللون ممزوجة برائحة البنج وبعض أنواع الأدوية, وتوجد زهريات لشجر بلاستك على يمين وشمال الممر المؤدي إلى عاملة الاستقبال, تقف العاملة ببدلتها الرمادي وقميص أبيض لترحب بآدم, في اللحظة التي اختفى فيها السرير والولد والممرضان, تقدم آدم إلى عاملة الاستقبال...

- آدم: لو سمحت أنا جاي بخصوص حالة دكتورة (جيهان مختار).

- عاملة الاستقبال بعد أن تنظر في دفاترها: اه يا فندم, حضرتك هتمشي آخر الممر في يمين غرفة 106.

وفي طريق آدم للغرفة الغرفة وجد تلك البنت الملطخة بالدماء وذلك الولد يقف بجانبها ملقى على الأرض وهو يحاول الوقوف على رجله, دخل آدم غرفة 106 ليجد سيدة ذو وجه أبيض بعينان ضيقتان سوداء اللون تحتها تجاعيد دلالة على كبر سنها, وأنف تكاد تكون مختفية لصغر حجمها وكبر خدودها, التي ينتهي عندها فم صغير ذو شفايف رفيعة حمراء اللون, داخل إطار شعر أسود مختفي تحت غطاء الرأس الشفاف الذي وجب عليها أن تلبسه بدلًا من حجابها, دخل آدم مناديًا اسمها (جيهان)، وقبلها من رأسها كما يفعل فترسم على وجها ابتسامة تظهر فمها بين حدود خدودها الحمراء اللون, فتجعل آدم بدوره يبتسم وكأنَّه مرآة لها. ثواني ويدخل الدكتور ليخبر آدم عن حالة (جيهان) فيطلب منه الانتظار هنا قليل حتَّى يرجع من غرفة الأشعة, يقترب آدم على (جيهان) في اللحظة التي أشارت له فيسمعها تقول: ياريت متجبشي سيرة لرَحيل إنِّي عندي السرطان. خرجت جيهان من الغرفة والسرير يتحرك بسرعة في ممر المستشفى فهرع آدم خلفها.

غروب الشمس, رمال صفراء اللون, صوت موج البحر التي تنتهي على الشط بذلك اللون الأبيض فترجع إلى البحر وتترك أثرًا إلا وهي الفقاعات, يقف آدم ينظر إلى نفسه في وسط هذه الفقاعات بعد إن ظل يجري لمدة طويلة, يرفع عينه أمامه بعد أن يتحسس نفسه فيجد نفسه مرتديًا شورت أسود وقميص مليء بنخل البحر أصفر اللون, فيجد أمامه كارولين في فستانها الأبيض الطويل مزخرف بالورود الزهرية بحاملات رفيعة, تقف فجاة وهي ممسكة بيديها جزء من الفستان فتظهر جزء من رجلها اليمنى البيضاء الرفيعة وكأنَّها عارضة أزياء خالية من أي شوائب, تتوغل صوابعها رمال البحر.

- كارولين: إيه هتفضل واقف عندك كده... إنت لحقت تتعب من الجري ولا إيه؟... شكلك كبرت يا دومة.

- آدم بتعجب: كارولين.

- كارولين: أيوه كارولين... مالك مستغرب كدة ليه؟... يلا علشان نلحق العيال قبل ما يروحو.

- آدم: كارولين.

- كارولين: هو إنت عليك عفريت اسمه كارولين... يلا بينا...

يكمل آدم جري خلف كارولين, والابتسامة على وجه وهو يظل يكرر اسم كارولين... بدرجة صوت أعلى في كل خطوة, حتَّى يجد نفسه ملقى على الرمال والموجة تأتي لتسحبه في وسط البحر, فيكمل منادته على كارولين, ليجد فجأة أحدهم يمد له يده.

- رَحيل: باباااا... اصحى يا باباااا.

يقف آدم مسرعًا عندما يكتشف أنَّه ملقى على الأرض فيقف على رجله ليجد نفسه مرتديًا نفس ملابس أمس, البدلة السوداء ذو المنديل الأحمر.

- آدم: هو إنتِ هنا من امتى؟

- رَحيل: يووووو... أنا هنا من ساعة لما بتقولها لا متخافيش يا جي جي... وبعد كدة لقيتك عمال تقول كارولين... كارولين وصوتك بيعلى وفجأة لقيتك وقعت زي الجردل على الأرض كده!...

- آدم: إيه يا بنت زي الجردل دي؟!...

- رَحيل: مش قصدي يعني ياسي بابا... آسفة...

- آدم: ماشي هعديهالك المرة دي... هي الساعة كام؟

- رَحيل: حضرتك الساعة 6 المغرب.

- آدم: يا نهار أبيض, كل ده وأنا كنت نايم.

- رَحيل: شوفت إزاي... هو إنت كنت بتحلم بمين جي جي ولا كارولين؟

- آدم: والله يا رولينا مش عارف.

- رَحيل: طب جي جي وعارفها ماما الله يرحمها... لكن كارولين تبقى مين, شكلك كنت شقي وبتلعب بديلك يا سي بابا!...

- آدم: بنت وبعدين... وكمان أنا أقدر ألعب بديلي مع جي جي بردو... دي كانت مثال للوفاء والتضحية...

- رَحيل: ماشي يا سي بابا... أنا هعديها بس دلوقتي وهنبقى نشوف حوار كارولين دي بعدين... هنروح من بعد فين يعني!

- آدم: امشي يا بت من هنا, خليني أخد دوش وأنزل اِعملنا أي حاجة تتاكل.

*** بعد مرور ستة أشهر...

انتقل آدم ورَحيل إلى منزل جديد بعد معاناة من قبل رَحيل في قناعه في البقاء في منزلهم القديم في المهندسين ولكنَّه لمْ يكنْ قادر على تحمل العيشة في أرجاء المنزل وإحدى أسسه -جيهان فى وجهة نظره- لمْ تكنْ موجودة. عاش آدم, جيهان, ورَحيل في هذا المنزل قرابة منتصف عمرهم في المهندسين جزيرة العرب تحديدًا عاشو أجمل سنين حياتهم, بالطبع كانت مليئة بالحب والكراهية والقليل من بعد الاعتراضات التي تنتهي بتضحية إحدى الطرفين والموافقة على رأي الآخر الذي يكون الأصح. في وجهة نظر رَحيل آدم وجيهان والديها كانو أفضل زوجان, كانت تتمنى دومًا أن تعيش حياتهما, وأيضًا كانت تتمنى أن تعرف أمها على شريك عمرها الذي لم يظهر بعد.

بعد مشاوير البحث عن شقة جديدة ومشاوير نقل العفش من المهندسين

إلى أكتوبر مدينة الشيخ زايد تحديدًا, انتهى آدم ورَحيل من هذه المشقة, مرورًا بمشاوير المحكمة وتحويل ميراث جيهان إلى حساب رَحيل. تَغير المكان وتَغير كل شيء حول آدم إلَّا تلك الغرفة التي يحتفظ فيها آدم بكل ذكرياته بدءًا من أيام الجامعة وظهور تلك البنت في حياته كارولين إلى اليوم الذي يعيشه, كان آدم متحفظًا جدًا في قوانين هذه الغرفة, فعند دخوله هذه الغرفة ممنوعًا منعًا باتًا أن يخبط عليه أحد, أو يحاول أحد الدخول خلفه مع أنَّه لم يغلق الغرفة ولو لمرة واحدة بأي نوع من الأقفال, الوحيدة التي كانت متاح لها الدخول هي جيهان.

لمْ تكنْ جيهان لآدم الزوجة المطيعة وشريكة حياته فقط, بل كانت أكثر بكثير من ذلك, كانت بالنسبة له رمز الوفاء والتضحية في الحياة فأي السيدات تقدر على تحمل العيش مع رجل بعقل ملك لها وحدها وقلب تشاركها في إحدى السيدات. لمْ تكنْ مشاركة فقط بالاسم ولكن مشاركة بذكريات وأحداث لم تنتهي. عند دخوها مع آدم إلى هذه الغرفة كانت ترى الغرفة مليئة بأشياء تخص آدم وكارولين, وذكريات الطفولة, وذكرياتهم من أول لقاء لهم حتَّى ولادة وتربية رحيل, حتَّى تلك الدفاتر, وشرائط الكاسيت, التي لم يكتفِ آدم في التكلم أو الكتابة عن مدى تحملها له, وقيمتها في حياته, وتقديره لها.

عاش آدم وجيهان حياتهم في بناء أسس البيت على قوانين كثيرة من أهمها المساواة ما بين الرجل والمرأة في المنزل, لوهلة سوف تتعجب من هذا القانون هل يوجد فعلًا هذا الرجل الذي سوف يقبل هذا القانون تقسيم مسئولية المنزل على الرجل والمرأة بمعنى أنَّه سوف يساعد في تنظيف المنزل، والطهي وتوضيب البيت مع زوجته, ولكن إذا كان وجود سيدة تتحمل ما تحملته جيهان فسوف تجد ذلك الرجل الذي يتقبل قانون المساواة, لهذا لم يدخل المنزل خدامة لمساعدة أي منهما

في توضيب المنزل, ونتيجة ذلك استمر آدم ورَحيل في توضيب المنزل الجديد حتَّى انتهو من هذه الرحلة الشاقة فانتهى اليوم بدخول كل منهم إلى غرفتهم للراحة, ذهبت رَحيل إلى غرفتها للنوم وأخذ قسط كافيًا من الراحة, على عكس آدم الذي كانت راحته تكمن في دخوله غرفة (صول) كما كان يدعوها.

تتشابه ذكرياتنا في شكل السحابة البيضاء في يوم صافي المناخ, يختلف شكلها في وجهة نظر كل منا, ولكنها سوف تبقى سحابة غير قابلة للمس منتظرًا اختفائها من أمامك بفعل دوران الكرة الأرضية.

باب بني غامق اللون ذو مقبض ذهبي مدور, في منتصفه تجد لوحة حديدة مستطيلة ذو خلفية زرقاء محاطة بخط أبيض اللون ومكتوب في منتصفها (صـول)، ويندرج تحتها ثلاث كلمات أخرى مكتوبة بخط اليد: "المشاركة, الثقة, التضحية". تنقسم الغرفة إلى ثلاثة أقسام, أو كمان يدعوها آدم ثلاثة خزانات, في منتصف الغرفة تجد لوحة كبيرة في منتصف الحائط موقعة باسم جي جي.

عند دخولك الغرفة وغلقك للباب سوف تجد أنَّها لن تسع إلَّا لثلاثة أشخاص كحد أقصى. وعند التفافك جهة اليمين سوف تجد ترابيزة عليها مفرش أحمر, توجد صناديق مرتبة بجانب بعضها البعض, أحدها يحتوي على شرائط كاسيت كل شريط عليه تاريخ واسم المناسبة, وآخر يحتوي موسوعة من إسطوانات لأغاني مختلفة شرقي وغربي, وصناديق أخرى تحوي الكثير من الخطابات, في نهاية الترابيزة سوف تجد جرامافون قديم الطراز عند تحريك عينيك إلى فوق قليلًا سوف ترى ثلاثة أرفف مرصصة على شكل هرمي مقلوب, أول رف يحتوي على دفاتر كثيرة مختلفة الأحجام والشكل, الأرفف الأخرى يوجد بها إحدى الزخارف, تماثيل, وبعض أنواع الفخار قليل منها مكسور.

أمَّا إذا التفت إلى جهة اليسار سوف تجد مكتبة كتب كبيرة على شكل حلزوني,

تحتها يوجد كرسي طويل مكسو بجلد أبيض يعلوه أباجورة ذو أرجل سوداء رفيعة, خلف الكرسي مباشرة مكتب وكرسي صغير عليه ورق وعلبة حبر وقلم ريشة.

وضع إحدى الأسطوانات المفضلة لديه على الجرامافون, وأغلق النور لتظهر تلك النجوم في سقف الغرفة بلونها الفسفوري, التي رسمت على وجهه ابتسامة لطيفة جعلته يستلقي على الكرسي الأبيض بهدوء, مَدَّدَ رجله ووضع ذراعه خلف رأسه، ونظر إلى السقف.

سور أبيض وبوابة حديدة كبيرة, تدخل من خلالها كثير من السيارات للباحة الواسعة لتقف مرتبة واحدة تلو الأخرى أمام بوابة المسرح. الكل في ملابسهم الأنيقة وروائح العطر المعمقة قويَّة التأثير. ينزل من السيارات سيدات مع أزواجهن وأُخريات مع الخدمات أو الأقارب, وبعض الشباب يدخلون معًا بدون وقوف لأي سيارات. نظرًا لكثرة العدد والزحمة المنظمة تكاد تسمع حديث كل الحاضرين في نفس الوقت مِمَّا يجعلك وكأنَّك تسمع لغة غير مفهومة, ملحوقًا بأصوات فلاشات كاميرات المصورين.

تهذب آدم في ملابسه عند مدخل البوابة وقف منزهلًا للمنظر مِمَّا أدى بعض السيارات إلى رفع صوت البوق ليأخذ جنبًا عن طريق, ابتعد آدم ودخل إلى البوابة في دوره مع الحاضرين منتظرًا دوره في الدخول. ذهول آدم لم يكن فقط في دخوله المسرح ولكنَّه كان في دخوله لأول مرة حفل لأم كلثوم, ولكنها لمْ تكنْ أي حفلة, كانت حفلة من أهم حفلات الموسيقى العربية. حفل لقاء السحاب -المقصود به لقاء أم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب- حفل كان الجميع في انتظاره بدء من الفلاحين إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

عند البوابة وقعت إحدى السيدات الكبار عند صعودها السلم, فبدأ كل من

الحاضرين في مساعدتها, فانتهى المطاف بإعادة ترتيب الطابور مع الحفاظ على دخول السيدة الكبيرة أولًا.

فستان أسود بدون أكتاف بسيط في قصته, يوجد في منتصفه شريط ذهبي اللون على جانبه فيونكة. تتوغله فتاة في مقتبل العمر بيضاء البشرة ذو شعر بني غامق ناعم في تسرحية الستينات, متحلية بعقد لولي على رقبتها الناعمة الواقعة بين فراغ عظمتي الترقوة. تعدل شعرها الناعم بيديها المغلفتان بجاونتي أسود شفاف. وقعت حقيبتها السوداء الصغيرة على الأرض, فهرع آدم ليجلبها كنوع من الإتيكيت إلى كارولين.

تأتي بعض الشخصيات في حياتنا لإضافة بعض معاني لكلمات في معجم مشاعرنا, فمنهم من يحمل ترجمة لمشاعرك الخفية التي تأتي فقط عند رويتك له فتتغير معالمك وتصاب بشيء ما مجهول المصدر, فيصيبك بشللٍ مؤقت مصاحبًا معه ارتفاع في دقات القلب يؤدي إلى التزام الصمت خوفًا من فقدانك هذا الشعور فتضاف كلمة جديدة في معجمك إلا وهي (شلل مستلذ).

هكذا كان آدم عند رؤيته لكارولين, على الرغم من أنَّه لم يكن من هؤلاء الناس المؤمنين بالحب من أول نظرة ولكن ذلك الشلل أصابه أصابة رصاصة قاتل مأجور محترف لإحدى ضحاياه, أكمل كل منهم طريقه في الدخول إلى باحة المسرح.

كراسي حمراء منظمة في وسط المسرح الدائري, ستائر حمراء مغلقة, قاعة سقفها مذهب بالزخارف الفنية, وعلى كل جنب يوجد صالات منفردة لأصحاب المقام العالي.

رؤيتك لطفل يخطو أول خطوة له بعد محاولات كثيرة من السقوط, هكذا كان آدم عند دخوله القاعة أنظاره كانت مركزة فقط على هدف واحد حتَّى استقر

هذا الهدف فبدأ آدم في البحث عن مقعده وجد صعوبة في الدخول إليه بسبب الزحمة والرجل المسن الجالس بجانبه.

كان آدم أكثر شخصية مميزة في فعل المقالب في الناس من مختلف الأعمار في العائلة والأصدقاء. وفي صمته الذي استقر لدقائق فور جلوسه على مقعده كان تفكيره مشغول بفكرة مقلب جديدة حيث تكون مجال لفتح حديث مع كارولين بفستانها الأسود.

ارتسمت على وجه ابتسامة الانتصار؛ بسبب إيجاد المقلب المناسب. يتميز آدم بذاكرة قوية في تذكر الأرقام, فلمْ ينسَ آدم رقم لوحة تلك السيارة التي خرجت منها كارولين والخادمة. هرع آدم من مقعده مسرعًا إلى خارج المسرح قبل بداية الحفل وتسلل إلى باحة ركن السيارات يبحث عن تلك السيارة, حتَّى أن وصل إليها ليفعل شيء ما في السيارة بفعل دراسته لهندسة الميكانيكا في صمت حتَّى لا يراه أحد ليعود بسرعة إلى مقعده داخل المسرح.

انتهى مقدم الحفل حسين شاش من مقدمته في اللحظة التي فتحت فيها ستائر المسرح. التزم الجميع الصمت، وبدأت أصوات التصفيق تعلو في المسرح. بدأت أم كلثوم حفلتها بأغنية "كل ليلة وكل يوم". حتَّى انتهت منها وبدأت دخلة موسيقى لأغنية "أنت عمري" التي طال انتظارها شهور من قبل الحاضرين، والكثير من المستمعون على الراديو.

صمت لجزء من الدقيقة بعد الانتهاء من أغنية كل ليلة وكل يوم. ثمَّ بدء عازف التشيلو وحيدًا في العزف حتَّى تدخل معه عازفو الكمان في المقطوعة ثمَّ تلاهم عازف الجيتار الكهربائي... عمَّ الصمت في المكان في بداية العزف إلَّا أن عبر الجمهور عن رأيه بالتصفيق الحار والعالي مِمَّا أدى الفرقة إلى إعادة العزف من

البداية, في المرة الثانية لمْ يكنْ آدم مثله مثل الجمهور منتظر أن يسمع المعزوفة مرة أخرى, بل كان مركز مع كارولين على أمل أن تلتف لأي سبب ما ولكن طول انتظاره لم يجلب له النتيجة المطلوبة.

وقفت أم كلثوم بفستانها الشيفوني الأخضر زتوني, تتحلى صدره بفصوص من الكريستال, مع اختفاء البروش الماسي من على صدرها في هذه الحفلة. فانتشر التصفيق مرة أخرى لها. حتَّى بدأت بأول كلمات الأغنية:

"رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا...

علموني أندم على الماضي وجراحه...

اللي شفته قبل ما تشوفك عنيه...

عمر ضايع يحسبوه إزاي عليَّ...".

في لحظة لم يتوقعها آدم وجد كارولين تلتف إلى الخلف برأسها, مع خلفية صوت أم كلثوم ركز آدم كل نظراته مع ملامح كارولين حتَّى التقط عيناهم معًا, لمْ يرمشْ آدم عينيه خوفًا من أن تبتعد هي الأخرى, ثواني والتفتت كارولين إلى المسرح بضحكة خفيفة. بالرغم إنَّها كانت مجرد ثواني ولكنها كانت أكثر بكثير بالنسبة لآدم. ولم تكن هذه آخر مرة لالتفاف كارولين.

على الرغم من إنَّها كانت أول وآخر مرة لحضور آدم حفلة لأم كلثوم ولكنَّه كان ينتظر انتهاء الحفل في أسرع وقت للخروج إلى باحة ركن السيارات وافتتاح ذلك الحديث الذي طال اِنتظاره أكثر من ساعة. فعند انتهاء الحفل انطلق آدم على باحة السيارات واقفًا على بعد مسافة 20 متر من سيارة كارولين, منتظرًا قدومها هي والخادمة.

صوت خبط على الباب سريع, مِمَّا أدى إلى وقوف آدم منفزعًا من على كرسيه الأبيض الجلد فتغيرت ملامح الابتسامة من على وجهه إلى ملامح عصبية اختفت فور وجوده رَحيل أمامه حاملة له الصينية عليها الفطار.

- رَحيل: والله العظيم الأكل كان هيقع من إيدي فعلشان كدة كنت بخبط على الباب بسرعة.

- آدم بابتسامة: هو ده فطار ولا عشا.

- رَحيل: فطار ياسي بابا... ناموسيتك كحلي ياسي بابا... إيه كل النوم ده.

- آدم: هو أنا كنت نايم من إمبارح كل ده؟!

- رَحيل: شوفت بقى إزاي!. أنا أصلًا قومت أدور عليك في كل البيت ماعرفتش إنك هنا غير لما لقيت اللمبة منورة.

- آدم: ماشي يا أم لسانين.. صباح الخير... عاملنا فطار إيه؟

- رَحيل: صباح النور.. انت شايف إيه قدامك يعني!

- آدم: طب الفطار ده مش عاجبني... وامشي دلوقتي من وشي بلسانك ده.

- رَحيل بعصبية مرسومة عليها ضحكة خفيفة: باباااااا... هتأكل يعني هتأكل... هستناك على الترابيزة... ما هو مش بعد التعب ده وهأكل لوحدي, مش يجوز يطلع الأكل وحش.

- آدم: يجوز! لا وعلي إيه, حاضر يا فندم. ممكن بس أغسل وشي وسناني.

- رَحيل: أوكي أوكي هشفعلك في دي... بس ننجز.

- آدم: هو إيه اللي ننجز ده يا بت أنتِ... امشي اسبقيني على الترابيزة بدل ما أجيبك من شعرك... ربابة ناقصة!.

- رَحيل: ماهي ربايتك!... هو أنا هجيبه من برا.

- آدم بصوت عالي: امشي يا بنت الكلب من هنا.

تجري رَحيل مغادرة باب غرفة صول, وانطلق آدم إلى الحمام وملاحقتها إلى المطبخ على الترابيزة للفطار. علاقة آدم ورَحيل لمْ تكنْ مثل أي علاقة بين أب وبنته, فرَحيل اعتادت أن آدم لمْ يكنْ فقط الوالد, بل إنَّه الصديق المقرب والأخ الكبير, تستشيره في كثير من الأمور بدءًا من قرارات حياتها حتَّى الأمور المتعلقة بالحب, حتمًا سوف تخبئ بعض القرارات والأحداث. أحد قوانين الترابيزة في بيت آدم ممنوع جلوس شخص واحد على الترابيزة وهو يأكل وحيدًا, الأكل في جماعة والكل يساعد في نظافة المطبخ. قوانين وأسس لو تربينا وترعرعنا عليها كانت جديرة بتغيير مجرى حياة الكثير.

وصل آدم إلى الترابيزة وعند وصوله بدأ في تحضير الشاي لنفسه والنسكافيه لرَحيل كما تحبه سكر خفيف, نسكافيه تقيل مع لبن والقليل من الماء. انتهى من تحضير المشروبات واتجه إلى الترابيزة حاملًا الكوبان في يده.

- رَحيل: يا جمالو يا ناس وهو بيعمل الشاي والنسكافيه, والله تتحسد.

- آدم بتريقة: يا جمالو يا ناس وهو شكله منعكش على الصبح.

- رَحيل وهي تنظر لنفسها: دي أقل حاجة عندي... ماشوفتش أنت الزعرورة.

- آدم: ما علينا... المهم عملتي إيه في حوار المعرض بتاعك ده؟

- رَحيل: والله يا دوم دوم مش عارفه لسه عماله أفكر في فكرة للمعرض بتاعي ده.

- آدم: طب مش كنت دخلتك كلية فنون بدل إعلام وأديكِ اشغلتي بشهادتك...!

- رَحيل: لو كنت دخلت فنون ماكنتش هشتغل بيها بردو, مين فينا بيشتغل بشهادته يا دوم دوم.

- آدم: أنا هو اِتخرجت واشتغلت مهندس في أكبر مصانع في مصر وألمانيا.

- رَحيل: ودلوقتي فاتح مطعم وكافيه, وكلنا الحمد لله مبسوطين.

- آدم: طيب وبعدين يا لمضة...!!

- رَحيل: هات بس حتة جبنة رومي من جنبك كده، وواحد فينو من آخر الترابيزة حياة عيالك, وكوباية النسكافيه بقى... يا سلام عليك, تسلم إيدك.

- آدم: اتفضلي يا ستي... إيه الطفاسة دي على الصبح!

- رَحيل: إنت هتعد الأكل عليا يا دوم دوم... ده حتَّى على رأي المثل طباخ السم بيدوق.

- آدم: ماشي يا أم لسانين.

- رَحيل: ماشي إيه. ما تفكر معايا هنعمل إيه في العملة السودة اللي أنا فيها دي... أنا قدامي بتاع كام شهر كده علشان افتح المعرض, وحضرتك مسيتني ومعلي الضغط عليَّا في المجهود.

- آدم: الله بنتي وواثق في قدراتها... طب بصي!

- رَحيل مقاطعة: هاا بصيت.

- آدم: يا رخامتك يا شيخة... المهم إيه رأيك لما يكون المعرض عبارة عن صورة واحدة بس متقطعة؟

- رَحيل: بص هو أنا مش فاهمة أووي بس واضح إنَّك هتقول كلام عميق... قول يا سي بابا.

- آدم: يعني تبقى لوحة واحدة كبيرة بس إنتِ رسما كل جزء لوحده وبتشرحي إنتِ اللوحة... وتبقى هي دي فكرة المعرض بتاعك.

- رَحيل: لا لا مش حلوة... فكر في حاجة تاني علشان أنا لازم أمشي دلوقتي حالًا... مفروض الواد سلامة مستنيني في الشارع بقاله حبه علشان هنروح نصور القلعة ونشتغل عليها كلوحة في المعرض... يلا سلام.

يجلس آدم على كرسي خشبي أمامه ترابيزة مدورة الشكل حولها خمس كراسي آخرون, يوجد على الترابيزة ثلاثة أنواع من الجبن, نوعين من العيش توست محمص وفينو, يمسك الجريدة ويقرأها كعادته كل صباح وبجانبِهِ كوب الشاي الشفاف المزخرف بخطوط ذهبية اللون. تقترب منه سيدة في مكتمل العمر تمسك منه الجريدة وتجري في أرجاء المنزل حتَّى وصلت إلى غرفة ما.

تنقسم الغرفة إلى أربع جوانب جانبين مدهونين بدهان لبني فاتح والآخريان دهان رمادي اللون, عند الجانب الرمادي توجد ترابيزة خشبية متوسطة الارتفاع فارغة من الأسفل يتوسطها موتور وخارج منه عصا حديديَّة, تنتهي بأسطوانة دائريَّة فوق الترابيزة مليئة بالطين الرمادي اللون. وحول تلك الأسطوانة الكثير من فتات الطين, وأشكال وأحجام لبعض الأواني الفخارية. تمتلئ الغرفة بالكثير من الأواني الفخارية مختلفة الأحجام والأشكال وعند إحدى زوايا الغرفة يوجد الكثير من الطين الناشف مغطى بقطعة قماش بيضاء اللون. دخلت جيهان الغرفة ممسكة يد آدم والفرحة على وجها وهي تحاول أن تشرح له كيفية عمل تلك الألة وأنَّها صنعت الكثير من الأواني الفخارية, كعادته آدم يتبسم عند رؤيته لجيهان والفرحة مرسومة على وجها. اقتربت من إحدى الأواني الفخارية لتعطيها لآدم كانت كوب مج منحوت عليه اسمه آدم...

آدم محدثا نفسه: وحشتني يا بنت اللذينة... فراقك ماكنشي سهل عليَّا, أنا آسف

على كل حاجة عملتها معكِ ضايقتك مني... آسف لو يوم زعلتك مني يا أحن وأحلى صدفة قابلتها في حياتي... وبنتك اللمضة مطلعة عيني عندها معرض قريب, بس البت حضرت فطار إنَّما إيه عالمي تربيتك بقى يا أحلى جي جي في قلبي...

أنهى آدم غسيل المواعين وانطلق على الكافيه ليلتقى شريكه زكريًّا مرعي لمناقشة بعد الأمور الإدارية الجديدة.

الفصل الثالث

من منا لا يعشق تلك المتاهة التي لا يعرف نهايتها ولكنه يحب دخولها, متاهة بلا ملامح ولكننا نريد أن نُكمل معتمدين على حدثنا وإحساسنا, تلك المتاهة التي يتمنى البعض أن يغتنم الفرصة لزيارتها, تلك المتاهة التي تحدد أحد أسس حياتنا المستقبلية.

كعادتها رَحيل في صباح يوم السبت تلبس زيها الرياضي لتذهب وتمارس رياضة الجري في ضواحي الزمالك بدءًا من شارع أبو الفداء لتنتهي عند ميدان أم كلثوم بعد لفة كاملة. حضرت رَحيل الفطور لها ولآدم ورنت ذلك الجرس الصغير دلالة على ميعاد الفطور. عادة غريبة في منزل آدم, ولكن هذا المنزل مليء بالأشياء والأشخاص الغريبة الطباع فليعتبر هذا الجرس مجرد إضافة صغيرة لتأكيد غرابة هذا المنزل اللطيف.

رجل طويل القامة، ذو بطن كبيرة, بشرة بيضاء, أكتاف عريضة مليئة بالعضلات وبعض من الترهلات الدهنية, وجه صغير وأعين ضيقة شعر قصير ويتزين وجهه بدقن الدوجلاس, مرتديًا شورت قصير كاروهات أحمر وأزرق, وقميص فوقي قصير الكمين أبيض مرسوم في وسطه شفايف امرأة خارجة لسانها. خرج هذا الرجل من غرفة الضيوف بكل هرع وفزع فور سماعه لجرس الفطار وكأنَّه سمع صوت انفجار قنبلة في المكان. حاول كل من آدم ورَحيل تهدئته, حتَّى انتهى الأمر برش

آدم له بكوب من الماء على وجهه, وكأن طفل صغير يلعب في الرمل ولكن حظه تعسر فاستقبل موجة من البحر جعلته يهداء ويجلس على الرمال صامت, هكذا كان رد فعل زكريًّا مرعي صديق آدم المقرب.

- آدم: مالك يا زكريًّا في إيه؟!

- زكريًّا بصوته الغليظ: هو إيه اللي فى إيه, إيه يا عم الشغل ده, جرس ودي بتنادي عليك وأي كأنَّها واقفة على الجبل...

- رَحيل: إيه دي... اسمي رَحيل.

- زكريًّا: لم بنتك بدل ما أقوم أكلها هي كمان.

- آدم: اِصتبح وقول يا صبح... دي حتَّى عملانا فطار.

- رَحيل : اااه والله يا أونكل زيكو.

- زكريًّا: زيكووو... خلاص سامحتك علشان زيكو دي... أنا هروح أغسل وشى وأجي أفطر معكو, ممكن بس بعد إذنك كوباية القهوة بتاعتي مظبوطة وبوش, زي وشك السمح ده...

- رَحيل: من عنيا يا أونكل زيكو.

- آدم: اتكل على الله, مش وقت معكسات على الصبح.

بعد أكثر من أربعين سنة عشرة ما بين آدم وزكريًّا, لم يعرف آدم هل زكريًّا يمشي وهو نائمًا أم هل يتصنع ذلك, أم هو فعلًا يخشى أصوات الأجراس بسبب كرهه للمدرس الذي كان يضربه في الابتدائية, فعند سماعه هذا الصوت يستمر في الجري وكأنَّه يهرب من ذلك المدرس. آدم وزكريًّا لم يكونوا مجرد أصدقاء مرت عليها الكثير من السنوات فأصبحت عشرة صعب أن تنسى. ولكن آدم وزكريًّا فى عبارة أخرى يكونوا بنك أسرار كل منهم للآخر, مِمَّا استقر بهم الحال في فتح كافيه خاص بهم.

جلس الجميع على الترابيزة للفطور وشرب القهوة والشاي, والعصير بالنسبة إلى رَحيل. كان الحديث مكمل لإحدى قضايا الكافيه في الإدارة. ولكن فجاة قاطعتهم رَحيل, متسائلة أي منهم سوف ينزل معها للجري في شوارع الزمالك. وكأن رَحيل فجاة ذهبت للصحراء فمن مدة شدة الصمت بدأت في سماع صوت الرياح, هذا ما حدث فور سماع كل من آدم وزكريًّا سؤال رَحيل...

- زكريًّا: بس القهوة مظبوطة تسلم إيدك يا رولينا...

- آدم: خلي بالك رولينا عندها نفس عصبية أمها جيهان.

- زكريًّا: جيهاااان... إذا كان كده, شوفي أبوكِ بقى هو بيحب الجري.

- آدم: اه... اااه... لا مش هينفع اِنهارده أصل أنا مفروض هقابل النجار علشان التجديدات اللي في الكافيه.

رفعت رَحيل حواجبها دليلًا على عصبيتها وأنَّها على وشك الانفجار فيهم, فاقتنع زكريًّا إنَّه المختار في الجري مع رَحيل يوم السبت. انهى فطاره وانطلق كل من رَحيل وزكريًّا إلى الزمالك.

بعد مدة طويلة في البحث عن مكان لركن السيارة, بدأ كل من رَحيل وزكريًّا في الجري في ضواحي الزمالك. كما هو الحال تبدأ الدورة من عند ساقية الصاوي مرورًا بشارع الزمالك من تحت الكوبري, حتَّى ترجع مرة أخرى إلى شارع أبو الفدا بعد أن تمر من عند مكتبة ديوان.

هدف نزول رَحيل للجري اليوم لم يكن مخططًا فقط كنوع من الرياضة. كانت تريد معرفة حقيقة تلك السيدة التي تظن أنَّها عشيقة والدها آدم, وهل هما على علاقة حتَّى الآن. وفي وسط مرحلة الجري بدأت في تساؤلات محورية بطريقة غير مباشرة إلى زكريًّا, زكريًّا اصتنع عدم الفهم وأنَّه متعب ويريد الراحة بسبب

سنه, مع العلم أنَّه يتميز بجسم رياضي؛ نظرًا لأنَّه يذهب إلى الجيم ثلاثة أيام في الأسبوع مع آدم.

- رَحيل: طب من الآخر كده يا أونكل زكريًّا, مين كارولين؟!

- زكريًّا مترددًا: هاا... كارولين.!! أنا مش فاهم أنتِ بتكلمي عن مين.!

- رَحيل: أونكل زكريًّا... أنت فاهم قصدي كويس أووي... هو بابا بيخون ماما...!!!

- زكريًّا: لا لا لا... خيانة إيه... لا طبعًا ماحصلشي الكلام ده.

- رَحيل: طيب أمال مين بقى كارولين...؟!

- زكريًّا: طب أنتِ ليه ماسئلتيش أبوكِ نفسه.

- رَحيل بتريقة: سألتو وماردتش عليا... أنا بقالي فترة مش فاهمة مين دي وأوقات بعيط مع نفسي لإني بجد خايفة لأحسن يكون بابا كان بيخون ماما.

- زكريًّا: طب واحدة واحدة... بصي يا ستي.

بدأ زكريًّا يحكي لرَحيل عن أول لقاء لآدم وكارولين في حفلة أم كلثوم في مسرح حديقة الأزبكية. بكل تفاصيل الحوار وما كان يدور حوله, وصف لها كم كان والدها مجنون ودائمًا كان متميز في بداية حديثه مع البنات, وعندما ينجذب إلى بنت, لن تقدر على توقع فعله للوصول إلى تلك البنت. كان لقبه في الجامعة نحلة تيمنًا بأنك لا تعرفي أين سوف تستقر تلك النحلة, وأيضًا عند لسعها لكي لن تكوني قادرة على نسيانها, هكذا كان آدم. وإذا لم تعرف آدم يجعلك تعتقد إنَّه متيم في تلك البنت وأنَّه سوف يموت إن لن يكن معها, كان آدم دائمًا مختلف في أسلوب حبه وأسلوب اِنجذابه لأي بنت.

- زكريًّا: بس بقى يا ستي... بعد لما أبوكِ مش فاكر عمل إيه في العربية بتاعت

الأستاذة كارولين, الواد شوقي صاحبنا كان مديله العربية بتاعته, بس نظرًا أن أبوكِ ماكنشي معه فلوس تكفي كبقشيش للراجل بتاع الشوفير فقرر أنَّه هيركن عربيته بعيد عن المسرح, المهم أبوكِ قرر أن هو هيعرض توصيله على الآنسة كارولين للبيت بتاعها علشان يعرف مكانها فين ويبدأ من هنا مغامراته مع كارولين.

- رَحيل: أيوه بس اللي أنت بتقولو ده كده بابا كان حبها من أول نظرة.

- زكريًّا: ده بالنسبة للناس العادية والطبيعية اللي زيينا, لكن أبوكِ كان بيقول عليه انجذاب من نوع آخر.

- رَحيل: نعم ده اللي هو إزاى يعني؟!

- زكريًّا: مش موضوعنا دلوقتي... المهم أبوكِ بقى يا ستي فضل متابع البنت دي لحد لما عرف كليتها وعرف هي بتدرس إيه وعرف كل معلومات عنها ماكنشي فاضل بس غير أنَّه يبدء يتعرف عليها... وبدأ يدخل في المتاهة.

- رَحيل: متاهة إيه؟!

- زكريًّا: متاهة الحب.. مين فينا مادخلشي المتاهة دي مأنتِ عايشة فيها بقالك فترة بس إحنا اللي عاملين عبط شوية!!

- رَحيل: هاا...متاهة إيه؟! وبعدين يا أونكل زكريًّا.

- زكريا: رولينا... أبوكِ عمره ما خان جي جي، وأكبر دليل على ده جي جي الوحيدة اللي كانت بتدخل الأوضة المريبة بتاعت أبوكِ اللي لحد دلوقتي أنا مشوفتهاش.

- رَحيل: مانا عارفة... بس كنت عايزة أتأكد.

- زكريًّا: يبقى اِسئلي تاني وتالت علشان تتأكدي.

تختلف ملابسنا في ألوانها وأشكالها, ولكنها تبقى ساتر لعورتنا... هكذا هو الحب.

أكمل زكريا ورَحيل طريقهم في الجري بعد الاستراحة التي طمأنت قلب رَحيل وأكددت عدم خيانة آدم لوالدتها إلى حد ما وزرعت بداخلها الكثير من التسأولات الجديدة. بعد انتهائهم من الجري أكملوا طريقهم إلى الكافيه الخاص بهم اِحتسوا كوب من القهوة وانطلقوا على المنزل.

لوحة لرجل وبنت يجريان على البحر بملابس رياضية صيفية, بخلفية لسماء وسحب تتوسطها خط برق في السماء, خالية من أي ألوان, تقف بجانبها بنت واضعة فرشاة الرسم في شعرها بعد إن لمته وأصبح على شكل كعكة من الشعر الكثيف الناعم تفكر محاولة إيجاد ألوان مناسبة لتلك اللوحة.

تبتعد البنت عن اللوحة قليلًا محدثة نفسها بصوت عالي قائلة لمْ يكنْ سهل على إيجاد أسئلة لتلك الحيرة التي توغلتني وسيطرت على فكرة أن والدي يخون أمي مع سيدة تتشابه في اِسمي المستعار الذي اِعتاد والدي وكل الناس منادتي به, هل هي عشيقته أم هي زوجته, ولماذا كل هذا التعلق بها حتَّى بعد وفاة والدتى... رسمت تلك اللوحة لأخرج ما بداخلي من مشاعر ولكن لم أقدر على إيجاد ألوان لها كما ترون الآن أمامكم.

- آدم مقاطعًا رَحيل من خارج غرفتها: رولينا... إنتِ بتكلمي حد يا حبيبتي!!

- رَحيل: لا لا مفيش حاجة يا بابا. دانا بحضر كده كلام علشان اللوحة الجديدة اللي رسمتها مفروض هناقشه مع الناس قريب يعني في المعرض.

- آدم: طيب مش عايزة أي مساعدة يا حبيبتي؟!

- رَحيل: توشكر يا دوم دوم... شايلاك للتقيلة.

- آدم: طيب أنا قاعد في الصالون لو اِحتجتي حاجة.

انطلق آدم إلى الصالون ليأخذ قسطًا من الراحة قبل دخوله المطبخ وتحضير كوب من الشوكولاته الساخنة لرَحيل كنوع من التحفيز ومساعدتها في رسم لوحتها.

- آدم: رولينا... أنا عملتلك واحد هوت شوكليت مش ناوية تيجي تقعدي معايا شويَّة.

خرجت رَحيل من غرفتها وفرشاة الرسم ما زالت في شعرها. ذهبت لتغسل يديها ومن ثمَّ رجعت إلى الصالون لتحتسي كوب الشيكولاته مع آدم. بدأ حديث بينها وبين ونفسها هل يجب أن تسأل والدها عن تلك السيدة التي لا تعرف عنها شيء سوى أنَّها كانت حبيبة والدها، وهل هي ما زلت حية أم لا... ولكن شيء آخر طرأ في عقلها.

- رَحيل: بابا... بقولك إيه؟ أنا بفكر في حاجة كدةه وحابة إنِّي أخد رأيك فيها.

- آدم: لا مش موافق.

- رَحيل: فى إيه يا بابا هو أنا قلت حاجة لسه... بكلم بجد والله.

- آدم: الموضوع يخص الحتة الشمال.

- رَحيل: الحتة الشمال مفيهاش غيرك إنت يا دوم دوم.

- آدم: وحياة أمك... عليَّا أنا بردو يا بت إنتِ... هيجي وقته الموضوع ده.

- رَحيل بتردد: أيوه المهم... بص يا سيدي... أنا دلوقتي المعرض قسمته تلت أقسام... القسم الأول عن لحظات تاريخية عدت على مصر، وقسم عن المشاعر المختلفة، وقسم تاني عن مناظر طبيعية.

- آدم: حلو ده، أنا مطلوب مني إيه دلوقتي!

- رَحيل: لو كان صبر القاتل على المقتول...

- آدم مقاطع رَحيل: كان مات لوحده... إيه يا بت اللماضة دي!

- رَحيل: مش إنت يا بابا علمتني لما حد يكون بيكلم مش من الذوق أن اللي قدامه يقاطعه احترامًا للشخص اللي بيكلم.

- آدم: اتفضلي كملي أنا آسف.

اكتمل الحديث ما بين رَحيل وآدم حتَّى انتهى باقتراح آدم إلى الذهاب للمطبخ وتحضير غداء لهم هم الاثنين حتَّى يحكي لها عن إحدى لحظات مصر التاريخية كما طلبت منه رَحيل. مصر مليئة باللحظات التاريخية التي صعب أن تنسى على عكس حالنا الآن فكل ما صعب أن ننساه الآن ظروفنا المعيشية وكَم المعاناة التي يجب أن نمر عليها فقط لنعيش ونوصل إلى أسهل مطالبنا ألا وهي الاستقرار.

رَحيل: بقولك ايه بص انا هعمل الفتوش, وانت اعمل المكرونة والشيش طاووق, بس ابووس ايدك , خف ايدك على الشطة..

- آدم: هو في أحلى من الشطة.

باب بني يفتح للداخل، عند دخولك سوف تجد البوتاجاز، بجانبه الثلاجة، وبقية المطبخ سوف تجد دولايب وأدراج لحفظ المعالق والأطباق وكل ما يلزم للمطبخ. مساحته تسع لأربعة أشخاص يتحركون فيه بحرية كاملة. يقف آدم جالس على الترابيزة المواجهة للثلاجة يحضر الشيش والخضار في الأسياخ، وأمامه جيهان تحضر المكرونة والصلصة الحمراء يهرع آدم من مكانه مِمَّا أدى إلى قلب جزء من الشيش على الأرض.

- جيهان بكل عصبية: مين اللي هيمسح اللي إنت عملته ده.

- آدم: ومين اللي هيأكل الفلفل ده.

- جيهان بكل لطافة: أنا وإنتِ يا حياتي.

- آدم: ده على أي أساس... دي فيها عملية بواسير حضرتك بعد كمية الشطة دي.

- جيهان: هو في أحلى من الشطة، دي حتَّى فاتحة للشهية.

- آدم: أنا أصلًا مفجوع، فاتح شهية إيه بس... أبوس إيدك خففي الشطة.

- رَحيل: يالهووووي يا بابا على إنت عملته ده، الشيش كله بيقع في الأرض والسيخ في حتة تانية...

- آدم: ومين اللي هياكل الفلفل ده.

- رَحيل: فلفل إيه يا بابا.

ابتسم آدم لرَحيل وبدء يحكي لها عن وقفته مع والدتها في بيتهم القديم وأنَّه كان دائمًا يعترض على كمية الشطة المضافة في الأكل، فكان في كل مرة يعترض يجب أن تحدث حادثة ما في المطبخ أشهرهم تلك التي أوقع فيها نصف كمية الشيش، بعد أن انتهى بهم المطاف في الذهاب للغداء خارج المنزل، وإعطاء المكرونة طعامًا للكلاب الذي يربيه بواب العمارة قبل ذهابهم للعشاء في إحدى المطاعم المشهورة.

- رَحيل: هو إنت يا بابا عرفت ماما إزاي؟!

- آدم: بصي هي قصتي أنا وجي جي متتحكيش، تتعاش بس... مليانة بحاجات وحكاوي كتير أووووي محدش هيقدر يصدقها ولا يستوعبها.

- رَحيل: طب ما تجربني مش يمكن أصدقها... يلا بقى يا بابا.

- آدم: بصي يا ستي الحكاية بدأت في مطار ميونخ سنة 1979...

يدخل رجل في بداية سن الثلاثينات يرتدي جاكيت كحلي، قميص أبيض بخطوط طويلة لبنية اللون، وبنطاله بيج فاتح ينتهي بجذمة أنيقة جلد بني. تليه

سيدة في آواخر العشيرنات ترتدي بنطال قماش أسود، قميص بني فاتح وجاكيت قصير أسود بخط أبيض عند اللياقة وإزرار بنية فاتحة اللون. يقترب كل منهم إلى باب الدخول إلى المطار، يعبرون من بوابات المراقبة ويضعون شنطهم واحد تلو الآخرى. كانت العجلة تبدو على كلا منهم مِمَّا أدى إلى تبادل شنطهم المتشابها في اللون مع اختلاف بسيط في أطراف الشنطة.

بعد لحظات من انتظارهم في طابور استخراج التذكرة ووضع الشنط على الوزن. اكتشف آدم وجيهان الاختلاف في الشنط. بابتسامة ظهرت على كل منها تبادلو الشنط بسلام، وانطلقوا إلى ساحة الانتظار بعد أن طلبت جيهان أن يكون كرسيها بجانب كرسي آدم مع عدم إخبار آدم وإظهار فيما بعد أنَّها مجرد صدفة.

بدأت الرحلة في الصعود، واكتشف آدم بالصدفة بوجود جيهان بجانبه. لم يقتنع آدم بنسبة كبيرة أنَّها صدفة ولكنه أعجب بالفكرة والفعل الذي حدث، ابتسم ابتسامة جعلت جيهان كافية لتغادر مكانها من كثرة الإحراج الذي رأته في عيون آدم. كانت جيهان تتميز بقرءاة لغة العيون بنسبة عالية جدًا، ولأن آدم كان يشاركها نفس الموهبة نادرة الوجود عند البشر، كان يتلاعب معها بنظرات عيونه فكانت هي الأخرى تستجيب لتلك النظرات، وأدت إلى انتشار الضحكة وبعد الارتياح من ناحية الطرفين نظرًا لوجود تلك اللمعة التي تجعلك بدون إرادة ترتاح لذلك الشخص، لم تغادر جيهان مكانها.

- رَحيل: لا شقي يا دوم دوم.

- آدم: شقى إيه بس... دي أمك كانت مطلعة عيني... قعدنا نحكي بقى ساعتها ما هي الرحلة كانت طويلة وكان في ترانزيت كتير... المهم سيبني أكمل بقى.

كان آدم في أوقات فراغه يخرج تلك العلبة البلاستك الحمراء الصغيرة مستطيلة الشكل، ومربعات على الوجه أبيض وأسود موضوع عليها قطع الشطرنج

الصغيرة. كان دائمًا يحب أن ينمي عقله ويجعله دائمًا نشيط. وفي تلك اللحظة اكتشف تدخل جيهان في وسط اللعبة عارضة عليه لعبة للذكرى. فاز آدم في أول مرة بينهم بعد إن استمرت اللعبة أكثر من نصف ساعة، وضحك تلك الضحكة المميزة بعد الفوز.

- رَحيل: إيه الرخامة دي... يعني الست أول مرة تلعب معك تكسبها، ما تعديها يعني.

- آدم: بس يا بت إيش فاهمك إنتِ... لو هي كانت كسبت أول مرة ماكنتشي هتوافق إنَّها تلاعبني تاني... وساعتها لغة الحوار كانت هتقف، لكن لما أنا كسبتها وضحكت باستفزاز خلاها عايزة تتحداني تاني، وده أدى إن لغة الحوار ما بينا ما تخلصشي.

- رَحيل: أووووو... لا عجبني فكرك.

- آدم: عيب عليكِ هو أنا بتاع طرشي بردوو...

- رَحيل: دانا أنت طلعت سهون.

- آدم: بنت احترمي نفسك.

- رَحيل: أنا آسفة مش قصدي.

مع بداية الدورة الثانية للشطرنج. بدأ آدم أن يلعب دور المحقق مع جيهان سأَلها في كثير من الأسئلة سنها وتاريخ ميلادها، وهي لم تكن منتبهة إنَّها جالسة على كرسي الاعتراف، كل ما كان يهمها أن تكسب المبارزة معه في هذه الدورة. في تلك اللحظة تحولت جيهان الحاصلة على دكتوراه في الكيمياء إلى طفلة ذو خمس سنوات في نظر آدم نظرًا لتركيزها في الفوز.

- رَحيل: طب وكسبت تاني مرة.

- آدم: لا بردو... بس في آخر اللعبة قبل ما أقولها كش ملك، بدأت تحس إنَّي بستجوبها، فبدأت ترد على قد السؤال أو ما تردش أصلا... فرحت قفلت اللعبة وكسبت تاني مرة، وطلبت منها إنِّي محتاج أنام، وطبعا هي ماباقتشي عارفه مفروض تعمل إيه غير إنَّها تقبل طلبي وتسبني أنام.

- رَحيل: إيه الرخامة دي... الولية كانت فاتحة قلبها وبتكلم، إنت تقفلها كده.

عند وصولهم في أول استراحة ترانزيت ذهبوا إلى إحدى الكافيهات لاحتساء القليل من القهوة والشاي وأكل كرواسون. فجأة في حالة صمت، تحرك آدم من مكانه ليجلب جريدة من المكتبة المقابلة لهم. وأخرجت جيهان ورقة بيضاء كانت مطوية داخل حقيبتها وقلم رصاص وممحاة. بدأت في الرسم كنوع من أنواع هوايتها التي تخرجها من أي ضيقة أو إحراج كما هو حالها... كان آدم بدوره يحاول أن يسرق نظرة من بين الجريدة محاولًا أن يعرف ماذا تفعل، ولكنه لم يفهم شيء، لحظات مضت وتقدم آدم لسؤالها عن أي شيء مثل التوقيت، وكم باقي من وقت الاستراحة؟

- رَحيل: طبعًا كنت هتموت وإنَّها تفتح حوار.

- آدم: اااه بصراحة. أصل أنا خلاص كنت اِتكلمت كتير في الطيارة يعني.

- رَحيل: ها وإيه اللي حصل... اِتفضل طبق السلطة خلص.

- آدم يتذوق: ناقص ملح.

- رَحيل: ابقى حط تاني براحتك، المهم كمل.

لم يحاول آدم أن يتحرك من مكانه أو يحاول أن يتكلم مع جيهان. بدأ آدم أن تظهر عليه ملامح التوتر بدأ من ضيقته خلف الجريدة، حتَّى هزة رجله التي

لم تقف ولو لثانية واحدة، سرق آدم نظرة من خلف الجريدة وجد الابتسامة على وجه جيهان الناظرة له، فعندما التقات أعينهم معًا، تعصب آدم ورجع إلى جريدته.

- رَحيل: طبعًا كان شكلك وحش أووووي لما اِتقفشت.

- آدم: المشكلة مش في النظرة خالص.

- رَحيل: أمال في إيه، إيه اللي حصل يا واااالدي.

في تلك اللحظة التي رجع فيها آدم للنظر إلى جريدته وقفت جيهان وبكل ثقة والضحكة مرسومة على وجها مسكت الجريدة لتعدلها لآدم؛ نظرًا لأنها كانت مقلوبة مِمَّا أدى إلى إحراج آدم في تلك اللحظة ولكنه حاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه.

- رَحيل: أوباااا على الكسفة اللي إنت فيها يا دوم دوم... طب وعملت إيه؟؟

- آدم: عادي جدًا بكل ثقة قولتلها ده تدريب للمخ إني أقرأ بالمقلوب.

- رَحيل: طب وهي مازنقتكش وقالتلك إيه اللي كنت بتقرأه.

- آدم: للأسف عملت كده.

- رَحيل: وعملت إيه؟

- آدم: ماهو أنا كان بقالي أكتر من ربع ساعة ماسك الجرنال، قريت أول خبر ودماغي صدعت، روحت شرحتلها الخبر.

- رَحيل: عاااش دوم دوم... لا والله تستاهل بووووسة قرب عليا هنا!

أقبل آدم على رَحيل، احتضنها ومن ثمَّ ذهب إلى الفرن ليتحقق من نضج الشيش طاووق، كان انتهى آدم من الصلصة وسلق المكرونة. بدأت رَحيل في تجهيز الطاولة لهم. وبدأ آدم في تجهيز الأطباق وإخراج الشيش طاووق من الفرن.

- رَحيل: وبعدين بقى إيه اللي حصل؟

- آدم: وريتني اللوحة اللي كانت بترسمها، وبعدين طلعنا الطيارة وكملنا كلام لحد لما وصلنا مصر، اقترحت عليها إنِّي أوصلها، واتفقنا أننا هنتقابل في جروبي بعد يومين.

- رَحيل: طب مافيش أكل.

- آدم: طب قومي شوفي مين اللي بيرن الجرس.

- رَحيل: لا مش قايمة دي رنة أونكل زكريًّا. وأنا كمان جعانة.

- آدم: رولينا... قومي افتحي الباب مش هكررها تاني.

كما توقعت رَحيل. دخلت تجري على الترابيزة محاولة أن تلحق أكبر قدر ممكن من الطعام قبل دخول زكريًّا إلى حلبة الطعام، خصوصًا وأنَّه يعشق أكل آدم. فمنظر طبق الشيش طاووق المزين بالفلفل ألوان والبصل، وطبق المكرونة الإسباجتي المزينة بورقة نعناع في وسطها. وأخيرًا طبق الفتوش المزين بالعيش المحمص. أحضرت رَحيل طبق لزكريًّا كما أمرها آدم.

- زكريًّا: الفتوش دي عمايل البت دي صح؟

- رَحيل: ماتقوليش يا بت... اِسمى رولينا.

- زكريًّا: طب هاتى الطبق يا لمضة..

- رَحيل: يعني أنا كده مش هعرف بقيت حكاية جي جي يا سي بابا.

- زكريًّا: أوباااا، جي جي والمطار واللوحة بتاعت الواد اللي كان قاعد في المطعم ده تقريبًا.

- رَحيل: إيه ده إنت عارفها طب والنبي اِحكيها يا أونكل زيكووو.

لم يسمتع زكريا لطلب رَحيل نظرًا لعشقه للأكل. عمَّ الصمت على الترابيزة وأكمل كل منهم وجبته حتَّى انتهو منها. ذهب كل من زكريًّا وآدم إلى الصالون لمشاهدة إحدى المباريات الأوروبية، بينما أكملت رَحيل غسيل المواعين، وتحضير الشاي لمشاهدة المباراة معهم. ودائمًا ما تحدث مشاكل بسيطة نظرًا لأن رَحيل تشجع الفريق المنافس لزكريًّا.

الفصل الرابع

هل تسألت يومًا عن سبب ظهور بعض المشاعر لأحد ما, وعن حقيقة تلك المشاعر؟, هل تسألت يومًا ما نوع هذه المشاعر التي تحاول أن تخفيها لسبب ما لا تعرف مصدره؟, هل تسألت يومًا ماذا يعني الاشتياق؟, هل تسألت معنى ابتسامة شريان القلب عند الانقباض؟, تسأولات إجابتها تكون ظهور شخص ما أمام عينيك ولو لثانية...

ممر واسع على يمينه جنينة خضراء يوجد بها أنواع مختلفة من النخل والأشجار الصغيرة, وعلى اليمين تماثيل مفرغة مصنوعة من الحديد لأشكال مختلفة من الحيوانات, وبعض الآلات الموسيقية. بعد تلك التماثيل المنتشرة بأسلوب عشوائي في الساحة, يوجد مبنى على اليمين أبيض اللون تخرج منه مدخنة ورائحة طعام شهية, وفي نهاية الممر يوجد مبنى آخر مكون من دورين مصنوع من الزجاج الشفاف مع وجود بعض الأعمدة البيضاء على مسافات متباعدة كنوع من أحد أسس المبنى.

يقف على الباب الخارجى شاب في مقتبل العمر, مرتديًا جاكيت جلد أسود, قميص أبيض وبنطلون جينز أزرق. تبدو عليه ملامح التواهان ومعه على الهاتف أحد ما يحاول أن يشرح له المكان. يستمر في التحرك حتَّى وصل إلى المبنى الزجاجي اِقترب من رَحيل، ولكنَّها لم تكن مسافة مناسبة للتواصل. أغلق هاتفه عندما قابل أحد الأصدقاء له.

- أسر: إيه الأخبار يا بيكاسو؟!

- عمر: يابني بطل تريقة بقى... وكمان إنت إيه اللي أخرك, رولينا هتنفخك!

- آسر: اسمها رَحيل... مفيش يابني والله بس تهت فى الطريق.

- عمر: أهي جيالك أهي... استلقى وعدك... استأذن أنا بقى.

- رَحيل: أهلًا... متأخر ساعة يا أستاذ!!

- آسر: أنا آسف والله يا روكا... بس تهت في الطريق وكلمت عمر وصفلي الطريق... شكلك حلو على فكرة في الفستان.

- رَحيل: طب مانا عارفه.

- آسر بتكشرة: وبالنسبة للظهر؟

- رَحيل: والله كنت لابسه الجاكيت جوا بس علشان الحركة كتير اِتحريت فقمت قلعته وسبته على الكرسي أول لما أدخل هلبسه على طول.

- آسر: وحشتِني يا لمضة!

- رَحيل بخجل!: وإنت كمان... كان نفسي تبقى موجود معايا من الأول.

- آسر: أنا آسف والله... وصلتو لفين.

- رَحيل: أول ربع خلص... بس إيه رأيك... عمر وشهرزاد عاملين مجهود معايا حلو أوي.

- آسر: بيكاسو بصراحة شغله بيعجبني, وشهرزاد رسمها تحفة بصراحة, وفستانها حلو بردو.

- رَحيل بعصبية: طب نتلم ولا نقل أدبنا قدام الناس, وبلا برستيج بلا بتاع.

- آسر: بس يا مجنونة اِهدي... بهزر بهزر.

انطلقت رَحيل مع أسر في فستانها بلون دم الغزال قماش بطول يصل إلى السمانة, يتزينه بعد الورود الشفافه في ربع ظهرها مِمَّا يجعله ملفت للأنظار, وترتدي عليه حذاء أبيض بثلاث خطوط حمراء في الجنب, مع تسرحية السنبلة على الجانب الأيمن لكتفها. فور دخولها المبنى اِرتد الجاكيت بنظرة مليئة بالطمأنينة والثقة تتوسطها ضحكة لأسر وحده الذي يعرف ترجمة تلك الابتسامة.

الفصل الخامس

صباح مشرق, تطل شمسه على كافيه آدم وزكريًّا. يدخل شاب في مكتمل العمر, يرتدي قميص كحلي منقط أبيض, وبنطلون قماش بيج. يتقدم إلى المنصة لطلب كوب قهوة ويجلس على إحدى الترابيزات العالية, يترك كوب القهوة ليذهب ويطلب قطعة من الكرواسون المغطى بالشوكولاتة. ينظر إليه آدم نظرات خاطفة وكأنَّه يحاول التعرف عليه, عند اِنتهائه من التفكير اِقترب من زكريًّا ليسأله عن ذلك الشاب.

- زكريًّا: ده باشمهندس أسر ممدوح اللي فاتح دواير في آخر دور في العمارة.

- آدم: إيه دواير ده؟

- زكريا: بص هو مكان كدة, بيعملو في ميتنج للشركات, ممكن تذاكر فيه, وممكن بردو تعمل في أي حاجة رسم مثلا تغني, تمثل... يعنى الحاجات دي.

- آدم: استوديو يعني.

- زكريًّا: أيووووة هو ده... اِستوديو... رولينا بتروحلو كتير ترسم هي وصحابها هناك عنده.

- آدم: أيووه... رولينا بتروح ترسم عنده. بقولك إيه الواد ده مش عاجبني وحاسس إن في حاجة ما بينه وما بين رولينا... هو انهاردة إيه؟؟

- زكريًّا: انهاردة الأربعاء... مالك قافش كدة ليه؟؟

- آدم: مفروض انهاردة إجازة رولينا بس هي ماجتشي علشان عندها اِمتحان أو شغل مع عمر وشهرزاد صحابها في البيت, فأنا نزلت مكانها.

- زكريًّا: طب وأنا ذنب أمي إيه تنزلي معاك!

- آدم: صاحبي يا جدع... المهم أنا عايز أعرف الواد ده... تعالى نفتح معاه أي حديث.

حاول آدم أن يسيطر على فكره ومشاعره تجاه ذلك الشخص الذي سوف يأخذ منه رَحيل, ولكنَّه سرعان ما تحول إلى ثور هائج كل ما يهمه ركل أي شيء يتحرك أمامه بكل قوة عند رويته لآسر... حاول الاقتراب منه ليفتح أي حديث, فتحول إلى ذئب جائع يحاول أن يتقرب من فريسته ليغتنم الفرصة المناسبة والانقضاض عليه فبدأ حديثة عن جودة القهوة ورأيه في خدمة الكافيه, كان آسر في تلك اللحظة كالفريسة التى تحاول أن تهرب بأقل خسائر ممكنة فالتزم الصمت, مِمَّا أدى إلى زيادة فرصة آدم للانقضاض عليه.

فجأة وبدون مقدمات بدء آسر في شعوره بصعوبة في التنفس؛ بسبب توقف بعض من بقايا الطعام فى حلقه عندما سأله آدم عن رَحيل , فاحمر وجهه وبدأ في طلب المساعدة منه... في اللحظة التي كانت أسنان آدم تريد أن تأكل رقبت آسر كنوع من المساعدة في فتح أي نوع من التهوية, ولكنه فكر في احتمالية إنَّه مختلف. ظل آدم يخبط على ظهره ويحاول أن يخرج تلك القطعة من حلقه حتَّى اِقترب زكريًّا بكوب مياه ليشربه آسر, وأخيرا تمَّ إنقاذ الشاب من هجمة آدم الخبيثة.

- آسر:شكرًا... شكرًا جدًّا لحضرتك.

- آدم: عفوًا يابني الحمد لله... المهم كنت بقولك إن رَحيل بنتي بتيجي عندك وشكرتلي في المكان عندك.

- زكريًا: آدم تليفونك بيرن.

- آدم متجاهلًا زكريًا: كنت حابب إنِّي أطلع أشوفوه مرة وإن أمكن إننا نتعرف على بعض وممكن نتبادل منفعة يعني.

- آسر: اه طبعًا يشرفني جدًا... بس معلشي أنا آسف, هي بنت حضرتك يعني عندها شركة فبتجي تعمل عندى ميتنج, ولا هي طالبة!!

- آدم: نعم.. أفهم من كدة إنك ماتعرفشى رَحيل!

- آسر: لا مش واخد بالي بصراحة... أمَّا بالنسبة للبن... هي معمولة حلوة بصراحة, بس البن ذات نفسه مش حلو أوي, محتاج يبقى محوج شوية والحباية تبقى متحمصة أكتر.

- آدم: هي مفروض إنَّها بتيجي هي وصحابها بيحجزوا عندك قاعة من القاعات وبيرسمو فيها.

- آسر: ااه قصد حضرتك البنتين والولد... ااه دي شباب كويسة أووي... ورسمهم حلو, أينعم هما محتاجين شوية مجهود بس هما كويسين.

آدم: مجهود!! واضح إنك مش عارفهم.

- آسر يبتلع ريقه بصعوبة: طب حضرتك أنا لازم امشي, وياريت تشرفني في أي وقت نشرب قهوة من البن بتاعي.

فور خروج آسر من المكان, انفجر بركانين معاكسين لبعضهم البعض, بركان زكريًا من الضحك والسخرية على آدم, وبركان آدم من الغضب. ولكن العجيب في الموقف أن آدم لم يصل لمرحلة كره آسر, ولكن غيرة الأب على ابنته كانت هي

المحرك لانفجار بركان آدم. على الرغم من إنكار آسر لمعرفته برَحيل, عرف آدم أن آسر لم يكن لديه مهارة الكذب.

- آدم: بقى أنا يقولي القهوة مش متحوجة ومش متحمصة.

زكريًّا: لا بس الواد محترم, وشيك في نفسه كده.

- آدم: بصراحة الواد محترم, ولما نشوف القهوة اللي مش عاجباه بتاعته هتبقى عاملة إزاي... دا أنا هقولو كلام.

- زكريًّا: هتقولو ايه يعنى..؟!

- آدم: هقولووو.. هقولو قهوة صايصة كدة والبن مش متحمص.. هاا...

- زكريا: ما علينا يعني, بس بصراحة رأيه في البن صح, إحنا محتاجين نظبط الحباية بتاعت البن, لولا الواد حماصة محدش كان هيطلب قهوة وكنا هنرمي نص البن.

- آدم: إبقى زود اكرامية للواد ده 500 جنيه على مجهوده. يلا أنا هروح أشوف المنيلة على عينها عاملة إيه في الرسم والامتحانات بتاعتها.

- زكريًّا: طيب خلاص انطلق إنت وأنا هكمل هنا انهارده.

انطلق آدم إلى المنزل مفكرًا في اختبار رَحيل إذا كانت تعرف أسر وهل يوجد بينهم شيء. من جهة آدم كانت مشاعر مختلطة ما بين الغيرة على بنته وخوفه من ذلك الشاب, هل سوف يكون قادر على حمايتها واحتوائها أم العكس. مفهوم آدم في تلك المرحلة لم يكن ينظر إلى مبدأ المال والحالة الاجتماعية فكل ما كان يهتم به حبه وحمايته لبنته.

صوت موسيقى عالي, أرضية الطابق الثاني في الفيلا مفروش بمفرش بلاستيك شفاف, كثير من اللوح في كل مكان في الطابق, بعض الأشكال المنحوتة ويجلس كل

من شهرزاد وعمر ورَحيل في أماكن متباعدة منشغلين فى أشيائهم... وقف آدم على مدخل السلالم ناظرًا لهم في تعجب, ولكنه لم يقدر أن يفعل أي شيء غير أن يوقف الموسيقى لمعرفة التكلم مع رَحيل.

- آدم: إيه يا بنتي اللي إنتِ عاملاه ده؟!

- رَحيل: أصل أنا عندي امتحان بكرة في الجامعة, فجبت شهرزاد وعمر يشتغلوا في الرسومات وأنا بذاكر.

- آدم: في الدوشة دي... وعارفة تركزي.

- رَحيل: االاه عادي جدًا... أنا بحب كده أصلًا.

- آدم: طب هو إنتِ مش كنتي عايزة تسئالني في تاريخ مصر.

- رَحيل: اه صحيح... جي جي بقى لما دخلت لحست دماغي... طب حضرتك هتبقى فاضى امتى يا دوم دوم...!

- آدم: أنا فاضي انهارده.

- رَحيل: طب أنا هخلص مذاكرتي في السريع وأجي لحضرتك يا سي بابا.

- آدم: طيب أنا قاعد تحت بقى... ربنا معاكِ وادي الصوت عالي أهو.

انطلق آدم إلى الطابق السفلي, المطبخ تحديدًا... بعد محاولته الفاشلة في اختبار رَحيل ومحاولة التكلم معها في موضوع آسر, وهل توجد بينهم أي نوع من العواطف. أخذ كوبه المفضل المنقوش عليه اسمه بعد إن ملئه بالشاي الأحمر وذهب إلى مكانه المفضل غرفة صول.

أغلق باب الغرفة خلفه, وقف يحدق في زوايا الغرفة ليتذكر كل قطعة فيها, بعض الأشياء رسمت ابتسامة وبعضها رسمت حزن وضيقة, وآخرون أسئلة لم يجد لها جواب حتَّى الآن, من أهمها لماذا هو المختار في فقدان كل شيء يحبه؟... لماذا

يرهق ذهنه في البحث عن تلك الإجابات فلقد مرت السنين ولم يجد إجابة. جلس على ذلك الكرسى ونظر إلى تلك اللوحة المليئة بالألوان. لم تكن لوحة عادية, فأي شخص لا يفقه شيء في الفن عند وقوفه أمام تلك اللوحة يرى فقط جزء واحد من اللوحة قادر على رسم مشاعر ما على وجهه, فتخيل إحساس آدم الذي عاش كل أحداث تلك اللوحة عند النظر لها.

هل تسألت يومًا أيهما مؤشر عمرك سنك أم ذكرياتك؟... السن الذي يكون جينيًا غير قادر على إنتاج خلايا بنفس الكميات ونفس الجودة كما كنت صغيراً... وما معنى منتصف العمر, ولماذا دائمًا نقدر الناس بالأعمار... هل بسبب حبنا للأرقام ومدى تحكمها فينا كبشر, أم هل نخاف من كثرة ذكرياتنا فنتمسك بمبدأ الأرقام... هل تسألت يومًا ما الفرق بينك وبين مديرك... دون النظر إلى الواسطة أو السن, الفرق يكون أن حافظة ذكرياته في العمل مليئة عن حافظتك بسبب مواقف في العمل حدثت معه فاكتسب منها خبرة فأصبح ذات منصب أعلى منك. معادلة العمر لا تتكون فقط من تاريخ ميلادك, ولكن المؤشر الأقوى لعمرك والمتحكم الأقوى هو ذكرياتك؛ لأن ظروف كل منا تختلف عن الآخر, فيمكن أن يعيش أحدهم يومًا واحد مليء بتجارب وذكريات, وأحدهم يعيش نفس اليوم بلا أي ذكريات أو تجارب, ولهذا قرر آدم أن يجمع كل ما أمكن في حفظه في غرفة صول كنوع من تذكر العمر وكم الخبرات والذكريات التي مر عليها, لم يكن الكثير منها ذكرى يتمنى رجعوها, ولكنه يعرف كل المعرفة لولا وجود كل هذه الذكريات كان أصبح شخص آخر.

جلس آدم على مكتبه, فتح أول درج أخرج دفتر بني اللون ويوجد تراب على أطرافه مِمَّا جعل فقط لون الورق بياضه فأصبح أصفر رملي. أخرج القلم من نفس الدرج. قلم أسود تخين مزين بقطع فضة في أطرافه ذو سن عريض خطه أسود.

فتح أول صفحات الدفتر بعناية شديد خوفًا على تمزقه أكثر مِمَّا هو متمزق. كانت أول ورقة ممزقة ويوجد عليها وردة ناشفة بيضاء اللون مبططة وكأنَّها مرسومة على الورقة. أمسك تلك الورقة وذهب إلى الجرامافون وضع أسطوانة لواحدة من سينفونيات بيتهوفن ورجع مرة أخرى على مكتبه والابتسامة مرسومة على وجهه, ومع بداية الموسيقى بدأ يحرك يديه وكأنه مايسترو الحفلة.

يقف شاب أمام المرأة يتعدل في ملابسه ويعدل تسريحه شعره الأسود اللامع, وهو يصفر لمقطوعة أم كلثوم أِنت عمرى. رمى السلام على العائلة وأخذ كتبه وخرج من ذلك الباب الخشبي الطويل الذي يتوسطه زجاج مزخرف فى منتصفه, نزل على السلام يتراقص على نغمات صفيره, ليقابل إحدى الجيران, رمى عليهم السلام وأكمل طريقه. كان تبدو عليه ملامح الفرحة والبهجة. وقف قليلًا في الشارع منتظرًا أول أتوبيس عام, دقائق ووصل هذا الأتوبيس. أحمر من الجزء الأسفل وأبيض فى الجزء الأعلى, لم يكن مزدحم بالكثير من الناس. رمى السلام على سائق الأتوبيس دليل على المعرفة التي بينهم, دفع ثمن التذكرة ووقف ماسكًا في العمود أعلى كتفه.

دقات ساعة جامعة القاهرة كانت بمثابة جرس أنظار لآدم ليبدأ في الجري محاولًا أن يلاحق دخول المحاضرة قبل دخول دكتور المحاضرة. ولكن مجهوده ذهب هباءً بسبب رويته صديقه زكريا جالس على سلالم المبنى مع إحدى أصدقائه البنات.

- آدم: الله يخربيتك بتعمل إيه يا زيكو هنا.؟!

- زكريًا قام ليقف مع آدم بعيدًا: إيه يا دوومة هتفضحني...!

- آدم: الله يخربيتك. يابني مستقبلك ودراستك أهم من كل ده أقسم بالله.

- زكريًّا: طب والله ما ذنبى, أنا كل اللي عملته إني فطرت من عند عم محمود بتاع الفول... يرِديك يعني يا دومة أخش وأنا على لحم بطني.

- آدم: طب ومادخلتش المحاضرة ليه!

- زكريًّا: لا ماهو وأنا داخل قابلت الدكتور بس من ظهره, فلفيت علشان ماحرجشي نفسي. وفجأة لقيت عبلة في وشي وهي ماعندهاش محاضرات, فقلت أقعد أسليها, بدل ما تبقى لوحدها.

- آدم: طيب إيه...!

- زكريًّا: هو إيه اللي إيه.. حد قالك إن عبلة صديقة البيئة ولا إيه؟!... اِنسى يا حبيبى وشوف رايح فين...!!

خرج آدم من الحرم الجامعى... واتجه إلى شارع رمسيس. مبنى معهد الموسيقى العربية تحديدًا. لم يكن يعرف كم من الوقت سوف ينتظر ظهور تلك البنت وخروجها من ذلك المبنى, حاول أن يشغل باله بشكلها وشكل فستانها ولونه, وما نوع الإلة التي تحبها أكثر من غيرها. وفي نهاية محاولاته الفاشلة التى لم يعرف لها أي إجابة واضحة. ظهرت كارولين بفستانها الأبيض ذو أكتاف عريضة, ضيق من الوسط وعليه شريط أحمر مزين بفيونكة حمراء وواسع من تحت وسطها تتزينه بعض الورود الحمراء, وتتزين بقماشة حمراء تربط بها شعرها مما يظهر جمال ونقاوة وجها, حاملة على كتفها صندوق الكمانجة الأسود, تخرج مع بعض أصدقائها البنات, كانت الابتسامة خفيفة ملاحقة بسلامات, حتَّى رأت آدم على الجهة المقابلة فأسرعت في السلام على أصدقائها منعًا من أي موقف يحدث حتَّى لا تحرج أمام أصدقائها. ظل آدم وكارولين يتبادلو نظرات خاطفة وهما يمشيان في نفس الاتجاه، ولكن كل من هما على رصيف مختلفان وموازيان لبعضه

البعض. انتظر آدم اختفاء آثار أصدقاء كارولين من على رصيفها, حتَّى أخذ يعدو الطريق ليكون بجانبها على نفس الرصيف.

توقفت فجأة فتوقف معها آدم صامتًا وعلى وجهه ضحكة بسيطة, عكست على وجهها هى الأخرى ضحكة في غاية الجمال والبساطة. أكملت مشي في طريقها، حتَّى توقفت مرة أخرى عندما سمعت آدم ينادي عليها باسمها. التفت للخلف لترى ما سبب منادتها باسمها... كان آدم حاملًا لودرة حمراء من إحدى الحدائق المجاورة على الطريق.

- آدم: بصي تقريبا كدة الوردة دي وقعت من الفستان, أتمنى إنَّك تتقبليها مني كنوع من الذكرى...

- كارولين: نعم حضرتك عايز إيه، وإنت عرفت إن أنا هنا إزاي؟!

- آدم: طب مش هتأخدي الوردة!

- كارولين: بمناسبة إيه؟

- آدم: بمناسبة إنَّها شبه فستانك...

- كارولين: لا ميرسي ما بحبش الورد.

- آدم: والعربية أخبارها إيه؟!

- كارولين: الحمد لله... ميرسي... ممكن أمشي بقى.!

- آدم: لا مش ممكن... لازم الأول أعرفك بنفسي, لأن الوقت آخر مرة ما سمحليش إني أعرفك نفسي.

- كارولين: وحضرتك مين قالك إني محتاجة أتعرف عليك... إنت عارف أنا بنت مين!!

- آدم: اسمي آدم عبد الفتاح العلايلي... مواليد القاهرة... عندي 23 سنة... بدرس هندسة ميكانيكا آخر سنة.

- كارولين: تشرفنا... ممكن أمشي.

- آدم: طب والوردة.

- كارولين: لا ميرسى خليهالك.

- آدم: محدش هياخد الوردة دي غيرك.

رجع آدم إلى حرم الجامعة إلى نفس المدرج فلم يجد شيء تغير غير عبلة أصبحت بنت أخرى من إحدى أصدقاء زكريًا. كان زكريًا معروف بأنَّه زير نساء لكثرة معرفته ببنات الجامعة, لأسباب كثيرة من ضمنها وأهمها جسمه كان زكريًا دائمًا مشاركًا في بطولات الملاكمة كان حلمه كل سنة أن يصل إلى مركز أول ولكن غروره وحبه للبنات دائمًا ما كانا سبب ليضعه في المركز الثاني, ويأتى ثاني شيء بعد جسمه كلامه وإمكانيته على إضحاك أي أحد خصوصًا البنات. تجاهل آدم زكريًا ودخل إلى محاضرته, انتهى من يومه وذهب إلى البيت ومعه تلك الوردة وضعها في دفتره.

استمر آدم على الذهاب إلى معهد الموسيقى لمدة ثلاثة أيام ملاحقًا لكارولين ويحاول أن يعطي لها نفس الوردة, كل يوم ينتهي بمحاولة فاشلة منه... لم تكن كارولين متفهمة حركات آدم المجنونة في ملاحقتها لها يوميًا فقط ليعطيها وردة حمراء اقتربت على الموت مع العلم أنَّه لا يعرف عنها شيء, مِمَّا أدى إلى رفضه كل مرة.

في اليوم التالي كان آدم منتظر كارولين أمام معهد الموسيقى العربية منتظرًا خروجها في نفس الميعاد. ولكن لم تخرج هذه المرة, رأى أصدقائها يخروجون ولكنها لم تخرج... حاول الاقتراب منهم محاولًا أن يسمع اسم كارولين ولكنه لم يسمع أي شيء مفيد. في لحظة وقوفه أمام الباب وجد إعلان مكتوب على الباب بمواعيد مسابقة لعازفون الآلات الوترية في نفس اليوم. بكل جراءة دخل آدم

المبنى محاولًا أن يجد مدخل المسرح, بعد أن تعب من البحث, وجد أحد العاملين في المكان فقال له أن أخته سوف تكون في مسابقة الآلات الوترية, فوصف له مكان التدريب الذي اكتشف أنَّه مسرح المعهد... لم يكن به الكثير من الأشخاص بعض العازفون يجلسون على المسرح والمدرسون يجلسون على المنصة تحت المسرح... في رحلة بحث سريعة وجد آدم كارولين وهي تخرج إلى منتصف المسرح حاملًا معها الكامنجا الخاصة بها، وبدأت في عزف إحدى مقطوعات بيتهوفن الشهيرة. اِنسجم آدم مع الألحان مِمَّا أدى إلى وقوفه وتصقيفه في وسط صمت المسرح بعد انتهاء كارولين من العزف مما أدى إلى جذب أنظار الجميع إليه, تأسف لهم وجلس مكانه في صمت. دقائق قليلة حتَّى انتهى كل واحد في أخذ ملاحظاته على عزفها, انطلق كل من العازفون والمدرسون إلى خارج المسرح وظل آدم منتظر نزول كارولين من على خشبة المسرح... اقتربت عليه في سرعة وغضب وفرحة في نفس الوقت.

- كارولين: أفندم... حضرتك عايز إيه وإنت دخلت هنا إزاي؟!

- آدم: أنا أدخل أي مكان أنا عايزه, بالنسبة لعايز إيه عايز أديلك الوردة دي!!

- كارولين: قلتك قبل كدة ما بحبش الورد.

- آدم: وأنا قلتلك قبل كدة محدش هياخدها غيرك.

- كارولين: طب والحل!

- آدم: هفضل أجي كل يوم لحد لما تأخدي الوردة.

- كارولين: وبعدين.

- آدم: ليه الاستعجال... خدي الوردة الأول.

- كارولين: أيوه بس دي ميتة.

- آدم: مش إنتِ ما بتحبيش الورد!! يهمك في إيه تبقى ميتة أو مش ميتة!

- كارولين: أيوه بس.

- آدم : من غير بس... الوردة لسة فيها الروح وريحتها فيها.

- كارولين: طيب... ميرسي يا سيدي... ها وبعدين بقى؟

- آدم: تلاتة أيام هتكون الوردة ماتت فعليًّا... هنتقابل في جروبي بوردة جديدة مكان الوردة القديمة.

- كارولين: ومين قالك إنِّي هاجي...!

- آدم: عنيكِ بتقول إنك عايزة تيجي اِنهارده الإتنين يوم الخميس بعد المعهد. هستناكِ في جروبي... الساعة 3 العصر...

- كارولين: مش هاجي.

آدم: لا هتيجي... أخدتي أكتر من وقتك معايا لازم أمشي، نتقابل يوم الخميس.

غادر آدم المسرح تاركًا ابتسامة كان أول مرة يراها على وجه كاولين. كانت ابتسامة مليئة بالغموض, هل هي فعلا ابتسامة فرحة أم هى ابتسامة مزيفة؟!

في صباح يوم الخميس بعد الجامعة ذهب آدم إلى جروبي منتظرًا كارولين في القدوم . مرت ساعة على الميعاد المتفق عليه ولم تظهر بعد... نفذ صبر آدم وما بين قرار المغادرة وقرار المحاولة مرة أخرى, تقترب عليه بنت في منتصف العمر لم تكن ملامحها غريبة عليه تبدو وكأنَّها مألوفة له.

- البنت: حضرتك أستاذ آدم صح.

- آدم: صح؟!

- البنت: أنا لبنى صديقة كارولين، هي بعتاني ليك أديلك الظرف ده. والدعوة دي... وبتقولك متوقعة تفهمك... وتتمنى إنَّها تشوفك.

غادرت لبنى جروبي ووقف آدم في تعجب يقرأ تلك الدعوة على حفل عزف فرقة معهد الموسيقى في مسرح المعهد، وعندما فتح الظرف وجد الوردة ملصوقة على ورقة بيضاء مكتوب تحتها "آســفة, مستنياك".

وفي وسط أنغام معزوفة بيتهوفن يستمر هاتف آدم في الاهتزاز على مكتبه مِمَّا أدى إلى انزعاجه وقيامه من جلسته على الكرسى الأبيض حاملًا في يده الوردة واضعها على المكتب.

بعض إن صب آدم غضبه فى زكريًّا بسبب كثرة الاتصال عليه مرارًا وتكرارًا, وضب آدم المكتب قبل خروجه ليفتح الباب لزكريًّا ووضع الأسطوانة في مكانها الأصلي وأغلق النور. بعد أن فتح لزكريًّا صعد إلى الدور الأعلى ليطمئن على رَحيل وأصدقائها فعند دخوله أطفئ الموسيقى عليهم.

- عمر: تسلم إيدك يا عمو... والله بقالي ساعة بحاول أقولها كفاية, الصوت مزعج مفيش فايدة.

- آدم: إيه يا بنتي بتذاكري إزاي فى الدوشة دي.

رَحيل: تاني يا بابا نفس السؤال... بحب الصوت العالي يا بابا وبيخلني مركزة.

- آدم: وموبيلك... عمك زكريًّا كلمك أكتر من مرة.

- رَحيل: إيه االاه صحيح... هو جيه.

- زكريًّا يدخل عليها: أيووووه وجايبلك رنجة مشوية معايا تستاهل بوقك.

- شهرزاد: إيه ده الله أنا بحبها أووووي.

- زكريًّا: وهي كمان بتحبك أووووي.

- شهرزاد : طب هنفضل نحب في بعض كتير مش هناكل بقى ولا إيه...!

- زكريًّا: يعجبني فيكِ إن شهيتك دايمًا مفتوحة وحبك للأكل.

- رَحيل: من ناحية بتحب الأكل فهى بتحب الأكل جدًا... دي ممكن تاكلنا.

- شهرزاد: أنا دا أنا غلبانة.

- عمر : مين دي اللي غلبانة.

- آدم: بس بس إنتِ وهي... انزلو يلا جهزوا الترابيزة، هي ليلة زفرة شكلها.

انطلق كل منهم إلى الطابق السفلي لتجهيز الترابيزة وتجهيز السلاطات. فتتميز رَحيل في جميع أنواع السلاطات. فبدأت في تحضير سلطة الرنجة بينما انشغل البقية في تقطيع البصل وتجهيز الترابيزة. جلس الكل على الترابيزة وبدأت المعركة... وفي صمت على الترابيزة لانشغال الجميع في الأكل.

زكريًا: صحيح يا دومة باشمهندس آسر عدى تاني على الكافيه وباعتلك بن.

وفجأة توقفت شهرزاد عن الاكل فور سماعها اسم آسر, وتوقفت رَحيل عن مضغ ما بداخل فمها وهي ممسكة كوب الماء, واستمر عمر يأكل والابتسامة على وجهه وينظرون كل منهم للآخر. حتَّى كسر آدم تلك النظرات التي أكدت شكوكه.

- آدم: آسر... الباشمهندس اللي فاتح الاستوديو فوقينا ده.

- زكريًا: أيوه... اللي كان قاعد معك الصبح وقالك إن القهوة طعمها مش حلو.

آدم: طب خلاص خلاص مش لازم تفضحنا.

- رَحيل: اه ماهو قالي كدة بردو.

- آدم: هو مين اللي قالك؟!

- رَحيل: هاا... اااه... عمر... أيووه عمر قالي قبل كدة إن البن بتاعنا طعمه مش حلو.

- آدم: مش حلو إزاي يعني، وكمان عمر مابيشربشي غير قهوة أصلًا.

- رَحيل: هاا... اااه... أيوووه أصل عمر بيجامل ومابيحبش يكسف حضرتك.

- آدم: طب وإنتِ معرفتنيش ليه قبل كده!

- رَحيل تنظر لزكريًّا : بس الرنجة تحفة يا أونكل زيكو. تسلم إيدك.

- شهرزاد: اه... اااه... حلوة جدًّا بجد.

- آدم: بصي يا رولينا... أنا هعديهالك المرة دي... ولينا قاعدة.

ابتسمت رَحيل وأكملت طبقها... انتهى كل منهم من الأكل وذهب عمر وشهرزاد إلى منزلهم. وذهبت رَحيل إلى غرفتها. وأكمل آدم وزكريًّا جلستهم المعتادة بعد كل أكلة على ترابيزة الشطرنج وكل واحد بجانبه كوب الشاي الخاص به.

الفصل السادس

لكل منَّا قصة تمَّ إخفائها ليس كنوع من الأسرار الغير مباح أن يصرح بها, ولكن خوفًا على أنفسنا أن نَسرح بخيالنا لتلك القصة ومواجهة ما بها من جراح مرة أخرى.

يدخل رجل في بدلته السوادء في صباح شمسه مشرقة وهواء رطب إلى إحدى الكافيهات المشهورة في وسط البلد تحديدًا عند ميدان طلعت حرب, جروبي.

ظل يبحث عن تلك السيدة في فستانها الأزرق المنقط أبيض حتَّى وجدها جالسة وحيدة في آخر الممر, وكل تركيزها على الترابيزة مِمَّا أدى إلى شكوكه أن تكون سيدة أخرى, تقدم إلى تلك الترابيزة وفي لحظة أمساكها كوب القهوة رفعت السيدة رأسها عن الترابيزة لتجد الراجل واقف أمامها, فتفزع من مكانها واضعة كوب القهوة بعد أن تمَّ إسكاب القليل منه نتيجة فزعها على الترابيزة دون أي ضرر على فستانها وتسلم على الرجل بكل ترحاب وابتسامة رقيقة.

- آدم: أنا آسف لو خضيتك...!

- جيهان: لا لا مفيش حاجة... أنا كده كعادتي بخاف من خيالي.

- آدم: يااه للدرجة دي.

- جيهان: يعني. المهم اتفضل اقعد, تحب تشرب إيه بقى!

- آدم: أنا هشرب قهوة سادة وإنتِ قهوتك إيه بدل اللي وقعت دي!

- جيهان بابتسامة: أنا قهوة مظبوطة.

أشار آدم للجرسون ليخبره بالطلبات. أتى الجرسون لينظف ما حدث جراء وقوع فنجان القهوة, وذهب ليجلب الطلبات. ساد صمت لدقائق على الترابيزة.

تردد آدم كثيرًا في بداية الحديث, ليس لأنه لا يعرف ماذا يجب أن يقول ولكن خوفًا من ظهور بعض المشاعر التي حاول جاهدًا أن يمنع ظهورها مجددًا وبدورها جيهان ألقت رأسها في الترابيزة منعًا للإحراج فرجعت إلى ذلك المنديل لملئ فراغها منتظرة آدم في الكلام.

- آدم: من ساعة ما دخلت وأنا شايفك حاطة راسك في المنديل ده بتعملي إيه؟

- جيهان: إنت شايف إيه؟!

- آدم: ولا أي حاجة.!

- جيهان: برسم يعني هكون بعمل إيه يا باشمهندس.

- آدم: أظن إن معرفتنا دلوقتي لها الحق إنَّها تلغي الألقاب, خليها آدم بس.

- جيهان: ماشي يا آدم... أنا يا سيدي برسم حاجة كده جت في دماغي.

- آدم: طب ماتشاركيني اللي بترسمي بدل مانا ساكت كده.

- جيهان: بعد لما أخلص, أصل انا ما بحبش أخلي حد يشوف رسمة إلَّا بعد لما بخلصها.

- آدم: طيب تمام, هقوم أجيب أنا جرنال أُعبال ما تخلصي رسمتك.

- جيهان: إيه لا لا... خلاص خلاص أنا هعتبر نفسي خلصت بس بردو مش هوريهالك.

- آدم: أيوه بس ده ظلم؟

- جيهان: ما علينا المهم اِحكيلي عملت إيه في اليومين دول.

- آدم: ولا حاجة يا ستي, كنت في البيت مع العيلة وشوية زيارات السفر مانتي عارفها. إنتِ عملتي إيه؟

- جيهان: كنت قاعدة في البيت لوحدي.

- آدم: لوحدك أمال فين أهلك إنتِ مش قلتلي عندك أخ وأخت, ألَّا صحيح فين والدك ووالدتك!

- جيهان: هاااا... القهوة جت أهي... أنا مظبوطة والأستاذ سادة.

- آدم: هاا... إيه إنتِ متخانقة مع أهلك؟

- جيهان: لا مش بالظبط.

ذلك اللمعان الذى ينتج نتيجة حبس دموعك داخل قرنية عينيك كان ظاهرًا في عيون جيهان قبل انفجارها فى البكاء فور تذكرها أحداث وفاة والديها في إحدى الحوادث خلال سفرهم, كانت جيهان طفلة ذو 15 عامًا, لم تعرف معنى الحياة بالشكل الكافي لمواجتها لها, فتولى أخوها وأختها الأكبر منها تربيتها, وسافرت مع أختها للعيش معها هي وزوجها في ألمانيا وتكملة دراستها للعلوم. كانت من وقت لآخر تسافر مصر لزيارة بعد الأقارب وبعد أصدقاء الطفولة والجيران. حاول آدم بدوره تهدئة جيهان وإخراجها من حزنها بالرغم أن سيرة الموت أدت إلى ظهور صورة من مغادرة كارولين لحياته, وكيف كانت الحياة سوداء بعدها. ولكنه أصر على كتمان تلك المشاعر حفاظًا على مشاعر جيهان وعدم ازدياد حزنها.

تذكر آدم أن من ضمن الأشياء القادرة على تغيير حزنه هو الأيس كريم, فعرض على جيهان بأنَّه سوف يأخذها لمكان آخر بعيدًا عن هذا الصمت المنمق

والكأبة التي يجلسون فيها, لمْ تدرِ إلى أين هي ذاهبة ولكن تلك الفكرة كانت قادرة على رسم ضحكة بسيطة على وجها, أخذت ذلك المنديل المرسوم عليه بالقلم الكحل الخاص بها, ومسحت به القليل من دموعها وانتلقت خلف آدم بسعادة تزداد كل خطوة تخطوها معه.

من منا لا يتمنى ظهور ذلك الشخص الذي يكون له إمكانية دخول حياتك في أي وقت بأي شكل, فنصبح كتركيبة القفل ومفتاحه.

طلبا كل منهم نوعه المفضل من الأيس كريم وأكملا طريقهم في شوارع وسط البلد. فجأة بدأ دور المحقق الداخلي لجيهان في الظهور وكان آدم هو المجرم الذي يحقق معه. إضافة جيهان أقواله في ملفه الخاص به داخل ذكرياتها على أقواله السابقة في رحلة سفرهما من ألمانيا إلى القاهرة, وبدور أي مجرم أمام أي محقق يخبئ الكثير ويبوح بالقليل. ومن جهة آدم ظهر الدكتور النفسي الذي كان يحاول أن يصل للمريض حقيقة مرضه ولكن بأسلوب محوري, فغلب عليه التردد ما بين البوح بكل شيء أم يدرج المعلومة لجيهان منعًا لخسارتها بعد أن تسببت في تغير شيء ما بداخله, انتهى تردده إلى تساؤل هل سوف تكون هي المريضة التي سوف يثبت عليها إحدى نظرياته أم سوف يكون مجرد مجرم في وجهة نظرها تنهي معه تحقيق فيلقى في حبسه مرة أخرى!

من الذي يطرق الباب الحب, أم نحن الذين نجبره في مشاركة جلستنا؟

آدم: طب إيه بردو مش ناوية توريني الرسمة اللي على المنديل.

جيهان: بص هو أنا هعمل معك حركة معملتهاش مع حد قبل كده, ولا أختي حتَّى.

- آدم: إيه بقى؟

- جيهان: أنا هديلك المنديل بس على شرط, ما تبصش في إلا بعض لما أمشي, علشان...

- آدم: الله رسمك حلو أووي.

- جيهان: يا سلام هو إنت لسه شوفت حاجة... بص الرسمة في نصها كده بيبقى زي بالظبط لما تقرأ جرنال بالشقلوب, فاكر...!

- آدم: مااشي.... خلاص يا ستي هأخد المنديل في صمت ومش هقولك رأي تمام كده.

- جيهان: اتفقنا... اِتفضل يا سيدي المنديل أهوو... وأوعدك إن الرسمة دي هتكمل في يوم من الأيام.

انتهى لقاء المحقق والدكتور النفسي بابتسامة أضافة الكثير من بعض المشاعر للطرفين, منها تردد وأخرى تعجب وأخرى اِنجذاب بشكل مختلف. اتفق كل منهم على موعد جديد في وقت جديد أملين ظهور ابتسامة جديدة وشخصيات جديدة. فتح آدم المنديل وسط أفكاره المختظلة تأمل تلك الرسمة بتعجب محاولًا أن يخمن تكملة هذه الرسمة.

وقف آدم في ابتسامة ماسكًا للمنديل أمام مكتبه بعد أن وضع المنديل في الظرف الأبيض ووضعه في درج مكتبه وقام لينظر إلى تلك اللوحة الكبيرة المتواجدة في وسط حائطه في غرفته صول فتذكر أنَّها دومًا ما كانت توفي بوعودها له, بداية من ذلك المنديل حتَّى يوم وفاتها.

خرج آدم من غرفة صول وعينه تودع تلك اللوحة بالكثير من المشاعر والدموع المكتومة بداخله جراء تذكره ذلك اليوم. اليوم الذي بدأ في أجمل مشاعر لم يتوقع أنَّها سوف تظهر مرة أخرى. أغلق الباب ليجد رَحيل واقفه أمامه تخبره بأن الفطار جاهز على الترابيزة.

- رَحيل: إيه ده إيه ده النشاط ده كله.

- آدم: طول عمري يا لمضة.

- رَحيل: ماشي يا عم, طب يلا بقى علشان أونكل زكريًّا قاعد على الترابيزة ولو مالحقناش الفطار لا أنا ولا إنت هناكل.

هرع آدم ورَحيل إلى المطبخ قبل إنهاء زكريًّا على كل ما طاب ولذ على تلك الترابيزة. وعلى غير عادته لم يبدأ زكريًّا في الأكل قبل وصول كل من آدم ورَحيل, والذي زاد شك آدم ورَحيل أكثر بأنَّه كان يحضر الشاي والنسكافيه لهم.

- آدم: إنت كويس يا زيكو يا حبيبي... مش عادتك يعني.

- رَحيل: هو أونكل زكريًّا يا بابا جاله فقدان ذاكرة ولا إيه!

- آدم: والله يا بنتي كل شيء جايز.

- زكريًّا: يعني أنا غلطان إني بعملكم كوباية الشاي والنسكافيه ومستنيكم!

- رَحيل: مش مستغربها شوية يا أونكل زكريًّا.

- زكريًّا : في الواقع. أنا صاحي بقالي ساعة كده فلقتني جعان شوية, قومت عاملي كام ساندوتش بيض على جبن وحتة حلاوة قد كده.

- رَحيل مقاطعة زكريًّا: قد كدة بردو...

- زكريًّا: اه والله ... ودخلت نمت تاني وبعدين صحيت على صوتك وإنتِ بتحضري الأكل, لما كنتي بتكلمي في التليفون وبتشرحي لحد عنوان كافيه في الزمالك.

- رَحيل بتردد: أيوه أيوه. تحب أعملك حاجة تانية طيب.

- آدم: في إيه مالك اِتوترتي كده أول لما قالك بتكلمي في التليفون.

- رَحيل: لا هتوتر ليه يعني.

- آدم: معرفشي... بنت إنتِ شكلك مش عاجبني بقالك يومين وحاسك مخبية حاجة, بس أنا هعمل مش واخد بالي لحد لما تيجي تكلمي وحدك.

كوب آخر تمَّ اتساخه بالبن الأسود في المياه المغلية سكر زيادة, بعد إن تمَّ غسل بقية الصحون بعد انتهائهم من الفطار وخروج كل من آدم وزكريًّا إلى الكافيه. أخذت ذلك الفنجان إلى الطابق العلوي وسط لوحاتها المبعثرة في أكثر من مكان, اقتربت على ذلك الاستريو واختارت إحدى أغانيها المفضلة لأم كلثوم -أِنت عمري- وكبست زر التشغيل بأصبعها الصبابة ومن ثمَّ لمست تلك البكرة لتعلية الصوت على أعلى مستوى.

تجلس فتاة في مكتمل عمرها على مكتب في إحدى الكافيهات أمامها جهاز الكمبيوتر وفنجان القهوة بجانبها, تقرأ بعد الأشياء من ملف تمَّ إرساله من قبل العاملين معها في الكافيه وتحاول أن تدخل بياناته على الجهاز. دقائق ليقترب إحدى الشباب الجالسين في الكافيه حاملًا معه ورقة بيضاء كبيرة.

- الشاب: لو سمحت ممكن بس بعد إذنك سؤال؟!

- رَحيل: اه طبعًا اِتفضل حضرتك!

- آسر: أنا باشمهندس آسر, كنت بس راسم حاجة كده على قدي وكنت حابب أعرف رأي حضرتك فيها.

- رَحيل: طبعًا أكيد... اِتفضل!

يلقى تلك الورقة أمامها على المكتب, تضع ذلك الملف جانبًا لتركز في تلك الرسمة التي لمْ تلقِ لها أي تفسير مقنع في الرد عليه. ما بين ترددها في إخراج الصراحة المطلقة على تلك الرسمة وبين الابتسامة الزائفة الصامتة دون أي تعليق, اختارت رَحيل أن تعطي له فرصة شرح تلك اللوحة التي لم تفهم معناها.

في وسط الورقة البيضاء, توغل حبر قلم آسر تلك الورقة ليرسم دائرة صغيرة الحجم حولها خيوط ملتفه حول بعضها البعض لتشكل في شكلها ورق لوردة على

شكل نجمة ومن تلك الدائرة توغل الحبر بفعل خيال أسر ليرسم خط متمايل عريض في وسطه ورقة شجرة.

- رَحيل: طب هي وردة ولا نجمة ولا إيه بالظبط؟!

- آسر: إنتِ شايفة إيه؟!

- رَحيل: أنا شايفة خطوط داخلة في بعضها...!

- آسر: وآنا كمان!!

- رَحيل: نعم..؟!

- آسر: نظرتك للرسمة هي نفس نظرتي ليكِ كل يوم أربعاء، وإنتِ قاعدة هنا على مكتبك... حاجات جوا بعضها, يمكن وردة أو يمكن نجمة أو يمكن مجرد خطوط وبس.

- رَحيل: أيوه بس أنا مش مجرد خطوط.

- آسر: أنا قلت يمكن... مش يمكن تكوني مجرد خطوط بالنسبة ليا.

رَحيل: طب وأنا مالي... دي حاجة تخصك.

- آسر: بكرة نعرف حاجة تخصني أنا بس ولا تخصنا, وخلي الرسمة معاكِ.

وفي لحظة أخذها أول رشفة من فنجان قهوتها والابتسامة مرسومة على وجها، وهي تنظر لتلك الورقة في بروازها الأحمر البلاستك على مكتبها. قطع شرودها هزة هافتها المتكررة في جيبها, أنهت تلك الهزة بالرد عليها لتجد صوت شهرزاد وكأنَّها تتكلم من ميكروفون مدرسي أثناء طابور الصباح, فتظل منتظر الناظر لينهي كلامه حتَّى تتحرك على فصلك, من خلال المكالمة تفهمت رَحيل أن شهرزاد منتظرًا أمام باب منزلها فانطلقت إلى الباب لتفتحه لشهرزاد.

- شهرزاد: يعني هو أنا لازم أزعق وأعلي صوتي علشان تنزلي تفتحي الباب.

- رَحيل: هو ده صوت يا حبيبتي... دانتي طرشتي وداني.

- شهرزاد: اعملك إيه مانا بقالي ساعة واقفة قدام الباب.

- رَحيل: نفسي أفهم ساعتك ماشية على أنهي توقيت.

- شهرزاد: المهم... إنتِ عملتي إيه في بقيت اللوحة...!

- رَحيل: والله مش عارفة, لسة أصلًا كنت قاعدة فوق بحاول أجيب أفكار لبقيت اللوح.

- شهرزاد: أيوه وإيه اللي حصل!!

- رَحيل: هاا... مفيش لقتني سرحت كدة!!

- شهرزاد: طب وبعد السرحان ده... ناوية على إيه؟!

- رَحيل: في إيه بالظبط!

- شهرزاد: في إيه بالظبط!!!, واضح إننا محتاجين قاعدة, ورايا على الجبلاية!

ما بين صراع تسأولات من المسيطر خلايا مخط العصبية أم مشاعرك المتضاربة ينتهي بك المطاف في جلسة صمت وحيدًا متلذذ لامبالاتك...!

أكملت شهرزاد ورَحيل طريقهما إلى الجبلاية, حاولت شهرزاد أن تطلع عنان ما داخل أفكار وتساؤلات رَحيل ولكن رَحيل لم تكن منفتحة لتلك الفكرة فأكملت شرح لشهرزاد عن تلك الأفكار التي جأتها لذلك المعرض المنتظر افتتاحه قريبًا.

- شهرزاد: أيوه طب إنتِ بتحبي!

- رَحيل: هاا... هو مين اللي بحبه؟!

- شهرزاد: يا بنتي إنتِ عارفة لساني طويل, وقليلة الأدب أصلًا!

- رَحيل: طب خلاص خلاص, والله مش عارفة يا زوبا.

- شهرزاد: مش عارفة, ولا خايفة!

- رَحيل: بصراحة خايفة, هو إيه اللي ممكن يخليه ما يبقاش زي مصطفى؟؟

- شهرزاد: ماهي دي المشكلة اللي بتخلينا نتخنق من الارتباط, لما إنتِ تكوني خايفة لأحسن يطلع زي القديم, وهو بيعمل حاجات كتير علشان يدوبك تديله فرصة أو تبصيلوا..

- رَحيل: هو إنتِ في صف بس!

- شهرزاد: أنا في صف الحق بصراحة, الواد لحد دلوقتي بيعمل حاجات كتير, وإنتِ بتعملي حاجة كل فين وفين... وده مش أسلوب بصراحة!

- رَحيل: هو إنتِ محسساني إني ماتظلمتش!

- شهرزاد: طب وهو ذنبه إيه تظلمي معاكِ, مش عايزة تكملي في الحوار يبقى اقفلي لكن متفضليش معلقة نفسك ومعلقة الواد معاكِ!

- رَحيل: طب إنتِ شايفة إيه؟!

- شهرزاد: أنا شايفة إنك محتاجة تديله فرصة, وتفتحي باب جديد غير باب المَنور اللي إنتِ فاتحا ده, وعلى رأي المثل صوابعك مش زي بضعها.

تنظر رَحيل إلى لوحة, خليفتها طوب حراري لإحدى الغرف تتوسطها ترابيزة يوجد عليها فنجان قهوة يخرج منه بخاره الأبيض على شكل شاب يجلس نصف جلسة على ركبته حاملًا في يده باقة من الورود, وتجلس فتاة على كرسي بجانب تلك الترابيزة واضعة كوع يديها على الترابيزة لتسند رأسها وهي تنظر إلى ذلك البخار بحيرة وتعجب.

تضع رَحيل اللمسات الأخيرة في تلك اللوحة التي تذكرها بذلك اليوم الذي فتحت فيه باب جديد لأسر بناءً على نصيحة شهرزاد لها. وهاهي اليوم ترتسم

الابتسامة على وجهها شاكرة لوجود هذا الشخص في حياتها ليس فقط لاهتمامه ولكن لاحتوائه لها, الاحتواء كلمة ليس من السهل إثباتها لأنها تحتاج إلى فعل أكثر من وعود, فالوعود قابلة للكسر ولكن الأفعال كالمسمار عند دخوله فى الخشب يصعب عليك إزالته وإذا تمت إزالته سوف يترك أثرًا يجعلك متسائل ما الذى كان يملئ هذا الفراغ لتكون إجابته زيارة ذلك المسمار.

تأخذ رشفة أخرى من ذلك الفنجان, وتقوم لتوطية صوت الست "أم كلثوم", لتكلم شهرزاد في الهاتف متسائلة عن موعد وصولها لها, ليكون رد شهرزاد رنة جرس بيت رَحيل. تنزل رحيل من الجبلاية -كما تحب أن تدعوها- إلى الدور الأول لتفتح الباب إلى شهرزاد حتَّى تفأجئ بوجود عمر معها.

- رَحيل: إيه اللي أخرك, أو أخركو كل ده؟

- شهرزاد: مفيش يا ستي, الباشا قابلته عند ستارباكس وزي مانتي شايفاه كدة مكشر, جبته وجيت على هنا, وكل اللي قاله إنَّه متخانق مع الزفتة بتاعته.

- رَحيل: زفته مين, ميرنا؟!

- عمر: هو في زفته غيرها!

- رَحيل: طب إيه اللي حصل!

- عمر: مفيش, مش عايز أحكي دلوقتي!

- شهرزاد: أهو طول الطريق وهو عمال يقولي مفيش, بعدين, ويشرب من الفرابتشينو, لحد لما خلصوا... في قهوة عندك؟!

- رَحيل: اه في, اعملي تلاتة بقى!

- عمر: ويا سلام لو أي حاجة تتاكل يا زوبا!

- شهرزاد: الجارية اللي جابتهالك طنط!

- رَحيل: يا بنتي لمي لسانك ده شوية إنتِ مش شايفة الواد قالب وشه إزاي, أنا هعملك أي سندويتشات!

- شهرزاد: ماهو مستفز بصراحة, شرب الفرابتشينو بتاعي, ومش عايز يكلم ولا يقول مالوا, الله...!

- رَحيل: هيحكي هيحكي متقلقيش.ها مالك بقى يا بيكاسو!

- عمر: حتَّى إنتِ, هو علمك إنتِ كمان تقوليلي بيكاسو!

- رَحيل: مش موضوعنا دلوقتي, إيه اللي حصل مع ميرنا؟!

- عمر بحزن: مش عايز أحكي دلوقتي والله, خلوها بعدين... المهم دلوقتي خلينا بس نطلع نكمل بقيت اللوح علشان المعرض اللي إحنا مش عارفين مفروض هنعملوا امتى؟

- رَحيل: طيب ماشي, ها عملتي القهوة!

- شهرزاد: اه خلصتها, وإنتِ عملتي الأكل, كترتي من السندويتشات!

- رَحيل: اه كترت ياختي.

- شهرزاد: يلا بينا على الجبلاية!

أكمل الثلاثي طريقهم إلى الجبلاية منتظرين معرفة تفاصيل ما حدث مع عمر وميرنا, دائمًا ما يكون حظ عمر في الارتباط به الكثير من الشوائب والمشاكل؛ نظرًا لأنه دائمًا ما يكون الطرف صاحب العطاء الأكثر, ودائمًا يكون هذا الطرف هو الخاسر. دامت علاقته مع ميرنا قرابة السنة, ولكنها لم تكن سنة عادية, كانت مليئة بالكثير بالمغامرات والتناقضات سواء منه أو من جهة ميرنا. وكانت ميرنا لديها حماتان رَحيل وشهرزاد, نظرًا لمكانة عمر وحبهم له.

بدأ عمر في إعادة ترتيب اللوحات مرة أخرى مع رَحيل وشهرزاد. وبدأ كل

منهم في تجهيز لوحته وألوانه وفرشته المفضلة, كان عمر في كل مرة يحاول أن يبحث عن تلك الفرشاة التي لا يتذكر مكانها فيقوم بتغيير معالم المكان حتَّى يجدها ويكسل أن يعيد ترتيب المكان فيفضل ان يعمل في تلك البهرجة.

- عمر: صحيح, مفيش جديد يا رولينا مع آسر!

- شهرزاد: صحيح إنتِ لسه معرفتيش أونكل آدم!!

- رَحيل: أعرفه إيه, وأنا أصلًا لسه مستقرتشي!

- شهرزاد: أمال الشهر اللي إنتو بقالكو بتكلمو ده إيه, كل ده معرفتيش إنتِ عايزة إيه بالظبط.

- عمر: أقسم بالله إنتو جنس عايز الحرق, لما تلاقو حد بيعملكو كل حاجة تتفرعنو, ولما يديكو فوق دماغكو تجرو ورا!

لم تقدر رَحيل على الرد على أي منهما؛ نظرًا لانها ما زالت داخل صراع تسأولاتها ما بين خوفها من مستقبلها مع آسر, أم هل سوف يكون هو الرجل الذي طالما حلمت به. بالرغم من أنَّها فتحت باب جديد كما عرضت عليها شهرزاد من شهر مضى, وأدى ذلك إلى تقربها من آسر, إلَّا إنَّها ما زالت متعلقة بقصتها القديمة مع مصطفى. حاولت جاهدة أن تقاوم تلك الأفكار لتنتهي بها المحاولة وهي غامسة فرشاتها السوداء في إحدى الألوان لترسم لوحتها الجديدة كنوع من إخراج تلك التساؤلات أمام عينيها.

الفصل السابع

لكل قلب جريح, قلب آخر يتمنى رضاه لإصلاح ما حدث به من جروح.

سور حديدي نصفه السفلي سور حجري مدهون باللون الأصفر, والنصف العلوي حديد أسود مزغرف بعواميد متتالية على مسافات قصيرة وفي نهاية كل عمود وردة حديدة باللون الذهبي. وفي أخر السور باب حديد أسود متوسط الحجم مفرغ من المنتصف بزغرفة حرفية لحداد يعشق مهنته فأتقن رسم تداخل الخطوط في بعضها البعض, وعند مرورك من تلك البوابة يتبقى عشر خطوات لدخولك المبنى, ونتيجة لتأخر آدم في وصوله للحفل مارس رياضة الجري حتَّى وصل إلى البوابة فتوقف قليلًا في وسط ساحة الدخول محاولًا إلتقاط أنفاسه بصعوبة لإرهاقه وصعوبة إدخال الأكسجين إلى رئتيه نتيجة لوجود بعد أنواع الشجر حول السور وبعض الأواني الفخارية الكبيرة بداخلها شجره رفيعة الساق كثيرة الأوراق الطويلة أضافة للمكان شكل جمالي.

تعدلت نبضات قلب آدم وبدأ يتنفس بشكل طبيعي, تعدل في ملابسه وشد ربطة عنقه السوداء منقطة بالأبيض, وسط لياقة قميصه الأبيض المحاط بجاكيت أسود داخل بنطال أسود في وسطه حزام أسود رفيع, أخرج من جيبه منديل ليمسح جذمته السوداء, وبدأ في أولى خطواته تجاه المعهد.

مبنى مدهون باللون الأبيض في مدخله باب خشبي كبير وسط عمودان رخاميان يتوسطه دائرة مزخرفة معدنية ذهبية اللون داخل إطار مستطيل الشكل مفرغ ومزخرف من زواياه الأربعة, وتوجد ست دوائرة صغيرة بارزة فوق وأسفل ذلك المستطيل منقوش عليها بزخارف إسلامية الطراز. للوهلة الأولى تظن بأنَّك داخل إلى قلعة إسلامية نظرًا لضغيان العمارة الإسلامية على الباب الخشبي, وعلى شماله توجد لوحة رخامية سوداء محفور عليها اسم المعهد, وتاريخ نشأته وفي وسطها "الملك فؤاد الأول".

نظر آدم لتلك اللوحة المنقوش عليها اسم المعهد أعلى ذلك الباب الخشبي -معهد الموسيقى العالي- ونظر إلى تلك الواجهة التي تعلوها تشبه النوافذ الإسلامية المفرغة بمربعات صغيرة تسمح فقط بدخول أشعة الشمس, على الرغم أنَّها لم تكن المرة الأولى لدخوله المبنى, أحسَ آدم بوجوده لأول مرة داخل هذا المبنى الذي تشبع بالزخارف الإسلامية, اتجه مباشرة إلى القاعة, انقسمت القاعة إلى نصفين, النصف العلوي حيث إنَّه كان يحتوي على غرف منقمسة عن بعضها البعض وفي نهاية كل غرفة سور خشبي بنى إسلامي الزخرفة -تنده- وكل غرفة يعلوها سقف على شكل نصف قبة تتوسطها زخارف نباتية وفي وسطها مصباح إنارة عثماني الشكل, والنصف الآخر هو الدور الأرضي يتوسطه كراسي خشبية اللون على الطراز العثماني الإسلامي في صفوف منظمة يفصل بينهم صفين بالطول وفي صف بالعرض في منتصف القاعة متقاطعين في نقطة واحدة. يحوطهما حوائط تشابه تلك الزخرفة المنقوشة في الشرفة العلوية، وفي نهاية الممر يوجد بنوارين لذوي المقامات العليا اِرتفاعه ما بين الدور العلوي والدور الأرضي وهما الأقرب إلى المسرح، يعلو هذا الجمال العمراني قبة كبيرة تتميز بالنوافذ المصنوعة من الجص المعشق بالزجاج الملون والتي ما إن سقطت عليها أشعة الشمس أعطت أضواء مبهرة، بالإضافة إلى زخارف مائية ملونة ومقرنصات مذهبة تزخرف باطن القبة.

لوهلة تحس وكأنك سافرت بالزمن, فعند وقوفك في تلك النقطة منتصف المسرح يصيبك ذلك الإحساس الملكي الفخم بداية من جمال واتقان المهندس المعماري في إخراج تلك التحفة الفنية حتَّى جلستك في صمت احترامًا لتلك الموسيقى التي يتم عزفها من قبل العازفين أو العاشقين للموسيقى, فتجلس مستمعًا لهم تاركًا إحساسك يتنقل من صوت البيانو إلى نغمات العود وسط رقة نغمات الكمان فتُرسم على وجهك ابتسامة مع إغماض لعينيك مانعًا دخول أي حد آخر ذلك العالم, فتبقى وحدك ملكًا فيعلو ذلك الإحساس الملكي فقط عند فتح عينيك للوقوف بعد انتهاء المعزوفة احترامًا للعاشقين لتحيهم ومحاولًا طلب عدم توقفهم.

تصفيق حار من قبل الحاضرين, توقف بعد أن تمَّ إغلاق الستار وبدأت أنوار المسرح في الإضاءة مرة أخرى فبدأ بدورهم الجمهور في التحرك بنظام وترتيب. ظل آدم جالسًا في مكانه أملًا أن تظهر كارولين, أفرغت الكراسي من جميع الحاضرين ماعدا كرسي آدم فعرف إنَّه الميعاد لمغادرة المكان واكتفى داخليًّا برؤيته لها على المسرح وهي تعزف على تلك الآلة الساحرة "الكمَان". حاول أن يبطئ آدم حركته أملًا أن تظهر كارولين، ولكنها لم تظهر، توقف أمام الباب ينظر للعامل وهو يغلق الباب.

توقفت كل خلايا وحواس آدم على تحرك وانطلقت نبضاته فقط في التسارع عند رؤيته كارولين تقف بفستانها الكحلي منقط دوائر بيضاء, ظاهر كتفيها الناعمين, ونصف رجلها المتزينة في حذاء أبيض ذو كعب متوسط الطول, حاملة فى يديها شنطة الكمان السوداء, تقف مربعة الكتفين وشعرها منسدل على كتفيها وضحكة غضب أدت إلى اِرتفاع حاجبيها, اقتربت على آدم وهي تحمل الكمان.

- كارولين: اتفضل اِمسك الشنطة دي وتعالا ورايا.

- آدم: على فين!

- كارولين: ماهو ماتبقاش متأخر وكمان بتسأل كتير.

- آدم: والله...

- كارولين مقاطعة آدم: مابحبش اللي بيحلفو كتير, علشان معظم الكلام اللي بدايته حلفان بيبقى كدب.

- آدم: ده على أي أساس ده؟!

- كارولين: على أساسي أنا .

خرجت كارولين في سرعة وأوقفت أول تاكسى لحقها آدم دون أي تردد محاولًا معرفة وجهتهم, بعد محاولات كثيرة اِنتهت بوصولهم لإحدى البيوت -مزرعة- دفع آدم أجرة التاكسي وظهرت أسئلة أخرى في رأسه حاول إخراجها لكارولين لعله يجد إجابة ولو على سؤال واحد, ولكنه لم ينجح في إخراج إجابة واحدة.

أخذ آدم رقم في ورقة بيضاء بعد أن ترك الكمانجا مع الخادم ذو البشرة السوداء في لباسه الأبيض وتلك الشريطة الحمراء على وسطه وعمة بيضاء على رأسه وسط قبعته الحمراء.

ساحة خضراء واسعة لمزرعة كبيرة على يمينها اِسبطل مغلق بسور متوسط الارتفاع, وعلى يسارها حزيرة أرانب ونحل وبعض أشجار الفاكهة. تمتلئ الساحة الخضراء بالكثير من أكشاك صغيرة متوزعة بنظام على شكل مربع كبير تتوسطه دائرة للأحصنة الحديد الدوارة بالألوانها المتعددة, وكل كشك يقف به إحدى العاملين, منهم من يبيع اِكسسوارات حريمي, لعب أطفال بسيطة في فكرتها, تحدي لإدخال كرة السلة, كشك لبيع الحلويات, وتحدى آخر لا تزال ثلاثة زجاجات على الأرض بكرة رملية واحدة, ويوجد أيضًا عربتان متوزعتان بشكل عشوائي في المكان أحدهما تبيع فشار, وأخرى لبيع حلوى غزل البنات.

- آدم: إيه ده؟

- كارولين: دي حفلة عملاها صديقتي لبنى بمناسبة عيد حفل جواز أجدادها.

- آدم: ما شاء الله هما لسة عايشين؟!

- كارولين بعصبية: أيوه لسه عايشين الحمد لله!!

- آدم: مالك طيب مش قصدي هما أجدادك إنتِ ولا أجداد صحبتك لبنى!

- كارولين : لا عادي أنا بس بحبهم.

تلك البدايات التي تكون دومًا مصدر تساؤلات عن سبب ظهورها, وعن مدة صمودها في حياتك, وما هي العواقب التي سوف تنتج عنها, من منا لا يعيش لذة تلك التساؤلات وحيرتها.

وكان هذا اليوم بمثابة بداية دخول آدم في أصعب متاهة قد دخلها في حياته, متاهة كارولين تذكرتها كانت تلك الدعوة المرسلة منها له عن طريق لبنى التي أدت إلى تساؤلاته الأولى من إنتِ؟!, ولماذا كل هذا التعلق والإعجاب؟, هل هو شكلها الخارجي الذي جعله يتلهف رؤيته تلك الأنوثة المشعة منها؟, أم هل هي تلك الكمانجا التي حتما ولا بد سوف تكون مليئة بالمشاعر وطيبة القلب فتجعل حياتهما مليئة بالتفاهم والحب. وعند دخوله تلك المتاهة قرر آدم ولأول مرة عند معرفته لأي بنت أن يترك نفسه يطلق عنان قلبه كالعصافير مغردة في وسط سماء صافية بكل حرية دون أي قيود تجعله يتراجع خطوة أو تجعله أسير داخل قفص الشكوك.

أكمل آدم وكارولين التجول في الساحة والتنقل من كشك إلى كشك حتَّى تمَّ استقرارهم في منتصف الساحة عند الأحصنة الحديدة الملونة. تلك النظرة التي تراها في عيون طفل ذو ثلاثة سنوات يطلب من أمه أن يركب تلك اللعبة مما يؤدى إلى انتفاح بؤبؤة عينه فتكون الأم مسالمة أمام تلك النظرة الملائكية. هكذا كانت كارولين.

- كارولين :ممكن بقى نركب البتاع دي, بدل اللف وإنت أصلًا طِلعت فاشل ومفيش أي دبودوب كسبته حتَّى؟

- آدم بكل ثقة: مالها الساعة دي, ماهي حلوة وشكلها لذيذ أهي, وممكن تحطي فيها صورة كمان.

- كارولين: أعمل أنا إيه بالساعة... تعالى ورايا؟!!

تتحرك كارولين بشكل عمودي للأعلى وللأسفل تاركة أذرعها محلقة في الهواء كالطائر الذي تمَّ إطلاق صراحه من قفصه الممل الصغير, والضحكة تملئ وجها تحت أعينها المغمضة فتتحرك رأسها كأنَّها تحلق محاولة شق الهواء وكأنَّها سهم خارج من قوسه, بينما يجلس آدم بجانبها على الحصان المتحرك للأعلى وأسفل وسط لعبة الأحصن الدوارة, والموسيقى تتوغل أذنه فتجعله يبتسم هو الآخر ماسكًا في ذلك العمود الذهبي جالسًا على حصانه الأبيض الذي أضاف له لمسة الفارس الأبيض الذي وجد أميرته ليأخذها ويسافر بها بعيدًا فقط ليكون معها دون أي قيود أو نظرات تفجر غيرته فيخرج ذلك الوحش المفترس ماسكًا عين الآخرين في يديه حتَّى يكون وحده فقط من يراها.

هل تعرف تلك الابتسامة التي تأتي فقط مع شخص قد تلامست روحك مع روحه وسط العديد من الشخصيات فيتوقف كل شيء حولك ما عدا صوت سرعة خفقان الدم في عروق جسمك فيقشعر بدنك نتيجة نبضات قلبك السريعة فتبقى واقف لا تتحرك خوفًا من إضافة طاقة زائدة فيخرج قلبك من جسمك وتفقد تلك النظرة خلف تلك الابتسامة.

- كارولين: حلوة ضحكتك على فكرة, ولا ده تأثير الكروسال -الأحصنة الدوارة- وحلوتها.

- آدم بعد صمت: هاا... اه الكروسال طبعًا حلوة, إنتِ كمان حلوة ضحكتك أووي, كلها طفولة وبراءة كده.

- كارولين: إيه ده إنت قصدك يعني إني طفلة!

- آدم: لا والله, ماقصديش إنك طفلة, أنا بس قصدى براءة الطفولة واللي في دماغك بتعملي يعني.

- كارولين: وهى دي أحسن حاجة, جدي دايمًا بيقولي حكمة عيش بقلب طفل, وبمخ عجوز.

- آدم: حلوة فكرتها... بس مين بيطبقها بقى.

- كارولين: أنا... وإنت كمان لازم تطبقها... أقولك على حاجة تعالى نتفق إننا هنمشى على مبدأ أو حكمة جديدة كدة نخترعها إيه رأيك!

- آدم: حلو الكلام يلا بينا.

- كارولين: لا ده دورك أنا قلت بتاعتي.

- آدم: إنتِ بتخمي على فكرة.

- كارولين: شكلك بتتهرب!

- آدم: لا طبعًا... أنا هقولك... إنت حر قرارتك, ماتسبشي الحياة تقررلك.

- كارولين: أيوه بس أوقات الحياة بتجبرك على اِختيارت معينة.

- آدم: يمكن, بس أنا مقتنع إن اللي عايز يعمل حاجة أكيد هيعملها.

- كارولين: يمكن علشان إنت مش بنت فمتعرفشي قرارات الحياة قد إيه بتبقى صعبة.

- آدم: يمكن.

بضغطة زر بدأ الموتور في الدوران بسرعة عالية, وانساب لون البودر الأزهري

في الهبوط من يد الرجل إلى تلك الفتحة الصغيرة فتبدأ شعيرات زهرية في التشكل حول تلك العصا البلاستك البيضاء الممسوكة بيدٍ نفس الرجل, بعض ثواني وتتشكل حلوى غزل البنات على تلك العصا الزهرية. لمعان, ضحكة صامتة, قفز على طراطيف أصابعها, إمداد يد كارولين لتأخذ تلك العصا تشمها وهي مغمضة عينيها وتحرك طرف منخارها على الحلوى وتدريجيًّا يخرج لسانها لتذوق تلك الحلوى فتنتهي تلك اللحظة بقطمة كبيرة ثمَّ عزومة منها على آدم الذي رفض فقط ليشاهد معركة غزل البنات لأطول فترة ممكنة.

كل منا لديه تلك الشخصية التي تمثل له أفضل الأفلام التي لن يشبع أبدًا من مشاهدة أفعلها سواء في غضبها, طفولتها, عقلانيتها, أو حتَّى عند نومها, البعض يرى أنَّه جنون, والبعض الآخر يرى أنَّه حب, اختر ما يناسبك وافعل ما يحلو لك, لأنَّك الوحيد القادر على التحكم في كيفية رؤيتك للأشياء.

انتهت كارولين أكل غزل البنات حتَّى وصلت إلى الشعيرات الملتصقة على العصا البيضاء, وبكل حزن اِلقتها في سلة المهملات وكإنَّها رمت جزء منها.

- كارولين: هو إنت ما بتحبش غزل البنات؟!

- آدم: لا طبعًا بحبه, بس نظراتك وأسلوبك في أكله....!

- كارولين مقاطعة آدم: ماله وحش, والله أنا مش قصدي إني أكون همجية وكده.

- آدم: لا لا خالص بالعكس أنا كنت هقول أسلوبك في أكله حببني فيه أكتر...!

- كارولين: أيووه أصلك إنت متعرفشي غزل البنات ده عامل إزاي, ده حاجة كدة زى ما تقول إنها...

- آدم: إنها إيه بقى...!

- كارولين: معرفشي بقى, بس هي حاجة حلوة وخلاص...

بدأت الشمس في الغروب وبدأت الإضاءة تظهر في أرجاء المكان, وفي إحدى زاويا الساحة ظهرت مجموعة من الشباب والبنات حاملين كل منهم آلاته الخاص, الكمان والجيتار والطبلة والترومبت. لك أن تتخيل النغمات التي سوف تتمزج معًا لتخرج نغمات قادرة على تحويل أحاسيسك وأفكارك إلى مكان آخر. اِقترب آدم بسرعة فائقة مجرورًا من كارولين إلى تلك الزاوية, ثواني حتَّى وصلوا إليهم, اِستأذنت كارولين صاحب الكمان لتعزف عليها إحدى معزوفات بيتهوفن, كل ما فعله آدم في تلك اللحظة الجلوس على الأرض يشاهدها وهي تنغمر في نغمات تلك المعزوفة وحركة أصابع يديها على الكمان واِنسيابية حركة القوص على أوتار الكمان.

شجرة كبيرة ضخمة فروعها قادرة تحمل أثقال كبيرة, مثبتة في الأرض وعمرها أكبر من عمر كارولين بمرتين, تنتشر أوراقها الخضراء في الفروع العليا فقط, وقليلة في الفروع القريبة من الأرض, لأول وهلة تجعلك تقف أمامها خائف من صلابتها وشكل تداخل ساقها حول بعضها, هكذا كانت الشجرة المفضلة لدى كارولين, تسلقت هي وآدم الشجرة ليجلسوا على أول فرع لها.

- آدم: إنتِ بتعزفي حلو أووي بجد!

- كارولين: ميرسي...!

- آدم: إنتِ بتعزفي وإنتِ عندك كام سنة؟!

- كارولين: 4 سنين.

- آدم: تحفة بجد!

- كارولين: أنا والكمان والموسيقى عمومًا عشق كده وبنحب بعض جدًا.

- آدم: باين أوي عليكِ, بس أنا عندي سؤال, لحد دلوقتي ماوشوفتش أي ظهور لجدة أو جد لبنى صحبتك, صحاب المكان يعني, كل اللي أنا شوفته الرجال الكبير إلى هناك ده في بدلة رمادي.

- كارولين: ها...!! أصل...!

- آدم: أصل إيه؟

- كارولين: دي أصلًا مش حفلة جدة وجد لبنى, والراجل أبو بدلة رمادي ده يبقى جدو أنا...! ودي المزرعة بتاعته...!

- آدم: وبعدين, إيه كمان؟!

- كارولين: دي حفلة جدو بيعملها كل سنة في اليوم ده, نظرًا إن ده اليوم اللي تيتة ماتت فيه, فهو مقتنع إن ده يوم مفروض مايبقاش مضايق فيه فبيعمل حفلة زي مانتا شايف كده وبيحاول يبسط فيها كل الناس!

- آدم: طب وعلى كده بيبقى مبسوط!

كارولين: مش بالظبط, أول لما اليوم بيخلص وبفضل معاه, بيدخل هو مكتبه ويعيط وأنا الوحيدة اللي ببقى معا فبحاول إني أطلعه من اللي هو فيه.

- آدم: أمال فين طيب باباكِ ومامتك ليه مش معكو؟!

- كارولين: بابا وماما اختارو إنهم مايعيشوش في مصر, فقررو إنَّهم يسافروا فرنسا يعيشوا مع بقية العيلة.

- آدم: عيلة إيه؟!

- كارولين: أنا أفهمك... جدو إسماعيل كان بيحب تيتة سيلفيا, تيتة من فرنسا أصلًا وجدو اِتعرف عليها أيام الشقاوة حبو بعض وقررو إنَّهم هيعيشوا مع بعض, بس أهلها ماحبوش الفكرة بعد صراعات وخناقات اتجوزوا وتيتة أعلنت إسلامها

وباقت عايشة مع جدو, وكانو كل فترة بيسافروا الإجازة في فرنسا ويرجعوا مصر؛ نظرًا لأن تيتة هي اللي باقت مسئولة عن المزرعة بتاعت بابها هنا في مصر, اللي هي المزرعة دي.

- آدم: تمام وبعدين!

- كارولين: وبعدين يا سيدي. تيتة سيلفيا قررت إنَّها تكتب المزرعة دي كلها باسم جدو بعد لما أهلها ماتوا في حدثة عربية, وباقت حياتهم كلها هنا في مصر, وبابا اللي هو مفروض ابن جدو.

- آدم: أيوه يعني ده جدو من باباكِ.

- كارولين: بالظبط كده, كارولين سيد إسماعيل... أنا...!

- آدم: تمام كملي.

- كارولين: المهم بابا لما سافر فرنسا وقرر إنَّه يمسك شغل العيلة هناك, اِتعرف على ماما جوليت, وخلفوني.

- آدم: حمد لله على السلامة, والله نورتي الحياة.

- كارولين: خلاص خلصت... ممكن أكمل بقى...!

- آدم: اه اتفضلي طبعًا...!

- كارولين: المهم بقى يا سيدي, عيشت أنا هناك شوية في باريس لحد لما جدو جيه وقرر إنَّه هيأخدني أعيش معاه في مصر, بعد لما شاف قد إيه بابا وماما مشغولين جدًا في الشغل ومعجبتوش فكرة الداده خالص, فقرر إنَّه هياخدني أول لما اتم 6 سنين..

- آدم: يعني على كده إنتِ بدأتي كمانجا في فرنسا وبعدين في مصر. صح كده؟!!

- كارولين : بالظبط, كانوا معارضين على فكرة سفري هتأثر على تعليمي الكامنجا والمفروض إن جدو قالهم إنَّها هتيجي مصر تكمل تعليمها للمزيكا.

- آدم: تصدقي أنا حبيت جدو إسماعيل أوي!

- كارولين: أيوه ولسه لما تتعرف عليه هتحبوا أكتر.

- آدم: هو المكان مالوا بقى هادي كده ليه؟!

- كارولين: كدة الناس بدأت تمشي, طب بص أنا مضطرة أمشي دلوقتي علشان ألحق جدو زمانو بيدور عليا.

نزلت كارولين في مرونة وخفة من على الشجرة ولحقها آدم. شاركها آخر تمشية إلى الساحة مرة أخرى, ما زالت الفرقة تعزف ولكن قلة الناس التي تسمع وبدأت بعض الأكشاش في غلق شبابيكها والاستعداد للرحيل. ارتسمت بسمة مليئة بالحب والتفائل على وجه كل منهم مصاحبة بدقات قلب تحسست سرعتها عند التماس أيدهم لبعض في لحظة السلام.

ساعة نحاسية اللون مدورة ذات سلسلة متوسطة الطول, منقوش على ظهرها ورود متداخلة في بعضها البعض لها باب نحاسي رفيع يفتح من الأمام بضغطة زر على أعلى الدائرة في بداية السلسة, لتظهر لك عقارب الساعة لخلفية بيضاء وعلى ظهر الباب النحاسي توجد صورة لطفلة صغيرة في فستان أبيض وعلى رأسها فيونكة.

- آدم: بس بقى يا ستي, وقبل ما تمشى إديتني الساعة دي وقالتلي ياريت نحافظ على الوقت بعد كده, وادي الساعة علشان ما يبقاش عندك حجة.

- جيهان: دي كارولين, اللي في صورة؟!

- آدم: اه لما كانت صغيرة.

- جيهان: تعرف إني حبيتها من كلامك... طب وإيه اللي حصل بعد كده!

- آدم: لا دي قصة يطول شرحها, المهم إنتِ بقى احكيلي أنا بكلم بقالي كتير.

- جيهان: بص هو أنا قصتي بدأت بسرعة وخلصت بسرعة!

- آدم: وأنا هسمع بسرعة!

جسر خشبي ذو ملمس ناعم, لامع المنظر ذو صلابة قادرة على حمل أوزان ثقيلة, وعريض ذو أرضية خشبة طال عليها الزمن لتفقط لونها الخشبي الغامق, وتكون ذو ملمس خشن جراء كثرة توافد الناس عليها, يعلو فوق نهر يتزين بأطرافه شجر ونخل طوليّ الساق ذو خضرة طبيعية, وفي نهاية الجسر توجد شجرة شقت طريقها في منتصفه طويلة ذو ساق رفيعة, قليلة الاوراق, أكمل آدم وجيهان تمشيتهما على الجسر بعد أن توقفو قليلًا لإكمال قصة آدم مع كارولين.

تختلف الأزمان وتختلف الأماكن, ولكن تبقى ذاكرتنا كما هي دون أي تشويه لأحداث نفضلها صعب أن تنسى, فتكون دواء لأحداث نعيشها.

لم يكن الإهمال من الكلمات المفضلة لدى جيهان, هكذا بدأت حكايتها لآدم. وكأنها كانت تحاول أن ترل له برسالة مجهولة العنوان, ولكن آدم بدوره أنكر وصول الرسالة منعًا وخوفًا من عدم وصولها بالصورة الصحيحة, كانت قصة جيهان تتلخص في تلك الكلمة التي طالما كان لها تأثير وذكريات عند سماعها تلك الكلمة, ولكنَّها في كل مرحلة من حياتها تكتشف تلك الكلمة بمعنى جديد, حيث أنَّها شاركت آخر تجاربها مع آدم حيث أن خطيبها السابق قام بإهمالها أكثر من مرة وهي تعرف ذلك ولكنها كانت تحاول أن تتجاهل تلك الكلمة نظرًا لأن علاقتهم دامت لأكثر من سنتين, على الرغم من أن كلمة الإهمال كانت لم تكن المفضلة لدى جيهان, كانت الكلمة المفضلة لديها فرصة, التي جعلتها تتحمل إهمال رجل لها أكثر من مرة.

- جيهان: لما مقدرتش أصبر أكتر من كده قولتله إننا لازم نسيب بعض, استغرب وطلب مني فرصة أخيرة, وبالفعل قلبي ماقدرشي يقول لا...

- آدم: وبعدين...!

- جيهان: ولا قبلين رجع قالي أنا مش عارف أعاملك زي مانتي بتعاملني وقد إيه أنا فعلا حاسس بالإهمال ناحيتك وإن دي حاجة مينفعشي تتعمل مع واحدة زيك, وسيبنا بعض... سافر هو على بريطانيا يكمل تعليمه هناك, وأنا فضلت في ألمانيا.

- آدم: يعني الكلام ده من بعيد بقى؟!

- جيهان: يعني تلت أربع سنين كده... المهم بص أنا كنت جايبالك هدية كده.

- آدم: هدية... هدية إيه!

- جيهان: بص هو أنا لاحظت إنك ما بتلبسشي ساعة وأنا بأفضل إن الراجل يلبس ساعة نظرًا لأن الوقت من أهم حاجة, وبردو في نظرية كده بحبها أوي, الرجال بيتعرف من ساعته وجزمته.

- آدم: طب مانا معايا ساعة أهي!

- جيهان: لا الساعة دي هتفضل في البيت ومش هتنزل بيها تاني وإنت معايا. اتفضل ساعتك الجديدة.

صندوق أسود مربع الشكل في منتصفه خط ذهبي اللون. يفتحه آدم ليجد ساعة ذو حواف ذهبية اللون بداخله قرص أبيض تتوسطه عقارب بنية رفيعة وعقرب ثواني أحمر وفي منتصف أسفل القرص توجد فتحة للتاريخ, يزينها سوار بني فاتح منقوش على طرفه الأعلى آدم, مطرز من أطرافه بخيط بني غامق ينتهي بازيم حديدي ذهبي اللون.

نظر آدم في ساعته ليكتشف إنَّه قد تأخرعلى موعده مع الأصدقاء. وقف من على سريره بعد إن لبس جزمته بنية اللون وتعدل في قميصه الأزرق ووضع هاتفه في بناطله الجملي اللون وانطلق إلى غرفة رَحيل -الجبلاية- ليطئمن عليها. وجدها ملقاة على الكنبة نائمة بجانب لوحتها التي انتهت من رسمها.

لوحة ذو خلفية رمادية اللون, في جانبها الأيمن قرص دائري لساعة حوافها ذهبية اللون وقرص أبيض عليه الأرقام بالأسود, وعقاربها ملقاه على الأرض وسوارها منقوش عليه توقعيها, وفي الجزء الأيسر من اللوحة رجل وامرأة يقفان بظهرهم على سور خشبي ماسكين يديهم, وفي نهاية اللوحة جملة: "لا يهم متى سوف نبدأ اللقاء, ولكن متى وكيف سوف ينتهي اللقاء..."

ضحك آدم وعرف مصدر تلك اللوحة أطفئ النور وتركها في نومها, وذهب لأصدقائه.

الفصل الثامن

تختلف أعمار وأنواع الجسيمات ويبقى الخوف هو العامل المشترك في تكوين دورة الحياة.

كل التساؤلات التي دائما ما تكون عائق لبداية شيء جديد في حياتك, سببها ليس حيرة لتشابها بتجربة سابقة أو نتيجة كسر جزء من شخصيتك, سببها بكل بساطة هو الخوف, الخوف من مواجهة شيء جديد, الخوف من نسيان التجربة القديمة ومواجهة جزء منها في التجربة الجديدة فتجعلك تتوقع النهاية, فيتدخل الخوف ليكون الصديق المقرب لك في تلك اللحظة فيجعلك تتخذ القرار فينتهي بك المطاف بنفس النهاية السابقة, وخوفًا من مواجهة الخوف الذي بداخلك يكبر حجمه مع كل خطوة تساؤلات تخلق الكثير من المبررات فقط لتجعلك تنسى السبب الأساسي في نهاية تلك التجربة ألا وهو الخوف.

نواجه كثير من الصعوبات والتساؤلات في الكثير من القضايا الهامة في حياتنا اليومية, ويأتي الخوف بدوره الرئيسي في إخفاء ورقة الفوز في تلك اللعبة ألا وهي ورقة الصراحة, تلك الورقة التي يهابها الخوف بكل معنى الكلمة فيتحول إلى طفل رضيع بنظرته البريئة ليجعلك تنظر له تاركًا تلك الورقة التي سوف تجعله رمادًا أسود سرعان ما يتطاير في الهواء ليبدأ رحلة جديدة في الترابط مع شخص آخر.

رَحيل, كانت دائمًا ما تستخدم ورقة الصراحة في الكثير من التساؤلات التي

تواجهاها, ولكن لسبب ما لم تعرف أن تخرج تلك الورقة مع أسر, وبدأ الخوف أن يظهر لها كالصديق المقرب ولعبت هي بدورها العبد المطيع لأوامره. وفي نفس الوقت كان أسر ذلك العامل الذي يحفر في قاع الجبل أملًا إيجاده الذهب الذي سوف يجعله أسعد رجل في العالم, وكانت تلك بداية الصعوبات والمواجهات ما بين العبد والباحث عن الذهب.

رصيف عالي عن الطريق العام, تتلون أطرافه بالأصفر والأسود ودلالة على غياب ضمير العامل, تتواجد بعض البقع الصفراء على المستطيل الأسود والعكس على المستطيل الأصفر, وفي وسط الرصيف تتوغل إحدى الأشجار بجذورها في الأرض فتخرج بقوتها إلى السماء مطلقة فروعها المزينة بالأوراق الحمراء والبعض منها بالأخضر. تتمشى رَحيل في بنطالها الجينز الفاتح واسع بعض الشيء, وقميص مخطط كحلي في أبيض بالطول وحذاء أبيض يعلوه خلخال بني اللون, تتحرك رَحيل وهي تتكلم على الهاتف منصتة لأوامره حتَّى تصل إلى المكان المراد, فيشاور لها آسر من الداخل.

- رَحيل: أيوه أيوه, خلاص شفتك... طب تمام يلا همشي أنا بقى!

- آسر: بطلي رخامة على أول اليوم, وخشي بدل ما الزمالك كلها تتفرج علينا!

- رَحيل: طيب طيب خلاص خلاص, أنا داخله أهووو.

حيطان مزينة بالكثير من لوح فنية, وبعض الأواني على الأرفف في توزيع عشوائي على الحائظ. تتواجد ترابيزات مربعة الشكل في المكان بالألوان المختلفة, وكراسي خشبية. يجلس آسر في الزاوية البعيدة في آخر يمين الممر تقترب رَحيل عليه لترمي السلام, تضع حقيبة ظهرها النسائية الصغيرة الجلدية بنية اللون ذو أذرع رفيعة.

- رَحيل: قفووش أووي إنت على فكرة.

- آسر: معلش... أصل أنا خلقي ضيق حبتين.

- رَحيل: طيب خلاص بقى يبقى مالوش لزمة إنِّي أديلك الهدية دي.

- آسر: هدية إيه؟!

- رَحيل: لا دي هدية كده. بس واضح إنك قافش فبعدين بقى.

- آسر: بطلي رخامة وغلاسة.

- رَحيل: ولد قلنا مش دلوقتي بعدين, أنا أصلًا جايه انهارده علشان الهدية دي.

- آسر: طب هتشربي إيه, أو هتاكلي إيه؟

- رَحيل: اختارلي إنت, المكان معرفوش فمش هبقى عارفه إيه الوحش وإيه الحلو.

طلب أسر قهوة له ولاتيه بالكراميل لرَحيل. لحظة صمت تتوسطها الرخامة بنظرات رَحيل التي طالما ما كنت عامل محفز لإثارة غضب أسر في أسرع وقت. وبعد لحظات بدأت في إخراج ما يمكن ان يهدئ ذلك الغضب.

- رَحيل: طب إيه هتفضل ساكت وبتبصلى شذرًا كده.

- آسر: هو مش من المفروض إن إنتِ اللي هتكلمي انهارده ولا إيه!

- رَحيل بنظرة خوف: مش عارفه. إنت إيه رأيك؟!

ذلك التردد ما بين البوح بالحقيقة, أم تذويرها خوفًا من خسارة ذلك الشخص, أو خوفًا من رؤية نفسه ضعيف فتنهار تلك الجدران الذي عزم بنائها لمنع دخول أي أحد جديد إلا بعد المرور على أكثر من بوابة للتأكد من نواياه هل هي حقيقة أم أنَّها مجرد سراب تختفي فقط عند الاقتراب منها, هكذا كانت رَحيل في جلستها أمام آسر, تساؤلات كثيرة أدت إلى صمت خارجي وكثير من الأصوات الداخلية

المتعاكسة في قراراتها التي أدت إلى رسم ابتسامة كاذبة سرعان ما تمَّ ملاحظتها من قبِل آسر.

ذلك السجن الذي تمَّ بنائه بفضل أفكارك وتجاربك فأصبحت أسير بداخله في بدلتك الحمراء منتظر بفارغ الصبر دخول إحدى رجال الحرس ليعلنوا عن موعد إعدامك فتظن بأنَّه الحل للخلاص من تلك الأفكار والتجارب, مستسلم لها بلا أي محاولة منك للدفاع عن نفسك ومحاولة إثبات عكس تلك الأحكام والأفكار السلبية التي جعلتها تتوغلك وكأنَّها فيروس يقتحم خلايا جسمك ليتغذى عليها. حاولت رَحيل بكل ما أوتيت من قوة وعزم في مواجهة ذلك الفيروس الذي توغلها بعد انتهاء علاقتها السابقة التي رسمت بها الكثير من الأحلام والأماني ومستقبل لعائلة جديدة مليئة بالحب والتفائل، ولكن فجاة اِنهارت تلك الأحلام وكأن إعصار هب فجأة وهدم كل تلك الأمنيات والأحلام فكل ما تبقى بداخلها ما هو إلَّا رماد الحروق الناتجة عن ذلك الإعصار وبقايا تراب جعلها غير قادرة على رؤية نفسها النقية, فجعلها تتسائل هل سبب ذلك الإعصار ثقتي في نصفي الثاني أم هل كبر أحلامي التي تعلقت بها كثيراً.

- رَحيل: بص يا آسر, أنا مش عارفة مفروض أفسر أو أشرحلك إزاي, بس يمكن كل اللي هقدر أقوله إنِّي فعلًا عاملوا زي المسجون ظلم بالبدلة الحمرا مستني يوم لما يتعدم علشان بس يخلص من كتر الصبر.

- آسر: طب وهو إيه اللي حصل لكل ده!

- رَحيل: تقدر تقول ثقة, إخلاص على شوية حب ومشاعر كتيرة كده وصلتني للي أنا فيه دلوقتي ده.

- آسر: هو أنا مش قصدي أقلل من اللي إنتِ فيه, بس مين فينا ماعداش على اللي إنتِ عديتي عليه.

- رَحيل: علشان محدش فينا عدى على نفس الموقف.

- آسر: بمعنى.

- رَحيل: بمعنى, إنت عديت على ارتباط وعملت كتير, بس كتير اللي إنت عملته غير الكتير اللي أنا عملته.

- آسر: على فكرة كلنا عندنا مشاعر وكلنا أكيد بنندم على بعض المشاعر اللي بنديها لناس في حياتنا.

- رَحيل: بس مش كلنا بنعرف نعوض المشاعر دي وننسى إننا ضحينا وجينا على نفسنا في مواقف كتير.

- آسر: طب هو المفروض إن أنا دلوقتي هحاول أخمن إيه اللي حصل, وإيه اللي خلاكِ زي المسجونة بالبدلة الحمرا.

- رَحيل: أيوه مش فاهمة!

- آسر: رَحيل, أظن إن أنا كنت واضح معاكِ في حاجات كتير, وفي حاجات أنا لسه أصلًا ماقولتهاش عني, بس من أبسط حقوقي إنِّي محتاج أعرف عنك حاجات إنتِ بس اللي عارفها محتاج أشوف رَحيل بشكل تاني, مش يمكن أكون أنا الشخص اللي هيجبلك البراءة من البدلة الحمراء.

- رَحيل: أو يمكن تكون اللي هيعلقني من حبل المشنقة, بس بيحاول يسهل عليا الموضوع.

- آسر: إنتِ هتخسري إيه أكتر من إنك لابسة البدلة الحمراء.

- رَحيل: والمطلوب مني دلوقتي؟

- آسر: الصراحة... خرجي كل اللي جواكِ, اِبدأي ثقي فيا ومتحملنيش ذنب أنا مش سببه.

- رَحيل: الصراحة ما بقتشي سهلة زي زمان بالنسبة ليا, بس هحاول, أوعدك!

انتهى اللقاء كنهاية قطارين يتشابهان في الكثير ولكن يختلفان في السكة الحديدة التي يتحركان عليها, غادر كل منهم فى طريق معاكس للآخر, أملين إنهم سوف يكونون قطار واحد مختلف في عرباته يومًا ما.

واجهة زجاجية لإحدى المطاعم يحيط بها إطار خشبي اللون وفي منتصفه رسمة لإحدى أنواع الورود وفي منتصفه اسم المطعم, وعلى إحدى جوانبه تقف فتاة بفستانها الطويل حتَّى سمانتها رمادي اللون ذو كم طويل تنظر إلى ذلك الشاب الذي يجلس بداخل المطعم ماسكًا كوب القهوة ناظرًا له بتركيز شديد, وتخرج من البنت العديد من الخطوط الملتفة حول بعضها البعض لتشكل وردة على شكل نجمة.

وضعت رَحيل ألوانها على الترابيزة بعد إن وقعت باسمها في أسفل تلك اللوحة على الجانب الأيمن, وجلست تنظر لها في اللحظة التي لفت شعرها حول فرشاتها المفضلة, لتتذكر تفاصيل ذلك اليوم بداية من مكالمة الهاتف حتَّى إن غادر كل منهم في طريق عكس الآخر, لم يكن القرار في ذلك اليوم قرار سهل على الإطلاق ليتم اِتخاذه سواء من جهة رَحيل أو جهة آسر.

تلك القرارات التي سعينا كثيرًا لخلقها في حياتنا وواجهنا العديد من الصعوبات والكثير من التضحيات؛ فقط لتكون جزء من حياتنا التي لطالما حلمنا بوجوده في حياتن, هي أصعب القرارات التي يتم التخلي عنها ولكنها ما زالت متواجدة كالشمس التي غاب ضوئها خلف سحابة مليئة بالغيوم في يوم ممطر.

صوت رشفة جديد من كوب النسكافيه الأسود الخاص بشهرزاد كان قادرًا على تشتيت فكر رَحيل وإخراجها من تلك الذكرى واستحضارها في الواقع التي لطالما تحب أن تغيب عنه لبضع أوقات.

- رَحيل: يابنتي حرام عليكِ والله الصوت القذر اللي إنتِ بتعملي ده.

- شهرزاد: لا بقولك إيه, المج مجي... والنسكافيه بتاعي, شكمنك ادينتي شوية سكر هتخليني أشرب بالأسلوب اللي يريحك!

- عمر: شيكمنك! إنتِ بتجيبي الكلام ده منين؟

- شهرزاد: اتلهي إنت كمان... هو النسكافيه يبقى مزاج كده غير بالشفتة الأولانية كدة وبصوت علشان تحس بسخونة دخول المزيج ده كله في بوقك كده... يا سلاااااام.

- رَحيل: إنتِ مش ملاحظة إنك بنت ومفروض بيبقى في إنوثة تحافظي عليها, أمال سيبتي إيه للمنيل ده.

- عمر: مش فاهم أنا والله.

- شهرزاد: خلصتووو... بردو هشربه كده واللي مش عجبه يطلع برا.

- رَحيل: براحتك يا حياتي.

- شهرزاد: حياتي... بس سيبك إنتِ, اللوحة دي حلوة مابتفكرشي بحاجة اللوحة دي يا واد يا بيكاسو!

- عمر: اه مش ده اليوم لما حبيب القلب غادر القلعة المحصنة وحضرتك مفكرتيش حتَّى تقولي اِستنى.

- شهرزاد: أيوه بالظبط, فعملتي زي اللوحة كده فضلتي واقفة من برا بتتفرجي عليه.

- رَحيل: محدش فيكم فاهم أي حاجة, ولا حاسس بأي حاجة.

- عمر: والله انتو اللي مافهمين حاجة، الراجل عمل معاكِ كل حاجة, هدايا

إنتِ بس اللي بتحبيها وجبهالك، صبر على كمية التطنيش وكمية القسى وصبر, جيه على نفسه في حاجات كتير علشان بس يرضيكِ ويحاول يكسب ثقتك.

- شهرزاد تقاطعه: وإنتِ جبلة ولا بتحسي, كل اللي شايفاه إنك مجروحة, ومش عارفة تشوفي الدواء اللي هيعالج الجرح ده.

- رَحيل: يعني أنا اللي دلوقتي بقيت اللي غلطانة, طب معلش بقى هو اللي عمله ده إنه سابني في نص المشوار ده عادي يعني, منين كان بيحاول يكسب ثقتي ومنين سبني ومشى.

- عمر: علشان بكل بساطة, كل بني آدم له طاقة وله حدود.

- شهرزاد: بالظبط كده.

- رَحيل: طب ماهو أنا لما فتحت الباب قبل كده, حصل اللي حصل وإنتو عارفين إن عانيت قد إيه.

- شهرزاد: وهو إيه ذنبه في كل ده!!

- رَحيل: ذنبه الوحيد إنه اختار واحدة زي... بس على فكرة أنا في الأول قلتله بلاش أنا لأني مش شخصية سهلة.

- عمر: رَحيل, إنتِ شخصية سهلة قصدي إن اللي بيحبك بجد هيعرف يفهمك إنتِ بس اللي بتصعبي الموضوع على نفسك مش أكتر.

- رَحيل: طب ممكن كفاية رغي ونركز شوية في شغلنا، لسه فاضل لوح كتير عندنا مخلصناهاش... ممكن!

تلك اللحظة التي تقف فيها وسط مياه البحر مستمتعًا بمولحة مياهه وأشعة الشمس الساطعة على بشرتك وإحساسك بمدى قربك إلى تلك السحب المتناثرة فتجلعك ترى الدنيا بمنظور آخر يختلف عن كل واحد, وفجأة تأتي موجة من بعيد

فيكون لديك اختيارين, توغلها بكل ما أوتيت من قوة, أو الغطس بكل قوة كاتمًا إنفاسك منعًا لمواجهتك تلك الموجة, هكذا نتعامل عند مواجهة الحقيقة والقليل من الصراحة.

لم تقدر رَحيل على مواجهة تلك الموجة القوية القادمة بشدة وسط اِبتسامتها وهي تنظر إلى تلك السحب, ليس فقط لمعرفتها بأنَّها الصراحة والحقيقة التي يجب أن تسمعها وتقولها لنفسها, ولكنها لم تكن تدري ما هو الرد المناسب في تلك اللحظة. هل أسر فعليًّا سوف يكون ذلك الشخص الذي سوف ينهي كل تلك الأوهام والافتراضات بعدم نجاح أي علاقة اِرتباط, أم سوف يكون لوحة جديدة تضاف في قائمة لوحتها التي تمَّ رسمها محاولة إخراج تلك الأفكار والمشاعر التي لا تقدر على مواجهتها نفسيًّا.

انتهى الثلاثي المشاكس من وجهات النظر المختلفة التي ما دائمًا تتشابه في تلك السكاكر التي عندما تلمس لسانك تشعر وكأن حرب داخلية تحدث وأنت غير قادر على إنهائها وفي نفس الوقت تكون سعيد بما يحدث, والحل الوحيد لإنهائها هو الصبر ليتم اِبتلالها بأنزيمات فمك فتتحول إلى حلوى بطعم الفاكهة المفضلة لك. هكذا ما كنت تكون مناقشات الثلاثي المشاكس, الكثير من الكام يليه صمت يخرج في لوحة فنية.

تي شيرت أبيض لإحدى الشخصيات الكرتونية المشهورة "تاز المشاكس" وفي نهايته شورت أسود مشجر بالورود الحمراء والزرقاء, وفي رجله شبشب أسود رياضي, هكذا كان شكل زكريًّا واقف متكئ على الباب حاملًا في يده طبق أبيض عليه سندويتش كبده متناثرة حوله بعض بقايا الكبدة, وفي يده الأخرى ساندويتش تمَّ إضافته في معدة زكريًّا.

وسط نظراته لذلك الثلاثي المشاكس الذي على غير عادته يكون صامتًا وسط

مكانهم المفضل, ولكن حاسة الشم الخاصة بشهرزاد كانت كافية لتحويل ذلك الصمت إلى صوت إزعاج وسط توغلها تلك اللوحات وكأنَّها راقصة باليه, فسرعان ما تحولت تلك المهارة إلى وقوع لوحة واحدة فادت إلى وقوع باقي اللوح, فتحولت من راقصة باليه إلى أسد يحاول الوصول إلى فريسته.

- زكريًّا: حيلك حيلك... رايحة فين؟!!

- شهرزاد: إيه يا زيزو... مش دي كبدة بردو.

- زكريًّا: لا دي مش كبدة.

- شهرزاد: أمال إيه الريحة دي!

- زكريًّا يأكل آخر ساندويتش: دي كانت ريحة ساندويش كبدة، بس راح لمكانه.

- شهرزاد: اخِس عليك يا زيزو مش أسلوب ده.

- رَحيل: بصي حاجتين متحوليش تأخديهم من أونكل زيكو... الأكل والستات.

- شهرزاد وهي تأكل آخر قطعة كبدة: طب أنا جعانة دلوقتي والكبدة اللي راحت دي جوعتني أكتر.

- عمر: نفسي أعرف الأكل اللي بتكليه ده بيروح فين برفعك ده.

- شهرزاد: مالكش دعووة، أنا حلووة وسمباتيك وهفضل طول عمري سمباتيك.

- زكريًّا: طب هو أنا عمومًا كنت طالع علشان أقولكم إن في أكل تحت, كبدة وسجق كتير.

- شهرزاد: قول والمصحف كده.

- زكريًّا: والمصحف.

- شهرزاد: لا عالي صوتك وقولها كاملة.

- زكريًّا: طيب أنا هنزل وخليكِ إنتِ هنا, الأكل هيبرد.

- عمر: سلامووو عليكووو... هنسبقك إحنا بقى يا سمباتيك.

وفي نفس اللحظة التي تحرك فيها عمر متجها إلى الطابق السفلي, تفاجأ بسحبه من حيث لا يدري كان كافي لإسقاطه على الأرض وهو يرى شهرزاد مغادرة إلى الطابق السفلي مرسومة على وجها ابتسامة انتصار.

- زكريًّا: لما إنت مش قدها بتعاند معها ليه... وكمان ده أكل بصراحة, إلا الهزار في الأكل.

- عمر: طب مش هتقومني علشان ننزل ناكل مع بعض.

- زكريًّا: هو أنا اللي وقعتك, أنا نازل أكل قبل ما السمباتيك تخلص على الأكل.

- رَحيل: هات أيدك يا جردل...علشان ماتهازرهشي معها تاني في الأكل.

تمثال حصان خشبي صغير الحجم يخرجه آدم من صندوق خشبي أسود منقوش عليه من الخارج أسمه, يدوي الصنع بيد ليست حرفية لتواجد بعض الشوائب على أرجله, ولكن حب الشخص الذي صنع ذلك الحصان جعله يبدو وكأنَّه أفضل تمثال في العالم بالنسبة لآدم.

انتهى الجميع من الأكل وتنظيف الصحون وتنظيف الترابيزة, وتجمعو حول آدم وهو يجلس على الكرسي، وتلك الابتسامة مرسومة على وجهه وهو ينظر إلى ذلك الحصان في تركيز في كل زواية من زواياه. انجذب الجميع في محاولة سر تركيز آدم مع هذا الحصان.

- رَحيل: إنت كلت يا بابا!!

- آدم: هـاا... اه اه اتعشيت.

- عمر: هو إيه الحصان ده يا عمو!

- آدم: هو الواد ده لسه مروحش!

- عمر: أنا ملاحظ إني بقيت ملطشة في البيت ده.

- شهرزاد: ولد متقلشي على نفسك كده, وكمان هو أنا مش لسه مديالك سنكوتش كبدة.

- آدم: حبيبى يا عمورة بهزر معك.

- عمر: هو حضرتك اللي عملت الحصان ده!

- آدم: لا أنا ماليش في الحاجات دي خالص, هو جالي هدية من شخص له عنده مكانه خاصة!

- رَحيل: إيه ده مش ده الحصان اللي ماما عملته قبل كده لحضرتك!

- آدم: هـاا... أيووه هو ده بالظبط.

- رَحيل: كان اسمه... اسمه...

باب خشبي كبير الحجم عند مرورك به تدخل على ساحة كبيرة منقسمة إلى ثلاثة أقسام على يسارك اِستراحة تحت مظلة خضراء ترفعها أربع عواميد خشبية متزينة بالورود في نهايتها وتوجد عواميد خشبية صغيرة في أعلاها تنع منها رائحة الجاز لتستخدم للإنارة ليلًا وتنتشر تحت تلك المظلة أربع ترابيزات خشبية الصنع ومكان قابل للاستخدام كمطبخ صغير بجانبه شواية, وفي منتصف تلك الساحة توجد ساحة مستطيلة محاطة بسور خشبي أبيض اللون ذو أرضية رملية مزينة بالحشائش والبعض من الورود لتضع لمسة جمالية, أخيرًا على يمينك سوف تجد الكثير من البيوت الصغير ذو باب خشبي متعدد الألوان بعضها, بنفس ترتيب ألوان قوس قزح.

عبور آدم من تلك البوابة خلف جيهان كانت لحظة قادرة على تسارع دقات

قلبه وكأنك تقف أمام حصان أنهى سباقه فتكون قادرًا على رؤية انقباض رئتيه, انتهت تلك الدقات المتسارعة برسم اِبتسامة ونظرة تعجب وبهجة على ذلك الإسطبل مرورًا بالاستراحة حتَّى رؤوس الأحصنة الخارجة من كل بيت في الإسطبل وأصواتهم التي كانت تعلو في المكان وكأنَّهم يطالبون بالخروج إلى تلك الساحة وتمرين تلك العضلات.

فرسة بيضاء تتمختر خارجة من بيتها في شموخ رافعة رأسها للأعلى وكأنَّها حست بخروجها من سجنها فتحرك رأسها يمينًا وشمالًا فترى جمال تحرك شعرها الرمادي وهي تغمض عينها في ثواني فترى ذيلها بدوره يلتف حول نقطة اِرتكازه فترى مدى لمعانه ومدى ثقله, فتظهر تلك السعادة بصوتها الناعم فتقف محركة أرجلها الأمامية في الهواء واقفة على رجليها الخفليتان, ثواني وترجع تقف مرة أخرى على أرجلها الأربعة وتقترب من جيهان وتحك رأسها في كتفيها, فترسم اِبتسامة لي وجها وهي مغمضة عينيها وبدورها تحك جهان رأسها فس رقبة الفرسة وهي تحضنها, فينتهي بها المطاف وهي تمسك اللجام وتشدها متجهة إلى تلك الساحة الرملية.

تختلف الحرية من شخص لآخر فمنا من يراها في المظهر ومنَّا من يراها في ثقافته ومنا من يراها في أفعاله, ومنا من يراها في مدى تواصله مع شخص ما فعند وجوده حوله يطلق ما بداخله من ثقافة ويظهر بمظهر مختلف ليطلق العنان لكل أفعاله دون التفكير بها.

وقف آدم على السور مربعًا يديه متفرجًا على تلك الفرسة وهي تتحرك في شموخ وسعادة في دوائر غير منتهية بسراعات متفاوتة حول جيهان, لتترك جيهان فجأة ذلك اللجام لتعطي فرصة إلى تلك الفرسة في التحرك بكل حرية دون أي قيود لتقترب من آدم وتتسلق ذلك السور لتجلس عليه بجانبه وتمرجح برجليها ذهابًا وإيابًا وهي ممسكة بكل قوة أعصاب يديها بالسور.

- جيهان: إنت بتعرف تركب حصان؟

- آدم: يااااه.. طبعًا طبعًا.. بس كل لما بركبه لازم أقع.

- جيهان بضحكة: لا بجد!

- آدم: اه والله أنا مابعملشي حاجة في حياتي غير إني أروح أقع من على الحصان, قصدي أروح أركب الحصان.

- جيهان: واضح واضح.

- آدم: اه لا دانا فارس مفيش منه.

- جيهان: حسيت.

- آدم: وده بقى حصانك, واضح إنَّه بيحبك!

- جيهان: بتحبني... دي اسمها حورية أنا اللي ربيتها ولازم كل يوم أجي أسرحها, وأطلعها تجري شويه كده، وزي ما شفت أول لما شافتني بتبقى فرحانة كده ومبسوطة.

- آدم: اه ده واضح جدًا... بس ليه حورية!

- جيهان: كنت منتظرة السؤال ده... وإنت مالك... بهزر بهزر!

اِلتفت جيهان على السور لتخرج خارج الساحة الرملية بكل حركات طفولية وسعادة, رفعت يديها بعد أن أخرجت تفاحة منادية لحورية فأتت بكل رشاقة لتقترب وتأخذ تلك التفاحة الحمراء لترجع إلى الساحة لتمرين عضلاتها والشعور بالحرية في شموخها.

- جيهان: بالنسبة لحورية, هنأجله شوية, أنا عندي ليك سؤال تاني!!

- آدم: اتفضلي!

- جيهان: يعني إيه حرية في وجهة نظرك!

- آدم: هاا... حرية يعني... يعني... إيه السؤال ده؟

- جيهان: مالو صعب أوي للدرجة دي!

- آدم: مش فكرة صعب على قد ما هو إجابته ذات نفسها مش هيبقى فيها حرية.

- جيهان: قصدك يعني إني ممكن أحكم عليك, لا متخافش أنا مش من الشخصيات اللي بتحب تحكم على حد, وكمان دي حرية شخصية.

- آدم: تمام... هو دلوقتي بصراحة مفيش حاجة في دماغي.

- جيهان تخرج تفاحة منجيبها: خد تفاحة يمكن تعرف تفكر.

- آدم: إيه المعاملة دي هو أنا حصان عندك في الإسطبل.

- جيهان: تعرف بقى إن الحصان من أحد الحيوانات اللي عارفه معنى الحرية بكل بساطة من غير أي قلاقيع زيننا إحنا كبني آدمين.

- آدم: بمعنى إيه مش فاهم.

- جيهان: الحصان الحرية بالنسبة له أن يجري دون أي قيود, من غير لجام, من غير أي حاجة تتحكم فيه, يحب يعيش منه للطبيعة, لكن أول لما بيجي عندنا إحنا كبشر بيتحول عبَد, وأداة لنقل كل ما هو ثقيل, ونسى أصله اللي هو الخيلاء.

- آدم: خيلاء!

- جيهان: الحصان مفرد أحصنة, ومعروفة بردو بالخيل أو الجياد والاسم ده سموه العرب دليل لأن الأحصنة بتشعر بالخيلاء في مشيتها أو لما بتبقى واقفة.

- آدم: أيوه بردو الخيلاء يعني إيه!!

- جيهان: الخيلاء يعني التكّبر والفخر... وصلت كده المعلومة.

- آدم: اه وصلت تمام... فهمي على قدي!

- جيهان: متأكد إنك مهندس.

- آدم: ودي إيه علاقتها بهندسة.!

- جيهان: يعني اللي أعرفه إن بتوع هندسة بيحبو يقرأه كتير بطبيعة إنَّهم على طول بيذاكرو.

- آدم: في مثل مصرى لذيذ اسمه صوابعك مش زي بعضها.

نتميز نحن البشر في تحويل كل ما هو جميل إلى شيء آخر لا يهم ما سوف يكون ولكن كل ما يهم إنَّه سوف يخصنا نحن فقط, وللعودة بالزمن قد تم تحويل ذلك الخيل الذي كله شموخ وكان رمز من رموز الحروب إلى أداة نقل ونسى أصله وأصل معنى اسمه, فنتعجب من عدم معرفتنا معنى كلمة الحرية فنقف ناظرين إلى جمال تلك الخيول وهي تجرى في شموخ وسط سباق ما أو عند رؤية صورة لها في إحدى المجلات وسط الطبيعة الخلابة فنصمت ونحاول أن نجد إجابة لتلك السؤال.

ظل آدم يفكر في إجابة ذلك السؤال ما معنى الحرية, مِمَّا أضاف الصمت للحظات بين آدم وجيهان في لحظات مرورهم على تلك البوابات الملونة وإخراج جيهان تفاحة من جيبها لكل حصان أو فرسة بابتسامة.

- جيهان: ها عرفت معنى الحرية!

- آدم: من وجهة نظري المتواضعة, الحرية يعني أعمل اللي أنا عايزه من غير أي قيود ومن غير اهتمام لرأي أي حد.

- جيهان: لا ده كلام جرايد ومجلات, بس هتقبل الإجابة دلوقتي.

- آدم: طب وبالنسبة بقى لحورية... ليه اسم حورية!!!

يعلو صوت الخيول في الإسطَبل لحظة إدخال جيهان لروح داخل غرفتها,

تتعجب جيهان من علو صوت الخيول ويرتعب آدم بعض الشيء من تلك الأصوات, لحظات وتظهر أصوات محركات سيارات نصف نقل تدخل إلى المزرعة ليبدأ الرجال بالنزول من على السيارات والبدء في تحميل الأخشاب والمُضيّ داخل المكان. تبدأ جيهان في غلق كل أبواب بيوت الأحصنة وفتح الأنوار الداخلية مع بدأ غروب الشمس.

- آدم: إيه ده في إيه؟!

- جيهان: لا دي تجهيزات للحفلة الثانوية بتاعت جدو, وطبعًا إنت هتيجي.

- آدم: هي امتى طيب؟!

- جيهان: المفروض إنها هتبقى بعد بكرة الساعة 8 بليل.

- آدم: هحاول أجي...!!

- جيهان: بتعرف ترقص؟!

- آدم: ليه, أسئلتك انهارده غريبة؟

- جيهان: علشان لما تيجي لزوم الحفلة والرقص, ولا هتكسفني!!

ترابيزة دائرة الشكل مصنوعة من الخوص يتواجد عليها لب وسودانى وبعض أنواع المكسرات المختلفة, وعلب عصير, في البلكونة محاطة بسور أبيض يتوسطه فراغات هندسية مثلثة الشكل, وتجلس العائلة والأصدقاء حول تلك الترابيزة, تمسك رَحيل ذلك الحصان وتنظر له بابتسامة.

- آدم: الفرسة كانت اسمها حورية.

- رَحيل: ايوه حورية... ماما كانت حكيلتي عنه في الحكايات اللي كانت بتحكيهالي, بس مقالتليش إنَّها بتعرف تركب خيل قبل كده.

- آدم: هاا.. لا جي جي كانت بتعرف تعمل حاجات كتير.

- زكريًّا: على يدي... بس إنت قليل الأصل يابو دومه, العشرة اللي ما بينا ولسه مخدتش فرصة إني أدخل صول.

- رَحيل: مش لما أبقى ادخلها أنا الأول!

- آدم: أهي ردت عليك أهي.

- زكريًّا: واضح إني بقيت ملطشة في البيت ده.

- عمر: أهلًا بيك يا عمو زيكو, اتفضل خش رابع جنبي ورا.

- شهرزاد: زعفران متقولشي على نفسك كده إنت أحلى مهمش في شلتنا.

- آدم: وهي دي بقى يا ستي إجابة سؤالك... حورية.

- شهرزاد: حورية إيه!

- آدم: حرية... إيه اللي مسئول عن نجاح أي علاقة ارتباط ما بين الرجل والست!

- شهرزاد: مش فاهمة!

- عمر: قابل بقى حضرتك شرح للصبح.

- آدم: قصدى يعني, وجود الحرية في كل حاجة ما بين الراجل والست هتبقى بكل بساطة دليل على التفاهم والثقة مابينهم... فهمتي!

- شهرزاد: وصلت, وكله تحت السيطرة حضرتك.

غادر الثلاثي المشاكس البلكونة عودة إلى موطنهم الأصلي وسط اللوح والألوان تاركين زكريًّا وقصص آدم التي لا تنتهي, وبدوره آدم وزكريًّا ذهبًا إلى المطبخ لينظفو ما تمَّ إتساخه ورمي القاذورات في مكانهم. وفي وسط تلك المهام رن جرس

الباب وتحرك زكريًّا ليرى من على الباب, عند وصوله لم يرى أي أحد وإنما وجد حقيبة سوداء وعليها ورقة مكتوب عليها: "حتَّى لا تكون لوحك بالأبيض والأسود, لكِ وحدك". اِلتف زكريًّا ليجد رَحيل تقف على السلالم وظهر آدم له وهو يغسل الصحون, مشاورات وحركات بالإشارة من رَحيل إلى زكريًّا دلالة على الكذب.

- آدم: مين يا زيزو!

- زكريًّا: هاا... ده ده ده.

- آدم: مالك في إيه هو إنت شفت عفريت؟!

- زكريًّا: اااه ده دليفري باسم شهرزاد فرش جديدة وألوان ومفروض إن هي دافعة أونلاين.

- آدم: شهرزاد!

بالرغم إن زكريًّا كان سريع البديهة والتصرف إلَّا أنه لم يكن ذلك الشخص الذي يقدر على كتمان السر لمدة طويلة, أو بمعنى آخر لم يكن ذلك الشخص القادر على تغيير الحقيقة عند النظر في عينيه. علاقة آدم وزكريًّا لم تكن فقط علاقة محبة وصداقة دامت لأكثر من عشرون سنة ولكنها تمثل الكثير فكل منهم معه مفاتيح الآخر فبنظرة أو من خلال نبرة الصوت فيكون كلاهما قادرين على التمييز ما بين نوع المعلومة هل هي صادقة أم كاذبة.

نزلت رَحيل في سرعة لتأخذ تلك الشنطة والورقة من زكريًّا قبل أن يلاحظ آدم أي شيء, فهرعت إلى فوق مرة أخرى لتكمل ما تفعله في الإستوديو الخاص بها هي والثلاثي المشاكس, ولكنها توقفت لثواني فور سماعها ذلك الحديث الذي أجبرها على الوقوف لسبب ما.

- زكريًّا: من أمتى جيهان بتعرف تركب حصان, هو مش مفروض إن إنت اللي علمتها!

- آدم: ومن اِمتى وشهرزاد بتجيب علب ألوان ملفوفة في شنطة وكمان على عنوان البيت بتاعنا!

- زكريًّا: هو اللي أنا مش فاهمه ليه حكيت قصة كارولين على أساس إنَّها جيهان.

- آدم: وأنا مش فاهم بردو مفروض إنت ورَحيل مخبين إيه عليا, وناوين تحكو, وعلى فكرة أنا مش أهبل ولا عبيط, أنا بس كل ما في الموضوع إني مستني رَحيل هي اللي تيجي تحكيلي حكايتها مع الولد ده اسمه إيه.

- زكريًّا: آسر... متغيريش الموضوع جاوب على سؤالي, وإنت عارف إني مقدرش أقول حاجة متخصنيش.

- آدم: مابغيريش الموضوع, أنا حبيت اسم حورية أكتر ومؤمن بيه أكتر لإنه جيه من جيهان حبيت فكرة توغل جيهان وإنها عملت الحصان ده وعملت الصندوق ده بردو علشان يبقى جاي منها.

زكريًّا: بس ده مايديكش الحق إنك تكذب على رَحيل حتَّى لو كانت ذكرى بتحبها.

- آدم: ماكدبتش يا زكريًّا... أنا قلت نص القصة أو بمعنى أصح أنا قلت القصة بعد لما جيهان توغلت فيها وأنا كنت راضي بده جدًّا، وإنت عارف كويس إن مش هينفع أكلم عن كارولين قدام رَحيل, على الأقل مش دلوقتي.

- زكريًّا: يبقى ماكنتش حكيت أصلًا يا صديقي، أنا مش قصدي أضغط عليك, أنا بس مش حابك ترجع تاني لذكريات كارولين.

- آدم: بص يا زكريًّا كارولين وجيهان ورَحيل هما من إحدى الأسباب إني عايش طبعًا بعد ربنا الحمد لله.

- زكريًّا: طب ليه متحكيش لرَحيل, وتشيل شوية من الحمل ده.

- آدم: أنا مش قادر أخسر آخر حاجة باقية من جيهان، ومعرفشي رَحيل ممكن تتقبل الحوار إزاي.

- زكريًّا: أيوه بس.

- آدم: أنا آسف يا زكريًّا بس مش قادر أكمل, معلش ممكن تكمل غسيل الحاجات دي وأنا هروح صول, محتاج أفصل شوية.

من الظالم, ظروفنا أم أنفسنا, من الصادق, عقلنا أم قلبنا, من الأصح, صدقنا أم كذبنا المبرر. إذا مررت للحظة متعجبًا في تلك الأسئلة سوف تجد أن الإجابة تكون القليل من كلاهما.

بالرغم من هروب رَحيل من تلك المحادثة التي كانت كافية أن تجعل دموعها مطبوعة على منديلها, لم يهرب آدم من حديثه مع زكريًّا. انطلق آدم إلى غرفته المفضلة صـول المكان الوحيد الذي قادر على تهدئته نفسيًّا وعصبيًّا, فالذكريات التي يحتويها ذلك المكان ليست مجرد ذكريات لأهم شخصيتان في حياته بل هي حياته.

جلس آدم على مكتبه فتح الصندوق مرة أخرى, نظر إلى نفس الحصان وأخرج ذلك المنديل الأبيض ليشمه ونظر في تلك الرسمة بكل حب فكانت كافيه لتجعله يرجع رأسه للخلف مغمضًا عينينه والابتسامة تتسع على وجه ثانية تلو الأخرى حتَّى ترتكز رأسه على ظهر الكرسى ويضع المنديل والحصان في حضنه بيديه الاثنتين, وكأنهما طفل الرضيع.

بوابة حديدية سوداء مفتوحة على مصرعيها, والكثير من السيارت تدخل من خلالها, يقف الخدم بلباسهم الأحمر المشجر برسومات ذهبية وعمة بيضاء في وسطها طاقية حمراء, وفي منتصف المدخل ميدان متوسط الحجم يتوسطه نافورة كبيرة في نهايتها حصان واقف على أرجليه الخلفيتين ويخرج من فهمه مياه, وحول النافورة ثلاثة دوائر من ألوان مختلفة للورود منظمة من الداخل إلى الخارج.

أبدع هؤلاء الخياطون في خياطة تلك الفساتين بألوانتها المختلفة, فمنهم القصير ذو أذرع على رفيعة بسيطة في قصته مليئة بالتفاصيل يتوسطه عقد لجوهرة حمراء على شكل قلب حاملة في يديها شنطة صغيرة وذراعها الآخر ملفوف داخل بدلة بنيَّة اللون دقيقة المقاس تتماشى في أنوثة بجانب رجلها متجهين إلى صوت الموسيقى, وفستان أيضًا طويل ذو ذراع واحد أسود اللون مرسخ بقطع لامعة في أبعاد متناثرة عليه, وكأنَّها تبدو في هيئتها حورية البحر, أضاف له خياطه ذيل ذو قماشة خفيفة منقوشة بالكثير من الورود السوداء فأضاف لأنوثتها رونق آخر فيأتي صاحب الحظ في جلب يديها وتقبليها ليذهبوا خلف بقية الناس.

فستان أبيض اللون, ذو رقبة واسعة على شكل مثلث مقلوب في منتصفه عقد على شكل وردة في نهايته, وكمام على طرفيه خفيفة الطبقة تنتهي عند كوع كتفيها, ضيف عند الخصر ذو قماشة ناعمة سادة دون أي زخارف، ومنفوخ وواسع في بقيته حتَّى أسفل ركبتيها متزين بالورود السوداء عند أطرافه، بالإضافة إلى بعض غرز لؤلؤي اللون منتشر وكأنَّه قلب تلك الورود, وفي رجليها حذاء أسود ذو كعب رفيع وشريطة سوداء حول رجليها على جانبيها وردة صغيرة سوداء, وتختفي أصاباعها تحت جلد ذلك الحذاء ذو وجه مدبب.

تمثال أبدع نحاته في نحاتته وفي كل تفاصيله بدأ من وقفتها حتَّى ملامحه

التي توحيلك بالتعجب وعدم مصداقية ما تراه عينيه, هكذا كان آدم عند رؤيته كارولين في ذلك الفستان الأبيض وسط وروده. أمسك يديها عند رؤيته لها وقبلها ونظراته لم تتحرك عن عينيها مِمَّا أدت إلى كسوفها فتحركت ماسكة يديه لتسحبه إلى الداخل ليجد ذلك الإسطبل مكان آخر غير الذي زاره من يومان مضو.

ساحة رقص بدون سور حولها بدلًا من الساحة الرملية في نهايتها تقف الفرقة الموسيقية بالمايسترو بزواية مائلة على مسرح علوه سلمتين ليتمكن الحاضرين تحت المظلة من مشاهدتهم بكل وضوح, تنتشر الأضواء على الأشجار حتَّى نهايتها لتلمس الأرض وتعطي إضافة خافضة للمارين بجانبها, وحول ساحة الرقص تنتشر الأعواد الخشبية وفي نهايتها شعلة نارية ملفوف حولها قماشه بيضاء ناعمة الملمس لامعة للعين, ينتشر الراقصون في منتصف الساحة على أنغام العازفون بكل رومانسية وبهجة وسعادة على وجوههم.

- كارولين: ها بتعرف ترقص ولا تحب نشرب حاجة الأول!

- آدم: اسمحيلي أقولك أولًا إن شكلك انهاردة زي الوردة اللي لسة مفتحة وورقها ملفوف حوليها ورحيتها مفوحة في المكان ورحيقها لسه منشفشي.

- كارولين: يبقى نشرب حاجة الأول, أنا... أنا... هروح أجيب حاجة نشربها و... و... أووف بقى... هرجع تاني هرجع تاني.

أرضية خشبية ناعمة الملمس, تتركز عليها إضاءة خافضة, أحذية نسائية مختلفة الألوان تقابلها أحذية رجالية, يتحركون في خطوات منسقة عكس بعضهم البعض, تعلو نغمات الموسيقى على أغنية ليلى مراد "أنا قلبي دليلي" فتتغير وقفة تلك الأحذية ليبقوا جنبًا إلى جنبًا يتحركون بخطوات منظمة في دائرة كبيرة يسند الرجل كتف السيدة بجانبه, لحظات تمضي, وفي لفة سريعة تلتفت كارولين

لتواجه آدم وجها لوجه ذراعها الأيسر مشدود ومرفوع على ذراع آدم الأيمن الذي يتسقر على ظهرها ويمسكون بيديهم الآخرين, فيتحرك جسمهم وكأنهم جسم واحد يتحرك معًا في خطوات منظمة وسلسة, وتتلاقى أعينهم في نقطة واحدة فتتسع بؤبؤة العين فبدورها تسحب كل الهواء المتواجد في رئتيهما فينطلق تحذير ما عن نقص في الهواء وارتفاع في سرعة دقات القلب, فتتغير الرقصة ليتم اِلتفاف كارولين حول نفسها ممسكًا يد آدم فيجبلها بقوة وسرعة نحوه فترجع هي بدورها دون أي اعتراض لتنتهي الرقصة وهي ساندة ظهرها على كتفه, فتتوقف الموسيقى وتعلو دقات قلب كل منهما بنغمة مختلفة عن الآخر.

- آدم: ماجوعتيش!!

- كارولين: ها... اااه... اااه ماجوعتش!

- آدم: أيوه يعني تحبي نروح ناكل طيب!

- كارولين: ناكل... اااه تعالى ناكل أنا فعلًا جوعت جدًا.

نفس تلك الشجرة الضخمة التي تنتشر أوراقها الخضراء في الفروع العليا فقط, وقليلة في الفروع القريبة من الأرض, ونفس تداخل جذورها الضخمة في بعضها البعض, يجعل آدم في كل مرة يقف أمامها أن يصاب بالذهول, نظرًا لما يلبسه كل منهما من ملابسة مهندمة غير قابلة لتسلق الشجرة, خلع آدم جاكيت البدلة بعد أن أعطى تلك الأطباق إلى كارولين لتحملها, ووضعه على إحدى تلك الجذور الضخمة أخذ الأطباق وتعدلت كارولين في فستانها لتتمكن من الجلوس.

لكل منا ذلك الشخص الذي تحب أن تستلذ جلستك بجانبه فيجعلك تحس وإنكم تتكلمون في صمت عبر إرسال إشارات عصبية عبر خلايا المخ, بعض الإشارات تجعلك تبتسم وإشارات أخرى تجعلك تلتزم صمتك, وإشارات أخرى

تجعلك متشوق لسماعها صوت وصورة فيظهر قلبك في منتصف ذلك الحديث ليوقظ تطفلك.

- آدم: ها بقى ليه روح!

- كارولين: ليه مش روح!

- آدم: لا مابحبش أنا الرد على سؤال بسؤال, لما إنتِ سألتي يعني إيه حرية أنا جاوبت.

- كارولين: قصدك على إجابة المجلات دي. هعتبرها إجابة.

- آدم: طب وأنا مش ناوي أنول الفرصة واعتبرلك أي إجابة.

- كارولين: ليه روح... بكل بساطة لأننا عبارة عن روح, كل حاجة حوالينا هي روح, واللي بيميز ما بين أي اتنين الروح... ولما بتحب تمدح حد بتقول روحه حلوة... الروح هي أنقى حاجة ممكن تشوفها في أي حد، وعلشان اللغة الوحيدة اللي هقدر أكلم بيها مع الحصان هي الروح, فسميتها روح.

الروح هي من الكلمات التي تمثل أهم جانب من جوانب الحياة, ولكن قليل ما نستخدم نقاوة أرواحنا في التعاملات ليس لأنها شيء غير ملومس أو محسوس ولكن لأن إيماننا بوجدها اِنعدم.

منديل أبيض تمَّ إتساخه بقطعة كيك بالفانيلا, بعد أن تمَّ إعطائه لآدم, حاول آدم أن ينظف تلك البقعة ليحتفظ به كذكرى كما يفضل أن يفعل في كل مرة يلتقي هو وجيهان, ففضوله لتكملة تلك الرسمة التي يتم رسم جزء منها في كل مرة يلتقو في الوقت الذي يحكي لها عن ذكرياته.

- جيهان: بس مش غريبة إن بعد كل السنين دي وإنت لسه فاكر كل اتفاصيل دي.

- آدم: تقدري تقولي إني مذاكر كويس وذاكرتي من ضمن الحاجات اللي بتميز فيها يعني... إيه الرسمة بتاعت انهارده بقى!

- جيهان: حورية.

- آدم: إيه ده الله حورية البحر... بحبهم جداااا!

- جيهان: لا ده حصان, أو بمعنى تاني فرسة اسمها حورية.

- آدم: اشمعنى حورية؟

- جيهان: هيه... يه... واو... ريه... حاء... هي روح!

- آدم: مش فاهم.

- جيهان: هو إنت مش بتقول إنك بتحب الذكريات وبتذاكر كويس!

- آدم: يعني اه.

- جيهان: طيب لكل واحد فينا وله حدود في ذكرياته, وأنا بدل ما إني أمحي ذكريات قديمة هضيف ذكريات جديدة على الذكريات القديمة, بطبيعة المخ هو مش هيرفضها, هيستقبلها بس بقى.

- آدم: بس بقى إيه!!

- جيهان: بس لو شبه الذكرى القديمة وعليها تعديل بسيط من وجهة نظرك، فالنسبة للمخ هي ذكرى جديدة بمكان جديد, فاللي هيحصل في الأخر الذكرى الجديدة هي اللي هتبقى وهي اللي هتفضل.

- آدم: حلو اسم حورية, والرسمة أحلى بصراحة... بس ليه!

نظر آدم إلى ذلك المنديل ليرى تلك البقعة المتسخة بالفانيلا مرسوم حولها ذلك الحصان الواقف على رجليه الخلفيتان رافع رجله في كل شموخ وشعره

المتطاير على طرف رقبته, فيبعده آدم قليلًا ليرى اسم (حورية) وكأنَّه جسم ذلك الحصان. وفي آخر المنديل مكتوب: "ليه... أصل روحك حلوة", وضعه في صندوقه وذهب ليستلقي على ذلك الكرسى الجلد الأبيض مبتسمًا لسقف غرفته المفضلة صــول في صمت على أنغام أغنية (أنا قلبي دليلي).

الفصل التاسع

كلنا لدينا مجتمع آخر بداخلنا يصارع من أجل إثبات وجهة نظره, فتتحول تلك وجهات النظر إلى صراعات داخلية ما بين الصح والصحيح والأصح, وتكون أنت المراقب وكل المطلوب منك اِتخاذ القرار المناسب, فينتهي بك المطاف في اِختيار قرار آخر بمساعدة خارجية من إحدى المجتمعات المجاورة لك, فيثورعليك مجتمعك كنوع من الانتقام فتبقى أنت الوحيد الملام في النهاية ويستمر الصراع بمحاولة منك في إرضاء كل من بداخلك.

تلك القاعة الزجاجية المكونة من طابقين, وسط تلك الأعمدة البيضاء وسط الأضواء المنتشرة في كل مكان, يوجد بيانو أسود اللون لامع في ملمسه, وأمامه كرسي قماش أحمر اللون تقوم من عليه فتاة في فستانها الأسود, عند إنارة تلك الأضواء واحد تلو الآخر, فينتشر صوت التصفيق من الحاضرين.

- رَحيل: ميرسي لكم... دلوقتي هناخد بريك... وعمر وشهرزاد هيكملو معكم بعد البريك.

تخرج رَحيل بعد أن تلقى التحية على كل الحاضرين, فينتشر الكثير من الهمس في القاعة فمنهم من يتحرك في القاعة ينظر إلى تلك اللوحات وآخرون يعلو صوت هاتفهم في اِتخاذ الكثير من الصور وهما يقفون بجانب ذلك البيانو.

- آسر: تعرفي إن أنا عمري ما بصيت على صرعاتي الداخلية بالشكل ده, حلو الفكرة لا ومع الموسيقى عملتلها لمسة حلوة.

- رَحيل: عيب عليك هو أنا أي حد يابني... أنا عبقرية بس منسية!!

- آسر: معلش.

- رَحيل: مش هرد عليك... بس إيه رأيك بمساعدة خارجية دي؟ اللي هي أنا يعني.

- آسر: في أنهو صراع فيهم بالظبط.

- رَحيل: هو مفيش إلَّا صراع واحد اللي شعبك اِستثار عليك في...

- آسر: قصدك إيه؟... هي بصراحة كانت من أصعب القرارات اللي كانت عملالي صداع في حياتي.

- رَحيل: أينعم... شخصية القذرة دي... هو إحنا البنات بنفهم بعض من كام حركة كده.

- آسر: هي أينعم كانت كده, بس بلاش نغلط في حد مالوش أي لازمة في حياتنا مابحبش كده, ممكن؟

- رَحيل: حاضر... ماجوعتش طيب... عمو ده بيعمل بيتزا فظيعة.

- آسر:عمو!! لا مش جعان بصراحة خالص.

- رَحيل: اه عمو, وماتتريقشي عليا!

- أسر: ما علينا... طب إيه مش هنروح نزور دومه؟

- رَحيل: مانا لسه كنت عنده إمبارح وجبتله الورد اللي بيحبه, أكيد مالحقشي يذبل.

- آسر: أوكيه.

الفصل العاشر

دائمًا ما تكون أنت الفائز في لعبة القدر, فلا تحاول الاستسلام مهما صعبت مراحل اللعبة.

موسيقى هادئة تجذبك لأيَّام الزمن الجميل مختلطة ما بين الغربية والشرقية, يتوسطها صوت وضحكات الضيوف المنتشر في أرجاء المكان, فمنهم من يضع سماعته الخاصة به منعزلًا عن كل من حوله ليكمل دراسته, وترابيزة أخرى مليئة بالضحك والنكات المنتشرة بين الأصدقاء, وأخرى يتوغلها الصمت بابتسامات مزيفة لرئيسة الجلسة التي تتكلم, وفي آخر الممر توجد ترابيزة يجلس عليها (عمر) وتنتشر حوله العديد من اللوحات بعضها مكتمل تمَّ توقيعه عليها دلالة على الانتهاء منها, والبعض الآخر لم يضع توقيعه بعد, بجانبه كوب القهوة المفضله لديه مضاف عليه قليل من الكريمة المخفوقة متزينة بصوص الكراميل, يضع فرشاة في إذنه ويرسم بالأخرى على تلك اللوحة التي أخذت منه شهور في رسمها لكثرة تفاصيلها, وفي لحظة ما وسط تركيزه وصل (آسر) وكأنَّه كان فاصل قصير ليساعد (عمر) على تحرير أعصابه وعضلاته المشدودة لإخرج أفضل ما عنده في تلك اللوحة.

لوحة بدون إطار, ذو خلفية بيضاء مع إضافة اللون الأزرق يتوسطه نقط بيضاء كدلالة على النجوم وسط ظلام السماء الداكنة, وفي منتصف اللوحة تقف

فتاة حاملة بيديها آلة الأكورديون تنظر لها في تعجب وابتسامة خبيثة وراء تلك الهارمونيكا, وعلى ظهرها حقيبة لآلة الكمان تخرج منها علامات الموسيقى في الجو تتلاقى مع نغمات آلة الهارمونيكا متناثرة في أرجاء اللوحة بالألوان المختلفة.

- آسر: والله أنا مغلطش لما سميتم بيكاسو.

- عمر: حبيبي يا آسر والله, أمال فين رولينا, وشهرزاد.

- آسر: رَحيل قالتلي إنَّها هتتأخر فطلبت إني أسبقها, ومفروض إنَّها هتعدي على شهرزاد, لا بس الرسمة حلوة بجد, إنت خلصتها.

- عمر: هي كرسم خلصت بس كتلوين أهو أديني قاعد بخلص فيها.

- آسر: وإيه كل اللوح دي!

- عمر: دي علشان المعرض يا سيدي اللي شغالين عليه أنا ورَحيل وشهرزاد... اللي هيبقى عليها توقيعي واسم على ظهر اللوحة تبقى خلصت, اللي توقعي لسه من عليها يبقى لسه فيها حاجة ناقصة.

نظرًا لحب آسر للرسم والفن عمومًا قرر أن يلقي نظرة على لوحات عمر.

- آسر: إيه يابني الأسامي المسخرة دي... "ضحكة صفرا"... "الشخلعة مرقعة"... "تشت الصباح".

- عمر: سيبك إنت اللي في إيدي دي أقواهم.

- آسر: قول يا سيدي فاجئني!

- عمر: الوسخة بزيادة.

- آسر: اِشمعنه.

قاعة كبيرة تنتشر على حوائطها صور لكثير من الآلات الموسيقية وبعض فنانين الموسيقى ورموز الموسيقى بأشكال وألوان مختلفة, يتواجد كثير من طلاب

الموسيقى كل منهم حاملًا أدواته على ظهره, وأحدهم ماسكًا لها بيديه والبعض يقف وحده على جنب يعزف وحده حتَّى تجمع معه شخصان ولد وبنت فتمَّ تحويل المقطوعة المنفردة إلى مقطوعة أخرى ذو مذاق مختلف. يدخل عمر مع بعض الأصدقاء إلى منتصف القاعة فيقف الكل صامتًا لينصت إلى عمر وأصدقائه.

- عمر: مساء الخير, أولًا أحب أعرفكم بنفسي, عمر عبد الرحمن, ودول أحمد, شيرين, ونهى, ثانيًا شكرًا جدًا لكل الناس اللي شرفتنا انهارده... نظرًا لضيق الوقت باختصار كده, الإيفنت بتاع انهارده منقسم إلى جزئين, الجزء الأول عبارة عن مسابقة ما بين الفرق الموسيقية والكسبان هيبقى له جائزة بس مش هنقول عليها دلوقتي كنوع من التشويق, والجزء التاني هيبقى عبارة عن تعليم 30 طالب/طالبة بمبلغ مالي بسيط بقيمة (50 جنيهًا) وفي الآخر هيبقى في امتحان وأفضل خمسة هيبقى لهم بردو مفاجئة من هنقول عليها للتشويق.

- إحدى الحاضرين: وعلى أي أساس حضرتك هتختاروا الناس اللي عايزة تتعلم, اللي هما (30 طالب/طالبة).

- نهى: بعد إذنك يا عمر هرد أنا... أنا نهى سيد وهكون المدربة التانية مع عمر, هيتم اِختيار الناس على حسب استجابة للتدريب, بمعنى هيتم بدأ أوقات التدريب من بكرة الساعة 12 الظهر لحد الساعة 3 العصر... وفي آخر الأسبوع هيتم اِختيار 30 شخص.

- عمر: الآلات اللي هندرب عليها, كمان... أوكورديون... جيتار... بيانو... ساكسفون... كلارنيت.

- شيرين: ودلوقتي, الناس اللي هتقدم كفرق مشاركة من هنا, والناس اللي هتقدم على التدريب من هنا.

"بعد مرور أسبوع".

تمَّ اِختيار الطلبة الذين سوف يتم تدريبهم على العزف على الست الآلات التي تمَّ ذكرها من قبل عمر الأسبوع السابق, نهى كانت مسئولة عن الكمان, الجيتار, كلارنيت, وعمر كانت مسئول عن الأكورديون, البيانو والساكسفون. لم تكن تلك الرحلة المليئة بالمتاعب على كل من الأربعة أصدقاء سهلة, فهم كانوا مثل الحفارون الذين يحفرون في المناجم بحثًا عن الذهب, مع اِختلاف هدفهم إلَّا وهوى نشر الموسيقى في المدينة لإيمانهم بأن الموسيقى هي منبع السعادة كما هو الدهب منبع الغنى.

تلك اللحظة عند بداية تعلمك لركوب العجل بعد أن تمَّ إزالة العجلات الإضافية -السندات- فتلقى في الأرض نظرًا لعدم قدرتك على التحكم في توازنك فبدلا من العمل على تنمية قدراتك في تحكمك في توازنك دون أي إصابات, قررت أن تحاول مرة أخرى تلو الأخرى, في الحقيقة سوف ينتهي بك المطاف بأنَّك أصبحت سائق ماهر ولكن قد تحول جسدك إلى خريطة لإصاباتك المتعددة في كل مرة كان توازنك يخونك, هكذا كانت بداية (عمر) مع (ميرنا جمال).

كانت البداية عند رؤيتها لعمر وهو يلعب على الأكورديون في ورشة التدريب, اقتربت منه وحاولة فهم تركيبة تلك الآلة وعن اِندهاشها بما فعله بها. كان القدر قد لعب لعبته مع عمر فحاول أن يرسل له رسالة بأنَّها ليست المناسبة لك عندما عرف أنَّها في فريق نهى الخاص بالعزف على الآلة الكمان. ولكن شيء ما قد شد عمر إلى (ميرنا) وأقنعه بأنَّها سوف تكون الفتاة المناسبة. وكطبيعة عمر عندما يدخل شيء ما إلى رأسه فيكون من الصعب الخروج منها قبل تنفيذه مهما كلفه الأمر سوف يسعى بطرق غير تقليدية فقط لاستخراج تذكرة خروج تلك الفكرة, تذكرة بلا عودة.

تمَّ الانتهاء من أول حصتين للتدريب في الدورة, حيث أن أيام تدريب المتفق عليها ثلاثة أيام في الأسبوع لمدة شهر, بالإضافة إلى اِمتحان أسبوع لمعرفة الذي سوف يكمل الدورة لنهايتها. في فترة الاستراحة خلال الحصة تمَّ اِلتقاط عمر لميرنا وهي تقف بعيدة وحيدة مستغلة كل فتر الاستراحة في التكلم على الهاتف المحمول الخاص بها, بدأت شكوكه تظهر, وكان القدر قد أرسل له رسالة أخرى بأنَّها ليست المناسبة بسبب تلك المكالمة, ولكن عمر لم يستسلم, تم إرسال بعض الإشارات العصبية من قبِل المخ ليتم اِتخاذ اللازم وإنهاء تلك الفرضيات.

- عمر: سوري, آسف على المقاطعة... بس هي فترة البريك خلصت.

- ميرنا: اه أوكي... وبعدين!

- عمر: يعني المفروض هترجعي تاني يعني دلوقتي علشان تكملي التدريب.

- ميرنا: ااه أوكي!

- عمر وهي ينظر إلى دفتر الأسامي: هو إنتِ اسمك إيه وبتلعبي إيه!

- ميرنا: اسمي ميرنا جمال, وفي تيم نهى عزف كمان.

- عمر: اه أوكي، طب أظن أن كلامى واضح.

ميرنا بعد أن أغلقت هاتفها وفي لحظة مغادرة عمر من أمام بصرها, كانت خطوتها أسرع من خطواتها المعتادة فقط محاولًا أن تلاحق خطوات عمر.

- ميرنا: لو سمحت.

- عمر: أفندم!

- ميرنا: آسف لو كنت أكلمت مع حضرتك بأسلوب مش لطيف, بس أنا كنت بتخانق مع ماما في التليفون.

- عمر: لا مفيش حاجة حصلت... أقدر أساعدك بحاجة طيب!

- ميرنا: هو أنا بس كان عندي سؤال... هو ينفع حد يحول من الآلة عزف لآلة تانية!!

- عمر: إشمعنه! في سبب معين يعني؟

- ميرنا: لا خالص, هو ده كان سبب خناقتي مع ماما لأني مابحبش أصلًا العزف على الكمان, وماما أصرت إني لو هدخل الدورة دي, لازم أتعلم كمان غير كده مش هدخل.

- عمر: بصي هو بصراحة مش هينفع للآسف نظرًا إن العدد زي مانتي شايفة على القد بالظبط... طب إنتِ عايزة تتعلمي على إيه؟!

- ميرنا: بص هو أنا بحب البيانو جدًا... بس لما شوفت عزف حضرتك على الأوكورديون حبيت إني أعزف عليه since, إنَّه قريب من عزف البيانو وإن أزمتي مع البيانو إنه ما بيتحركشي في أي مكان.

- عمر: هو مختلف عن البيانو طبعًا كليًّا, هو بس وجه الشبه الوحيد ملامس البيانو لكن أي حاجة غير كده مفيش أي شبه, وهو صعب شوية ومش أي حد هيعرف يعزف عليه... الكمان أحلى, بس لو إنتِ مصرة ممكن أبقى أقولك على مكان تتعلمي فيه.

- ميرنا: وحضرتك بتعلم في المكان ده؟!

- عمر: اه.

- ميرنا: طب تمام.

- عمر: بس أنا سيبته دلوقتي علشان الإيفنت وكده, بس هما ناس كويسين جدًا وأسعارهم كويسه مش غالي.

- ميرنا: أوكي... تمام هشوف وأبقى أقول لحضرتك!

- عمر: تمام... أو لو حابه يعني ممكن أبقى أقعد معاكِ واعلمك بس بعد مواعيد ورشة الكمان لمده ساعة بس هيبقى يومين بدل تلاتة.

- ميرنا: هاا.. خلاص أوكي لو كده ومش هيبقى تعب لحضرتك يبقى أفضل... ميرسي.

تمَّ خروج التذكرة بنجاح وتمَّ تأكيد وصول الرسالة, عن رؤيته إحدى الطالبات التي تتدربن معه صديقة لميرنا. في المحاضرة الثالثة والأخيرة من الأسبوع الأول, تمَّ انتظار ميرنا لعمر حتَّى يدربها على الأكورديون كما عرض عليها مسبقًا. نظرًا لحب عمر للموسيقى لم يكن الحديث بينهما به الكثير من الكلمات, كان مقتصرًا على تعليم العزف وشرح تاريخ تلك الآلة, فكانت ميرنا ذلك النقاش الذي يسعى جاهدًا لنقش رمز أو حرف على المعدن بكل حذر وحرفية خوفًا من نقش أي شيء بالخطأ فيكون مصيره علامة غير قابلة للمسح, وكبداية لنقش أولى الحروف على ذلك المعدن تمَّ إضافة ميرنا لعمر على وسائل التواصل الاجتماعي.

وفي نهاية اليوم لمحافظة استمرارية ميرنا في الدورة التدريبية, قام بتدريبها على عزف الكمان ليتأكد من مهارتها, وطلب منها أن تحاول عزف مقطوعة ما كتبها مخصوص بيديه, وإرسالها له عبر وسائل التواصل الاجتماعي حتَّى يتأكد من اِستمرارية وجودها في الدورة.

وصل القطار إلى المحطة الأولى كما هو محدد على خط سيره نظرًا لتلك التذكرة التي تمَّ اِستخراجها من قِبل عمر مسبقًا, وتم تجهيزه للتحرك إلى المحطة التالية. فقد قام من جهته بوقف حسابه من جميع الوسائل الاجتماعية ليتبقى طريقًا واحد فقط ألا وهو الهاتف, وفي مساء يوم ما قبل الامتحان الأسبوعي الأول, تم وصول القطار إلى المحطة الثانية قبل ميعاده المتوقع.

تعجب عمر من اِتصال رقم غريب به حيث أنَّه لم يعتاد على ذلك, فرسم ملامح التعجب المزيفة.

- عمر: ألو مين معايا؟

- ميرنا: أستاذ عمر عبد الرحمن.

- عمر: أيوه... مين معايا حضرتك؟؟

- ميرنا: أنا ميرنا.

- عمر: سوري... ميرنا مين؟!

- ميرنا بكل إحراج: اللي مع حضرتك في الإيفنت بتاع الموسيقى.

- عمر: اه أوكي أوكي, أهلًا يا ميرنا عاملة إيه؟، وجبتي رقمي إزاي؟

- ميرنا: الحمد لله تمام, هو أنا جبت رقم حضرتك من ياسمين صحبتي هي معك في تيم العزف على البيانو؟

- عمر: ياسمين!!.. أوووووكي.

- ميرنا بعد ثواني صمت: أنا آسفة لو كلمت حضرتك في وقت مش مناسب أو إني حاولت أكلمك من غير أي اِستئذان.

- عمر: لا ولا يهمك اتفضلي.

- ميرنا: مفيش أنا بس كنت حابة إني أسمعك المقطوعة اللي حضرتك طلبتها مني, بس أنا حاولت أكلمك على الفيسبوك بس تقريبًا حضرتك قفلته.

- عمر: اه هو أنا فعلًا قفلته.

- ميرنا: خير طيب في حاجة.

- عمر: لا لا متشغليش بالك... طب بصي هو أنا دلوقتي للأسف مشغول شوية فلو كده ممكن تبقى تبعلتي أي حاجة على الواتس أب هو شغال عادي، أنا آسف.

- ميرنا: لا لا مفيش أي مشاكل خالص... آسفة مرة تانية وشكرًا جدًا لوقت حضرتك.

عند دخولنا إلى مغامرة جديدة في حياتنا تظهر بعض الأسئلة بشكل تلقائي دون أي حاجة إلى معرفة إجابتها لأن إجابتها لن يتم الرد عليها إلا من خلال موقف ما, هل تلك المغامرة تستحق فعلًا أن تضاف في قائمة مغامراتك؟ ما هي أوجه الشبه ما بين تلك المغامرة والمغامرات السابقة؟ هل هو الوقت المناسب لدخول تلك المغامرة؟, وتكون الإجابة في معظم الأوقات -إن لم تكن في كل الأوقات- لكل مغامرة دروس مستفادة.

** بضع ساعات قبل بداية الامتحان الأول :**

يجلس عمر ونهى يتأخذون يتبادلون أرائهم في الطلاب وعن تقدم أدائهم خلال الأسبوع الأول, بالنسبة لعمر ونهى تنفيذ هذا المشروع كان فكرة بدأت من السنة الأولى في الجامعة بعد تعارفهم على بعضهم البعض في السنة الأولى عندما تمَّ طلب أول مشروع وتم توزيع الأسامي عشوائيًّا بينهم, تنفيذه أخذ الكثير من الوقت والتخطيط ولكن ها هما هنا يحققون ما حلمو به من فترة سابقة لإيمانهم وحبهم في الموسيقى.

- عمر: فاكرة أول مرة اتكلمنا فيها في المشروع ده.

- نهى: يااااه أكيد فاكرة, هو أنا كنت بكرهك علشان كنت بحسك فزلوك كده في نفسك وبتبقى عايز تعمل أي حاجة وخلاص, بس بعد كده عرفت إنك بتحب تساعد ومش فزلوك ولا حاجة.

- عمر: وأنا بصراحة كنت بشوفك مغرورة, وكنت دايمًا بقول يعني على إيه.

- نهى: تشكر يا ذوق... احكيلي بقى إنت إيه أخبار الناس معاك.

- عمر: والله بصي لحد دلوقتي الناس شغالة زي الفل... في ناس بتتقدم بسرعة وفي ناس كويسه بس بطيئة شوية.

- نهى: طب وإيه قررت هتمشي مين ولا إيه؟!

- عمر: اااه... الحمد الله... ده عذاب يا شيخة.

- نهى: أنا بردو فاضلى واحد واختارت اتنين.

عمر: طب إنتِ مين اللي عندك حلو ولو محتاجة مساعدة في اختيار الناس قوليلي!

- نهى: اه يا ريت... إنت عارفني أنا مابحبش البنات المسهوكة, والاتنين دول مفيش سهوكة أكتر من كده.

- عمر وهو يقرأ الأسامي: ميرنا جمال كمان... نورا عز الدين جيتار... مع إن الجيتار سهل يعني ومش محتاج بنت تكون مسهوكة عليه؟!

- نهى: يابني دي أهون من ميرنا زفت دي... على الأقل نورا بتيجي في مواعيدها... لكن البت ميرنا دي مشوفتش سهوكة كده وتأخير.

- عمر: طب ما تمشيها أسهل.

- نهى: بص هو بصراحة عزفها حلو إلى حد ما, وهي بتتعلم بسرعة بس أنا ماليش خلق على السهوكة والنسوان إنتِ عارفني دمي حامي.. وكمان للأسف البت دي داخله واسطة.

- عمر: هي دي البنت اللي كنتي بتحكيلي عليها.

- نهى: أيوه يا سيدي هي دي... بنت صاحبة ماما ولو طلعتها ماما هتزن في البيت وأنا مش ناقصة... فخليها شوية ونبقى نشوف إيه اللي هيحصل, وكده كدة الامتحان هيبين كل حاجة.

انتهى الامتحان وتمَّ مرور القطار من المحطة الثالثة بدون خسارة أي من ركابه واستكمل القطار تحركه إلى المحطة الرابعة, محطة التعارف بعمق أكثر, في البداية كانت أوهام عمر توحي له بأن ميرنا تبحث عن مصلحتها وأنها تريد أن تتعلم أكبر قدر ممكن من الموسيقى, ولكن تمَّ إضافة تلك الأوهام في سلة المحذوفات وأكمل طريقه في التعرف أكثر عليها وكذلك ميرنا.

على غير العادة خصوصًا في تلك المرحلة من رحلة قطار الارتباط, انتهت تلك المحطة -محطة التعارف- في وقت قصير, ولكن كل منهم تأكد بأنَّه يعرف المعلومات التي سوف تجعله يكمل تلك الرحلة إلى نهايتها، ولكن هل كانت فعلًا تلك المعلومات صحيحة, هل كانت كاملة؟

أيهما أقوى في اِتخاذ القرارات القلب أم العقل, أيهما المسيطر العقل أم القلب, أيهما أفضل في التعامل به القلب أم العقل. في الحقيقة كلاهما قوى في اتخاذ قرارته, كلاهما مسيطر في قراره, كلاهما الأفضل, بشرط واحد فقط عدم تخطي حدود كل منهما, فلكل منهم وظيفته الحيوية والعصبية -بعد مشيئة الله- في وجود الإنسان في تلك الحياة, فعند وقوف إحدهما يموت الإنسان.

كطبيعية ميرنا كفتاة فالمتحكم الرئيسي هو مشاعرها النابعة من قلبها, فبتضغطها على قلب وعقل عمر جعلت القطار يصل إلى المحطة الخامسة في تسرع ملحوظ تحت مسمى الحب.

كثير منا مقتنع أن الحب هو الفحم الذي يجعل القطار يتحرك, ولكن في الحقيقة تلك الكلمة هي فقط أداة مؤقتة لنقل الفحم من الأرض إلى الموقد ليتم حرق الفحم ويستمر تحرك القطار.

في بداية التحرك إلى المحطة الثامنة بدأ يظهر سؤال مغادرة المحطة الرابعة في ذهن عمر, هل كانت فعلًا تلك المعلومات صحيحة, هل كانت كاملة! ظل يسأل عمر نفسه

ذلك السوال عند معرفته من إحدى أصدقاء ميرنا بأنَّها واحدة من تلك الشخصيات التي تستخدم كلمة الملل في إحدى مراحل حياتها كنوع من الابتعاد عن الأشياء, وأنَّها تشابه تلك اللبوءة عند ذهابها إلى الغابة لصيد أكل لزوجها الأسد وأطفالها الجياع, فعند حصولها على فريستها فإنَّها لن تقوم بأذية أي فريسة أخرى. ألغى عمر تلك الأفكار تحت مسمى: "الحب", ولكن ميرنا كانت لها وجهة نظر أخرى.

- عمر: مالك يا ميرنا في إيه؟ متغيرة بقالك مده ومش بتتعاملي زي الأول.

- ميرنا: مالي يعني... مانا بتعامل عادي أهوو... ولا هو أنا لازم أقعد أقولك بحبك ووحشتني كل شوية.

- عمر: بصرف النظر أن أكيد الكلام ده أحب أسمعه كل شوية منك إنتِ بس, بس أكيد مش هو ده السبب يعني.

- ميرنا: عمر والنبي فكك من جو المسلسلات التركي دي وكلامك اللي كله رومانسية ده.

- عمر: مالك يا ميرنا في إيه؟ إنتِ كويسة.

- ميرنا تبدأ في البكاء: مش عارفه... أنا أسفة متزعلشي من كلامي.

- عمر: طب واحدة واحدة بس هو في إيه لكل ده, وليه كل العياط ده.

- ميرنا: لا أنا ما بعيطش... أنا أسفة... لو قولت كلام يضايقك.

- عمر: لا مفيش حاجة متعود منك على جنانك وجو برج الدلو ده في تقلب المزاج.

- ميرنا: عمر هو يعني إيه حب!, وهل أنا بحبك؟!

- عمر: من وجهة نظري وأفعالك اه بتحبني, وبالنسبة يعني إيه حب ما هو إلا مجرد مفتاح لباب جديد في حياتنا.

- ميرنا: طب يعني إيه أكون مش عارفه إني بحبك ولا لأ...؟!

- عمر بتعجب: نعم!

نظرًا لاختفاء تلك الأداة تم حرق كل الفحم المتواجد داخل الموقد ومن ثمَّ تم توقف القطار فجأة منتظرًا نقل المزيد من الفحم ليتم حرقه. لم يكن عمر قادرًا على إيجاد إجابة لذلك السؤال بعد استمرار تحرك القطار من المحطة الرابعة المحطة الثامنة لمدة أكثر من ثلاثة أشهر متواصلة, ولتميز عمر بالإصرار والعزيمة فأنَّه قرر محاولة حل لتلك المشكلة, انتهى قراره بمعرفة وجود قطار منافس ولكن قد تمَّ إنهاء التعامل معه, بمعنى آخر مصدر ذلك السؤال هو علاقة ميرنا السابقة مع قريبها, حيث إنَّه تمَّ ظهور بعض المشاعر المدفونة داخل ميرنا فور ظهور قريبها وعودته من السفر, قريبها الذي قد وعدها يومًا بأنَّه سوف يجعل يوم عيد ميلادها يوم لن ينسى, لأنه سوف يكون يوم عيد زواجهما كتاريخ ميلاد جديد, في الحقيقة لقد أوفى بوعده عندما قال بأنه سوف يجعله يوم لن ينسى, حيث أنَّه قد تمَّ عقد قِرانه على صديقة له في نفس يوم عيد ميلاد ميرنا.

- عمر: طب بصي يا ميرنا, طبيعي جدًا إنك تكوني مضايقة وإنك بتفكري في قريبك القذر ده أول لما تشوفيه.

- ميرنا: طب وهو الطبيعي يعني إني عايزة أترمي في حضنه وأعيط, وأوصفله قد إيه إني بحبه... طبيعى إني أبقى بفكر فيه بس, وإنك مش موجود أصلًا... طبيعي إني مستنية كلمة منه يقولي نرجع وموافقة أكون مراته التانية, مع العلم إني نانية في حبي!

- عمر: اه طبيعي.

- ميرنا: نعم!!

- عمر: لأن علاقتك بقريبك كانت في ثانوية عامة, يعني اللي هو بداية ظهور الشباب وقد إيه الدنيا كانت وردي وحب وفراشات, وفي نفس الوقت ده كان أول حب ليكِ في حياتك.

- ميرنا: أيوه يا عمر... بس إنت مش شايف إني بخونك!

- عمر: خيانة... مش لدرجة خيانة, خلينا نقول عليها مشاعر مدفونة وظهرت فجأة, أنا اللي يهمني في الموضوع ده حاجة واحدة بس يا ميرنا وهي دي اللي هتخليني أقدر أكمل معاكِ.

- ميرنا: إيه هي؟

- عمر: إنتِ عايزة تكملي معايا ونرجع ندفع المشاعر دي تاني, ولا عايزة تستسلمي وكل واحد يمشي لحاله.

لم يكن هذا اللقاء المفضل إلى عمر في علاقته مع ميرنا. انتهى ذلك اللقاء بموافقة ميرنا على شروط عمر أنَّها تكن معه كشريك, وطلب منها أن تتكلم مع قريبها, وأن تذهب لعمر وتحكي له عن كل محادثة تتم بينهما. ذلك الإحساس عندما تكون راكب في قطار الدرجة الأولى وتبدأ العربة في الاهتزاز دون توقف, فتتحول المركبة إلى فوضى عارمة نظير ذلك الاهتزاز, هكذا كان عمر في تلك المرحلة, فأي نوع من الرجال يقبل أن يسمع حبيبته وهو تقول له بأنَّها تتمنى لو أن ترمي في أذرع حبيبها السابق دون أن تتركها وتتكلم معه عن مدى اِشتياقها له, وتتمنى أيضًا لو أن تذهب له وتعبر عن حبها له وتعرف لماذا كل تلك القسوة التي أنهى بها علاقتهم, وتشكو له عن مدى التعب والدموع نظير ما حدث وعن سبب اِختيار ذلك اليوم بالتحديد, أي رجل يقدر أن يتحمل ذلك الكلام بعد استمرار علاقة لمدة أكثر من ثلاثة أشهر مليئة بالحب والغرام المشاعر المتبادلة.

- ميرنا: بجد أنا عايزة أتكلم معا دلوقتي, بس مش هينفع علشان كرامتي.

- عمر: كرامتك...! طب وبالنسبة لكرامتي اللي إنتِ عمالة تمرمتيها في الأرض.

- ميرنا: أنا آسفة بس مش إنت اللي قولت أتكلم براحتي.

- عمر: تمام مقولتش حاجة، بس أنا مش إنسان آلي يعني في مشاعر وفي إحساس عندي, فأكيد ده معناه إنك تحسي على دمك وتفكري في الكلام قبل ما تقولي.

- ميرنا: أنا آسفة، أوعدك إن حاجة زي كده مش هتكرر تاني.

- عمر: مش معنى كده إنك متجيش تكلمي، بس خلي بالك من كلامك إنتِ بتكلمي مع إنسان.

- ميرنا وهي تبكي: حاضر... أنا آسفة.

يقترب رجل ما في بدلته السوداء على تلك الترابيزة في منتصف المقهى وأمسك إحدى اللوح وظل ينظر لها من جميع الزوايا ويميلها يمينًا ويسارًا ونظرا إلى عمر وآسر محاولًا أن يعرف تكلفة تلك اللوحة.

- عمر: للأسف حضرتك دي مش للبيع, بس اللوح دي كلها للبيع الأسعار بتبدأ من 150 جنيه لحد 500 جنيه.

- الرجل: طب مفيش امل إن دي ممكن تتباع, عجباني تفاصيلها جدًا بصراحة.

- آسر: واضح إن في إجماع على أن اللوحة حلوة يا بيكاسو... ماتفكر.

- عمر: ما دي كانت آخر محطة, المحطة الخامسة عشر.

لوحة ذو خلفية ملونة بالأزرق والأحمر والأصفر وفي منتصفها شجرة سوداء ويقف تحتها شاب ماسكًا في يديه أداة يخرج منها الهواء فقسم الشجرة إلى نصفين نصف بدون أي أوراق وخلفها نجوم تشع, والنصف الآخر فروع ذبلانة يقع منها بقايا الورق وخلفيتها مظلمة, وفي الأرضية للوحة تنتشر أوراق الشجر.

- الرجل: طب اللوحة دي بكام؟، ومفيش أي صفحة ليك على الفيسبوك, أو إستوديو أقدر أجيلك فيه؟!

- عمر: دي حضرتك ب200 جنيه, وقريب إن شاء الله هيبقى في معرض ممكن تعرف تفاصيله من على صفحة الفيسبوك اسمها (بيكاسو).

- الرجل: طب اتفضل حضرتك, وبالتوفيق إن شاء الله.

غادر الرجل تاركًا بسمة ارتسمت على وجه عمر, وظل آسر في تعجب منتظرًا عمر ليكمل تلك الرحلة, وكيف انتهى به المطاف في المحطة الخامسة عشر, ماذا حدث في تلك المرحلة. وما سبب انتهاء تلك العلاقة.

- آسر: طب إيه... مش ناوي تكمل وصلت إزاي للمرحلة الخماستاشر.

- عمر: مفيش يابني نفس الحوار اللي حصل بقى إنَّها مش عارفة بتحبني ولا لأ, حصل مرة تانية بعد تلت شهور ومرة أخيرة بعدها بتلت شهور تانين, وقبل ماعمل المعرض اللي فات ده, قالتلي إنها مش عايزة تكمل وإنها عايزة تنهي العلاقة دي.

الملل, هو دائمًا ما يكون أفضل سلاح لإنهاء أي علاقة, خصوصًا تلك التي لم تكن ذو أساس قوي يتحمل الصعاب والضغوض مهما كانت. فعلاقة عمر وميرنا لم تكن العلاقة التي ذو أساس قوي, بل كان أساس وهمي, يبدو لك أنه قوي يتحمل أي صعاب ولكن عند أول مشكلة ينهار كل ما تمَّ بنائه سابقًا, وفجأة تجد مبرارات وأسباب غير مقنعة بالمرة, مثل تلك التي جعلت قطار رحلة عمر وميرنا يتوقف في المحطة الخامسة عشر.

- عمر: أيوه يا ميرنا يعني إنتِ شايفة دلوقتي إني ظلمتك في حاجة, أو إني مقصر معاكِ في حاجة, خايفة لاحسن أخونك ونوصل للطلاق زي ما حصل ما بين باباكِ ومامتك, أنا مضايفك وخانق عليكِ ومش مخليكِ تكلمي أو تخرجي مع أي حد.

- ميرنا: بالعكس, دا إنت أكتر واحدة عمره ما ظلمني ولا هيظلمني, ولا عمرك قصرت معايا في حاجة بالعكس دا أنت معوضني بزيادة, وفكرة إننا نطلق أو إنك تخوني في مستحيل يحصل لأنك أكتر واحد بتخاف عليا وبتفهمني, وعمري ماشفت منك أي خانقة اينعم بتغير عليا وفي أوقات ممكن تخليني أضايق وأنا خارجة مع صحابي, بس أنا بحب ده.

- عمر: أمال إيه طيب, مش فاهم!

- ميرنا: المشكلة فيا أنا, أنا حاسة إني مش بحبك زي الأول, ومفيش لمعان في عيني لما بشوفك, أو قلبي بيتهز كده وبحس إني مش قادرة أخد نفسي أول لما اسمع اسمك.

- عمر يقاطعها: مفيش فراشات بطير بالمرة... إنتِ سامعة نفسك, هو ده المبرر إننا نسيب بعض.

- ميرنا: دي حاجات بسيطة بس تأثيرها كبير.

- عمر: حاجات إيه وتأثير إيه!

- ميرنا: وبصراحة بردو أنا مش قادرة أشيل أي مسئولية دلوقتي.

- عمر: أي نوع من المسئولية مش فاهم.

- ميرنا: مسئولية احترامي لك في وجودك وعدم وجودك, مسئولية إني أساعدك وأعملك الدعم في أي حاجة, واهتمامي ليك.

عندما تفعل كل ما لديك وتبذل أقصى مجهودك في إحدى رحلاتك في الحياة, فعند وصولك لنهاية الرحلة لن يكون لديك أي نوع من الندم على كل ما بذلته فينتهي بك المطاف كالمزارع الذي انتظر وقت الحصاد ليحصد ذلك النبات النادر وجوده, نبات الوفاء.

- آسر: تصدق فعلًا الوسخة بزيادة.

- عمر: قولتش أنا حاجة من عندي.

لوحة لشابين حاملين أكواب قهوة, ذو خلفية لإحدى مباني العصر الروماني, وفي منتصف اللوحة أنوار خلفية للسيارات تتحرك فاختفت ملامح تلك السيارات, ويتزين الشارع بالعديد من الزينة مختلفة الأشكال على عواميد النور المضيئة للمكان, ويحمل إحدى الشابين شنطة مليئة بالألواح الفنية على ظهره, والآخر صندوق خشبي في يديه.

تلك المعادلة التي يحاول البعض أن يطبقها, كلما زادت محبتك زادتك غيرتك, في رأي المتواضع -الذى ليس له أهمية- المعادلة الصحيحة كلما زادت غيرت قلة ثقتك بنفسك؛ لأن الغيرة بكل بساطة مثل السجن, للوهلة الأولى يبدو هدفه أبعاد شخص ما عن المجتمع لاختلاف صفاته عنهم, ولكن عند النظر مرة أخرى يبدو وكأنَّك قمت بإضافة صفات أخرى لذلك الشخص فقط ليهرب من ذلك السجن. فلماذا لا يتم تحويل الغيرة إلى نوع آخر من الحب أو نوع آخر من الاهتمام, لماذا لا يتم خلق سجن مختلف ولكن بوابته مفتوحة كل فتتغير صفاته فيحب ذلك السجن فيعود مرارًا وتكرارًا.

- آسر: حلوة مصر الجديدة وهي بليل!

عمر: اه طبعًا، أنا بعشق مصر وهي بليل مش مصر الجديدة بس.

- آسر: طلعت بتفهم يا بيكاسو.

- عمر: مش عارف إنت ليه على طول مضايق مني, بس على العموم توشكر يا ذوق.

- آسر: لا إنت عارف بس بتحاول تعمل عبيط, إنت ولد زي وفاهم يعني إيه غيرة, ويعني إيه بيبقى صعب علينا إننا نتفهم إن خطبتك عندها إنتي ولد.

- عمر: بصراحة في الزمن الأغبر ده صعب, وصعب جدًا... بس أكيد صوابعك مش زي بعدها.

- آسر: ماهو علشان كده أنا بقولك مش مصدق إني معاك انهاردة.

- عمر: هو صحيح إيه اللي مخلاش رَحيل تيجي هي وشهرزاد.

- آسر: حد من صحابهم بنت اسمها شهيرة أو أميرة تقريبًا مامتها تعبت, فراحو يشوفها.

- عمر: شهيرة تقريبًا.

- آسر: إشمعنه.

- عمر: لأني حاولت أكلم شهرزاد, فتليفونها كان مغلق وهي على طول لما بتبقى عند شهيرة مابيبقاش في شبكة عندها.

- آسر: المهم, عندي ليك تلت أسئلة... الأول كلمني عن علاقتك ومدى ارتباطك وقربك من رَحيل؟... ثانيًا عرفنى أكتر على رَحيل, مين رَحيل؟

- عمر: طب وثالثًا!

- آسر: جاوب بس الأول على دول وهبقى أقولك السؤال التالت.

بالنسبة للبعض -كثيرون جدًا- الصداقة بين الولد والبنت هي قنبلة موقتة يتم تفجيرها عند وصول مرحلة الزواج, فبمجرد الارتباط يتم محو كل الأصدقاء من قائمة الطرفين تحت مسمى: "الغيرة", فبأي حق بعد أن تمَّ حفر الكثير من الذكريات مع تلك الأصدقاء أو كما يقول البعض "عائلة الحياة" يأتي شخص ما ويطلب منك محو تلك الذكريات محاولًا أن يحل محلها ذكريات له معك فقط, فلتذهب للجحيم تلك "الغيرة" التي تجعلنا آسرى لذلك الشخص الجديد, عفوًا فأين كنت عندما حاول ذلك الصديق أن يستبدل ما بداخلي من حزن بسعادة,

أين كنت عندمت وجده بجانبي عندما احتجت له, الصديق هو الصديق مهما اختلف نوع جنسه, فبدلًا من أن تقوم بمحو تلك الذكريات لماذا لا تقوم بإضافة ذكريات أخرى بشكل جديد مع وجود السابقة, هكذا كانت بداية حديث أسر مع عمر عندما طلب منه أن يحكي له عن رَحيل ونوع علاقتهم, بطريقة ما نجح آسر في جعل عمر أن يطئمن بأنَّه لن يتم إزالة أي ذكريات بينه وبين رَحيل, فتحول عمر إلى سحابة تشبعت ببخار الماء فانطلقت في ذرف المياه التي بداخلها. أكمل عمر وآسر رحلتهم في ضواحي مصر الجديدة في كل الذكريات التي جمعت بينه وبين رَحيل, وعن زاوية أخرى من رَحيل.

عند وضع أي جوهرة تحت الإضاءة سوف تتمكن من رؤية قوس قزح بصورة كاملة من إحدى الزوايا, ومن زاوية أخرى سوف ترى جزء من قوس قزح, هكذا يرانا الآخرون, فقط الذي يعرف قيمتك سوف يبذل ما في وسعه ليعرف تلك الزاوية التي يرى منها قوس قزح كاملًا.

تلك القاعة الزجاجية المكونة من طابقين, تتوسطها تلك الأعمدة البيضاء وإضاءة خافضة في أرجاء المكان, يقف شاب حاملا آلة الأوكورديون يعزف وكأنه موسيقة خلفية لما يحكيه, بدأت الإضاءة أن تعلو درجة أعلى حتَّى تمَّ إضاءة المكان كله, وأكمل ذلك الشاب حكايته قبل أن يوقف العزف.

لم يقدر تطفل عمر في الصبر أكثر من ذلك فرجع مسرعًا إلى آسر قبل أن يركب سيارته محاولًا معرفة ذلك السؤال.

- عمر: مش ناوي تقولي السؤال الثالث؟

- آسر: االاه... ناوي على إيه مع شهرزاد؟! صحاب بردو ولا!

- عمر: بصراحة... مش عارف, بس يمكن ولا!

الفصل الحادي عشر

إضاءة كاملة في أرجاء القاعة, توقف العزف وتمَّ وضعها في مكانه في إحدى زوايا القاعة, انتشر تصفيق الحاضرين بعد أن أنهى عمر كلامه وبدوره قدم التحية للحاضرين. خرج ليتلقط القليل من الهواء وإذا فجأة أصبح عمر كيس رمل معلق في الهواء لمدربي الملاكمة من وجهة نظر شهرزاد التي لم تتوقف عن ضربه في كل جزء في جسمه وكأنَّها ملاكم تشبع بالغضب, فاقترب كل من رَحيل وآسر محاولين أن يبعدوا تلك الملاكمة الغاضبة.

- عمر: مالك يا مجنونة في إيه؟!

- رَحيل: مالك يا شهرزاد بتضربي في الواد كده ليه؟!

- شهرزاد بعصبية: اللي هيجي جنبي هيضرب معاا!.

- أسر: يا بنتي طب هو إيه اللي حصل بس فهمينا!

- شهرزاد بتريقة: مش عارف, بس يمكن ولا!!

- عمر (ببردو أعصاب): أيوه فين المشكلة يعني!

- شهرزاد: يابني متبقاش باارد... متعصبنيش!

- عمر: يا جماعة ماحد يأخد البت دي بعيد عني!

- رَحيل: لا يا عم أنا على وش جواز ومش عايزة أحضر فرحي وأنا وخدالي بوكس في عيني.

- عمر: طب وإنت يا أستاذ آسر؟

- آسر: أنا العريس.

- عمر يمسك يد شهرزاد: اِهدى بقى كده في إيه مالك... بصي جبتلك إيه؟

يقف رجل التوصيل مندهش لما يحدث فعندما اقترب منه عمر ليأخذ منه البيتزا ويحاسبه.

- رجل التوصيل: أنا متأخرتش الشيف بس هو اللي طلع الأوردر متأخر.

- عمر: تأخير إيه...! االاه لا متقلقشي, كام الحساب؟

في اللحظة التي تمَّ أخذ رجل التوصيل الحساب من عمر, انطلق بسرعة البرق مبتعدًا عن المكان خوفًا على نفسه أن يصبح كيس رمل هو الآخر. ومن الناحية الأخرى تقدم عمر بكل سرعة محاولًا أن يلهي شهرزاد برائحة البيتزا وحجمها الكبير كما تحبها.

- شهرزاد: إكسترا بيبروني,مشروم, وهالبينو...!

- عمر: وزتون كمااان.

- شهرزاد: يا سلام على الريحة.

- عمر: هاالا مالك بقى... بس واحدة واحدة وقوليلي إيه اللي مضايقك؟!

- شهزراد: لما إنت يا جزمة في زفت حبة أحاسيس من زمان, طلعت عين أمي ليه علشان تعرفني إنك بتتزفت تحبني, هاالا... وفي الآخر خليتني أنا اللي أتكلم.

- عمر: حلو الزتون!

- شهرزاد ترميه بزجاجة مياه فارغة: أسود زي ليلتك.

- عمر: خلاص يا أبو شووش... اهدي كده وصلى بينا على النبي... أنا آسف.

- شهرزاد تبكي: تقبلته... بس ليه عملتو كده فيا, وإنت كمان يا آسر كنت عارف, يا جماعة هو أنا معنديش أي مشاعر كده وعلى طول باردة يعني!

- أجاب الجميع: اااااه.

- شهرزاد: أنا آسفة... بس والله هي دي طبيعتي وخصوصًا إني بخاف على مشاعري لحسن تروح لأي حد غلط تاني, ماهو أنا مش ماكنة بيبسي, كام جنيه وهنزلك شوية مشاعر وحب وغراميات.

- عمر: عارفة يابو شووش!!! بالرغم من عصبيتك وإيدك الطويلة, جواكِ طفلة صغننة.

- شهرزاد: أيوه منا عارفه... المهم فين بيبسي؟

- عمر: نعم؟!!

- شهرزاد: فين البيبسى؟!!

ثلاثة شخصيات مهندمون في ملابسهم والرائحة تفوح منهم يدخولن من البوابة الرئيسية اِصتدم أحدهم بعمر عند خروجه من المكان محاولًا أن يجلب البيبسي لشهرزاد, وقام آسر باستقبالهم وآشار إلى رَحيل لتذهب بدورها وتلقي السلام عليهم أيضًا, انتشرت ملامح الفرحة والابتسامات في تلك الجلسة ونظرات التعجب والدهشة على شهرزاد وعمر وهو يفتح لها علبة البيبسي.

- عمر: هى مين الناس اللي واقفين مع آسر ورَحيل دول؟!

- شهرزاد: ولا أعرف.

- عمر: هو مش المفروض إن رَحيل هي اللي هتبدأ دلوقتي!

- شهرزاد: مفروض ااه.

- عمر: طب يلا بينا نجهز حاجاتها لحد لما تيجي.

- شهرزاد: يلا بينا... بس عارف أونكل زكريًا وآدم وحشوني أووي, كان نفسي يكونو معانا انهارده.

- عمر: وأنا كمان.

الفصل الثاني عشر

صوت تخبط أمواج شاطئ الإسكندرية, هواء بارد بعض الشيء, بالإضافة إلى صوت مضرب التنس الخشبي وصياح الأطفال وبياعين الفريسكا, يجلس شاب على أطراف الشاطئ وأنامله منغمسة في الرمال المبللة وبقايا ملح مياه البحر التي تلامسه كل حين وآخر. لمْ يعطِ آدم أي تركيز لما حوله اكتفى فقط بتحريك أنامله وصوابع يديه التي تحرك أطراف ذلك المكعب الخشبي الصغير, من الخارج كان يبدو آدم مثل التمثال الخشبي ولكن من الداخل مصنع مليء بالعمال يتحركون في نفس الوقت محاولين إنجاز تلك المهمة ألَّا وهي حل لغز ذلك الصندوق, فأصبحت أنامله السبيل الوحيد لإخراج القليل من الضغط العصبي والفكري, ولكنها لم تكن كافيه فقد تمَّ استهلاك طاقة كل عمال الخلايا العصبية فتمَّ إرسال حركة من مركز المخ إلى ذراعه ليرمي ذلك الصندوق بعيدًا, فتحولت جلسته إلى تمديد جسمه كاملًا على الرمال واضعًا يديه خلف رأسه, تاركًا المياه المالحة أن تتوغل كل نقطة ممكنة من جسمه, ومازلات أنامله تتحرك محاولًا تفتيت تلك حبيبات الرمل عنها.

تتحرك فتاة بأنوثة في فستانها الأبيض المزخرف بورود زهرية اللون ذو حاملة رفيعة على كتفيها, تمسك بأطراف الفستان محاولة إبعاده عن مياه البحر ورماله فكانت رجليها البيضاء الناعمة سبب كافي لجذب انتباه آدم لها وهو ممددًا على الرمال, فعند رؤيتها لآدم وهو يرمي ذلك الصندوق بعيدًا اقتربت مسرعة لإنقاذ

ذلك الصندوق من غرقه في مياه البحر, وقامت بوضعه على صدر آدم وجلست بجانبه مبستمة له, فتعدل آدم في جلسته ووضع الصندوق بجانبه, ثمَّ نظر إلى كارولين مباشرة في عينيها التي اختبئات خلف خصلات شعرها, فقام آدم بدوره ليضع تلك الخصلات خلف أذنها كما تحب, وجلس يتأمل وبتغزل في جمالها.

غرفة ذو سقف طويل صغيرة الحجم, مليئة بالكتب المرصوصة على الأرفف في ترتيب أبجدي, وفي منتصف الغرفة يجلس رجل على مكتب والشعر الأبيض يملئ رأسه وذقنه, أمامه الكثير من ألوان المياه المختلفة وقطعة خشبية يعولها شيء بالأبيض تلون معظمه بيد ذلك الرجل العجوز المهتزة فظهرت معالم ذلك الشيء الأبيض كأنَّه قرية أرضها خضراء, يقترب آدم خلف كارولين في خطوات بطيئة, وسرعان ما تتحول خطوات كارولين إلى جري على جدها وتحضنه وتقبله على وجهه.

- كارولين: إنت لسه مخلصتش البتاعة دي يا جدو.

- جدو إسماعيل يخرج ما بداخله من دخان البايب: وأنا استعجل فيها ليه وأنا ممكن أعملها بمزاج.

- كارولين: والمرة دي عامل إيه بقى؟!

- جدو إسماعيل: قرية كده من وحي خيالي في مقابلة بين رجال الساموراي ورجال النينجا.

- كارولين: هبقى استنى أسمع القصة بتاعتهم بعد لما تخلصها.

- آدم: هو أنا معرفتي بجيش الساموراي إنَّه كان من أوفى وأنبل أنواع الجيوش.

- جدو اسماعيل: برافو... طيب ممكن يا كارو تروحي تطلبي من نعمات تعملنا شاي.

لم تجادل كارولين جدها إسماعيل فخرجت في صمت مطبق لعلمها بأنَّه الوقت المناسب لمغادرة الغرفة وتركه مع آدم. عرفت كارولين بأن آدم سوف يترك بصمة ما في ذاكرة جدها إسماعيل بداية من إعجاب جدها من رده عليه عن سماعه حديثه عن جيش الساموراي, ولأنَّها تعرف مدى اختلاف آدم عن معظم شباب جيله الباحث عن الفتيات والسهر كثيرًا. أرسلت كارولين نعمات بالشاي كما طلب جدها منها, ولم تحاول أن تدخل معها. لم يعرف آدم كيف ومتى يبدأ في الكلام فالتزم الصمت خوفًا من حدوث أي شيء يغضب جدو إسماعيل, فكان يبدو كالتمثال المنحوت لا يحرك رمشه بالكاد ترى صدره ينبض بكل قوة؛ لأنه الشيء الوحيد الذي لم يقدر آدم أن يسيطر عليه.

- جدو إسماعيل: بتعرف تلون يا باشمهندس آدم؟!

- آدم: أفندم.

- جدو إسماعيل: بتعرف تلون؟!

- آدم: يعني على قدي!

- جدو إسماعيل: طب ما تجيب فرشة كده وتقرب مني ونشوف مهارتك في التلوين, نظرًا لأننا عرفنا مهارتك في ميكانية الأتوموبيل.

- آدم: أفندم حضرتك... مش فاهم!

- جدو إسماعيل: هو مش حضرتك بردو اللي ساعد كارولين في تصليح الأتوموبيل بتاعها ولا في آدم غيرك!

- آدم يمسك إحدى الفرش: لا هو أنا.

- جدو إسماعيل: طيب يلا بينا نشوف مهاراتك في التلوين.

جلس آدم ينظر إلى جدو إسماعيل في صمت يحاول أن يقلده وكأنَّه مرآة لجدو

إسماعيل محاولًا تفادي أي خطأ في تلك القرية التي يحاول أن يبنيها من الورق الأبيض وبعض الأدوات الأخرى التي تجعلها تبدو وكأنَّها أرض صلبة. دقائق مرت وبدأ آدم في التعود على التلوين وبدأت أعصابه أن ترتخي واهتزاز صدره بفعل ضربات قلبه السريعة أن تهدأ, ولكن سرعان ما تغيرت فور سماع صوت جدو إسماعيل مرة أخرى وهو يتحرك حول الترابيزة ويطلب من آدم أن يتبعه على الكنبة المجاورة للمكتبة وبدأ في سكب الشاي في الفنجان بهدوء ملئ بالاهتزاز.

- جدو إسماعيل: كارولين كلمتني عنك كتير يا باشمهندس آدم, فكنت حابب إني أقابلك شخصيًّا.

- آدم: شرف ليا يا فندم طبعًا.

- جدو إسماعيل: طيب احكيلي بقى.

- آدم: تمام... أنا حضرتك آدم عبد الفتاح مختار... مهندس ميكانيكا اِتخرجت الحمد لله دفعة السنة دي 1965, فتحت ورشة أنا واتنين صحابي شركاء معايا السنة اللي فاتت والحمد بدأت إنها تشتغل وبقى عندنا زباين, أختي دكتورة جراحة قلب أكبر مني بأربع سنين وبتكمل دراسة المنحة بتاعتها في ألمانيا, بابا وماما ماتو من أربع سنين وسابلنا البيت بتاعنا في العجوزة, ومحل بنأجره كل شهر.

- جدو إسماعيل: البقاء لله.

- آدم: ونعم بالله.

- جدو إسماعيل: تمام... طيب بص أنا احترمتك جدًا لأنك وافقت تقابلني, أنا مايهمنيش الفلوس أو العائلات والكلام ده كله, أنا كل اللي يهمني الساموراي اللي هيجوز حفيدتي, هي الوحيدة اللي ليا في الدنيا دي.

- آدم: مفهوم حضرتك.

- جدو إسماعيل: مابحبش حد يقاطعني بعد إذنك... فكرة ارتباطك إنت وكاورلين أنا مبدائيًا موافق معنديش أي اعتراض, لكن والدها يعني إلى حد ما هيبص للفلوس والعائلة والكلام ده, فعلشان أقدر أدافع عنك أتمنى إني أشوف منك اللي يخلينى أثق بيك.

تلك المقابلة وأسلوب تعامل جدو إسماعيل مع آدم كانت كفيلة بأن يتم حفر ذلك التاريخ في ذاكرة آدم. لم يتوقع آدم تلك النزاهة والتواضع الذي تعلمه من جدو إسماعيل, وقد تمَّ تحول ذلك التمثال الخشبي إلى إنسان طبيعي يتكلم دون توقف محاولًا أن يصل أكبر قدر ممكن من المعلومات عن نفسه لإقناع جدو إسماعيل بأنَّه الشخص الذي سوف يحافظ على حفيدته. وعند الانتهاء من تلوين تلك القرية طلب جدو إسماعيل من آدم أن يلحقه إلى إحدى زوايا الغرفة, فتح ذلك الدولاب وأخرج صندوق خشبي سميك مفتوح من الأعلى, أخرج منه ثلاثة مكعبات صغيرة الحجم.

- جدو إسماعيل: بص يا باشمهندس... أنا من صغري كنت بحب أي لعبة فيها الغاز لحد لما كبرت وعملت المكعبات دي وشايلها للوقت المناسب.

- آدم: تمام.

- جدو إسماعيل: الفكرة بكل بساطة إن المكعبات دي هي بشكل ما مراحل ترابط العلاقة ما بين أي اتنين بيحبو بعض, طبعا ده من وجهة نظري.

- آدم: تمام... وبعدين... إيه المطلوب مني حضرتك!

- جدو إسماعيل: إنك تفك اللغز اللي في كل مكعب، وهتعرف وجهة نظري يمكن تفيدك في علاقتكم.

- آدم: بس كده... سهلة دي.

- جدو إسماعيل: ماهو ده اللي إحنا بنقوله لما بنبقى في بداية دخول أي علاقة

ارتباط, بتبقى الحياة سهلة وبسيطة ومفيهاش أي عقد, بس لما بنبقى جوا منظورنا بيختلف تمامًا... اِتفضل يا سيدي ده أول مكعب, وأول لما تفكه هنتقابل تاني... وأتمنى إنك تستفاد وتركز في كلامي.

اقتربت موجة كبيرة كانت جديرة بقطع تلك النظرات المليئة بالدفئ والحب بين آدم وكارولين على شاطئ الإسكندرية وبدرورها سحبت المكعب في طريق رجوعها إلى البحر, فقام آدم مسرعًا محاولًا اِنقاذ المكعب من الضياع وسط مياه البحر. أمسك المكعب بيديه اليسرى، وحاول أن ينشفه من البلل في قميصه الأصفر المشجر بنخل البحر, وباليد الأخرى أمسك يد كارولين وأكملا طريقهم في التمشية على أطراف الشاطئ.

- كارولين: هتفقد الأمل خلاص ولا إيه؟!

- آدم: لا طبعًا... بس هو جدو إسماعيل واضح إنَّه كان بيحب الألغار جدًا.

- كارولين: جدًا جدًا بقى... طب ما تقولي مشكلته يمكن أحاول أساعدك.

- آدم: مش عارف, بصي هو مشكلته أن مفروض الجزء ده يبقى بالشكل ده ولازم تبقى في حاجة هنا علشان الفتحة دي تتفتح وبكده الجزء اللي في النصيحة اللي جدو عايز يوصلها.

- كارولين: طب إيه رأيك لما تحاول إنت تعمل اللي بتقوله ده, وأنا أحاول أعمل الجزء اللي مش عارف إنت تعمله!

توقف آدم وكارولين وجلسو مرة أخرى على الرمال المبللة محاولين فك لغز ذلك المكعب, مرت القليل من الساعات وغربت الشمس, وأخيراً تم فك لغز ذلك المكعب, أسرع في إخراج تلك الورقة من قلب المكعب ليقرأها "المشاركة", تذكر آدم حديثه مع جدو إسماعيل وتفهم بأنَّه يحاول أن يرسل له رسالة ما من خلال ذلك المكعب.

لم يكن الهدف من تلك الألغاز أن يتم اِختبار مهارات آدم العقلية, الرسالة التي كان يحاول جدو إسماعيل أن يرسلها لآدم هي التجربة وأن يوضح له مبادئ أو الأسس التي يجب بناء علاقته هو وكارولين عليها كما فعل هو وزوجته سيلفيا. الأساس الأول كان المشاركة؛ لأن حياة أي اثنين مرتبطين لن يمكن أن تكتمل دون مشاركتهم كل شيء معًا, مشاركة مشاعر, حب, نظرات, أسرار, مستقبل, أطفال, وأهمهم صعوبات الحياة.

يجلس آدم على مكتبه في غرفته صول, وأمامه درج خشبي على مكتبه يوجد به بعض الأسطوانات وثلاثة مكعبات, يمسك أحدهما وينظفه بمنديل قماش أبيض منقوش عليه اسم "جي جي" في إحدى زواياه والابتسامة تعلو وجهه, انتهى من تنظيف آخر مكعب فيرتبهم بجانب بعضهم البعض فيتذكر أسس جدو إسماعيل "المشاركة - الثقة - التضحية...". وضعهم في مكانهم بداخل ذلك الصندوق, ولكن شيء ما جذب انتباهه مِمَّا أدى إلى تذوق ملوحة دموعه التي لم يمسحها أخرجها وظل ينظر لها من كل جوانبها.

وسط صافرات القطار في محطة الإسكندرية اشترى آدم تذاكر العودة إلى القاهرة له ولكارولين وأصدقائها. حمل كل منهم حقيبته وحقيبة أدواتهم الموسيقية ومن ثم ذهبوا لانتظار القطار في الرصيف الخاص به, دقائق مرت وتمَّ إعلان بأن القطار المتحرك من الإسكندرية إلى القاهرة سوف يتم تأخيره لصيانته وفحصه. جلس آدم في صمت على إحدى الكراسى منتظرًا انتهاء عمال الصيانة من عملهم لتحرك القطار على عكس كارولين التي بدأت في إخراج آلالاتها الموسيقية "الكمان" وبدأت في العزف وحيدة وهي تشير إلى أصدقائها بابتسامة لمشاركتها تلك اللحظة.

وبالفعل بدأ أصدقائها بالتفاعل مع عزفها, لتتحول تلك المعزوفة إلى إحدى

الأغانى الشهيرة "The Fly" للمغني الشهير "شابي شيكر", التفت الجميع لتلك المجموعة التي أضافة روح للمكان فحولت وقت الانتظار إلى وقت مليء بالسعادة, تركت كارولين "الكمان" الخاص بها وبدأ عزيز فهمي مغني المجموعة في غناء كلمات تلك الأغنية فكانت كفيلة بجعل الركاب في تحريك جسمهم يمينًا ويسارًا رافعين أيديهم في الأعلى ومن ثمَّ أنزالها للأسفل , للوهلة الأولى لم تكن تعرف أن تميز إذا كانوا يرقصون أم شيء ما يتحرك داخل ملابسهم فيحركون كل جزء من جسمهم محاولين إخراج ذلك الشيء, فى البداية رفض آدم في أن يرقص حفاظًا على مكانته كمهندس وإنه ليس ذلك الشخص الذي يعشق الرقص على عكس كارولين, لم يتوقف جسد كارولين في الاهتزاز والرقص على نغمات تلك الأغنية, فهرت لإحدى أصدقائها وأخذت نظارته وألبستها لآدم وكأنه تنكر لعدم معرفة الغير له, وبعد إقناع شديد من كارولين بدء آدم دون إحساس بأي شيء في تقليد حركات كارولين مع إرشادات (عزيز فهمي) كما فعل المغني الأصلي لتلك الأغنية.

هرعت المجموعة بالهروب داخل القطار عند سماعهم إحدى صافرات الأمن تحاول أن تلحق بهم لظنهم بأنَّه لصوص. لحظات وبدأ القطار في التحرك بعد إن تمَّ اِختفاء كل منهم في مكان ما في القطار, جلس آدم وكارولين محاولين اِلتقاط أنفاسهم في هدوء وتوزيع الابتسامات على كل الركاب الذين ينظرون لهم ويبتسمون. لم يدرك آدم بأن نظارة عزيز ما زالت على وجهه واِحتفاظًا بتلك النظارة قرر أن يضعها في جيب جاكته البني الداخلي وتصنع بعدم تذكره أين مكانها, التزم الصمت والتفت إلى شباك القطار لينظر إلى المناظر الطبيعية بعد أن استرق بعض النظرات إلى كارولين.

تشتت ملامح الطريق نتيجة لسرعة تحرك القطار فتعدل آدم في جلسته وأخرج نظارته من جيب الجاكت الرمادي وارتداها لتفادي أشعة الشمس, فتح

الراديو على إحدى القنوات ليستمع إلى إحدى الأغاني كنوع من الانسجام وتهدئة الأعصاب, وفجأة فتح آدم عينيه عند سماعه توقف الموسيقى وإحساسه بأشعة الشمس التي تلامس عينيه, فوجد زكريًّا ينظر له في غضبًا حاملًا تلك النظارة في يديه حاول آدم أن ياخذ النظارة منه مرة أخرى بهدوء حفاظًا على النظارة من حدوث أي تلف بها, ولكن زكريًّا لم يستسلم بسهولة ليعطي له النظارة, لم يفهم آدم لماذا كل هذا الغضب الذي ارتسم على وجهه عندما ارتدى تلك النظارة.

- آدم: مالك يا زيكو فى إيه؟... ممكن النظارة لو سمحت!

- زكريًّا: مالي...!! هى مش دي النظارة بتاعت كارولين!!

- آدم: أيوه في حاجة؟!

- زكريًّا: أيوه في حاجة... هتفضل لحد امتى محتفظ بحاجاتها... هتفضل لحد امتى بتسمع نفس الأغاني اللي كنت بتسمعها معها... هتفضل لحد امتى بتعمل نفس الحاجات بنفس الأسلوب اللي كنت بتعمله معها.

- آدم: معرفشي يا زكريًّا لحد امتى، ومش إنت اللي تسأل السؤال ده... أمال لو مكنتش تعرف قيمتها وماكنتش تعرف اللي مابينا.

- زكريًّا: مفيش حاجة اسمها معرفشي... أنا عارف إن كارولين كانت حاجة كبيرة جدًا بالنسبة ليك تكاد تكون أهميتها من أهمية أختك لبنى ده لو ماكنتشي أكتر... بس ذنبها إيه الغلبانة جيهان.

- آدم: مالها جيهان دلوقتي ومال كارولين.

- زكريًّا: مالها...! إنت مش حاسس إنك بتجرحها, أو إنك بتخونها!

- آدم: أنا... أنا...

- زكريًّا يمسك يد آدم: إنت خلاص هتجوزها, دي دبلتكم في الخطوبة, ومفروض

كمان كام شهر هتتجوزو... وإحنا دلوقتي في الطريق للإسكندرية علشان تحجز لشهر العسل قبل ما تسافروا فرنسا.

- آدم يبكى: والمفروض أعمل إيه... أسيب جيهان... ولا انتحر وأخلص... ولا أفضل عايش على ذكرى كارولين, أحن وأحسن وأجمل شخص عرفته في حياتي!

- زكريًّا: ومين هيتحمل زي جيهان إنها تبقى عايشة مع واحد نص كلامه عن حبه القديم اللي مات أكتر من 9 سنين.

- آدم بعصبية: ماتقولشى مات... حبي لكارولين عمره ما مات... هي ماتت اه بس حبها ليا وحبي ليها مامتتشي.

- زكريًّا: طب تفتكر لو كارولين كانت عايشة كانت هتحب إنك تكون بتظلم جيهان.

- آدم: طب أعمل إيه... أنا بحب جيهان وعارف إني بجرحها وعارف إنَّها الوحيدة اللي هتتحمل ده... ساعدني أنساها يا زكريًّا.

- زكريًّا: لو عاوز تنساها بجد يبقى تبطل تعمل الحاجات اللي كنت بتعملها معها.

- آدم: أبطل أسمع موسيقى... أبطل أكل... أبطل أشرب قهوة... أبطل أرقص.

- زكريًّا: يبقى تعملها بس بشكل تاني مع جيهان، وأنا متأكد إن جيهان هتقدر إنها تخليك تنسى كارولين بس إديها حقها وماتظلمهاش.

كانت كلمات زكريًّا لآدم في هذا اليوم كسهام التي كسرت قوانين الجاذبية واخترقت كل جزء في جسم آدم لتجعله ينضج من وجهة نظر زكريًّا ليواجه الواقع وتحدي ماضيه الذي يزوره, جلس آدم في صمت على كرسيه ووضع النظارة مرة أخرى في جيبه بعد أن نظر إلى عدستها التي خَيل له بأنَّه يرى ملامح ابتسامة كارولين بها.

استسلمت دموع آدم لقانون الجاذبية فوقعت على إحدى عدسات النظارة التف آدم إلى مكتبه مرة أخرى ليحمل ذلك المنديل وينظف تلك النظارة ليضعها في مكانها بجانب تلك المكعبات, مسح دموعه بنفس المنديل الأبيض كانت الأتربة هي الرائحة المسيطرة بدلًا من رائحة جيهان المفضلة, ولذلك رجع إلى مكتبه وجلس وفتح إحدى أدراجه ليخرج تلك الزجاجة الشفافة التي أوشكت على الانتهاء وظل يرش في كل زوايا المنديل فجلس على الكرسى يشمها في حب واشتياق ونظر إلى تلك اللوحة الكبيرة المتواجدة في منتصف غرفته "صول".

انتشرت الإضاءة في القاعة وقبل مغادرة الجميع من القاعة للاستراحة تسألت رَحيل بصوت مرتفع مع عدم انتظار إجابة منهم, هل آدم شخص أناني, مظلوم, خاين, أم تأئه وسط ذكرياته الحزينة... وهل جيهان بلا كرامة لتتحمل كل هذه الذكريات, أم ستكون له الآلة موسيقية فيكن له عازفًا ليعزفو أنبل نغمات العشق.

الفصل الثالث عشر

لكل عاشق قصة حب كانت سبب لجعله يحب بشكل مختلف عمَّا سبق!

غرفة مليئة بالألواح المبعثرة في كل مكان البعض مغلف والبعض الآخر لم يتم تغليفه, خطوط قصيرة للألوان منتشرة على الأربع حوائط التي تجلس داخلها شهرزاد, بالنسبة للبعض سوف تبدو تلك الغرفة وكأنَّها غير قابلة للمعيشة وأنَّها تحتاج الكثير من النظام فقط لتتحرك بها, على عكس شهرزاد التي تجد بها راحتها التامة مبتعدة عن العالم. بطبيعة عِشرة رَحيل لشهرزاد عرفت خريطة تلك الغرفة, فهي الوحيدة القادرة على دخولها وكأنَّها سارقة مهارة.

وقفت رَحيل على باب المرسم الخاص بشهرزاد مبستمة وهي تنظر إلى تلك اللوحة, حاولت أن تستخدم تلك الخريطة لتدخل غرفة شهرزاد التي بدورها تجلس على كرسيها الخشبي العالي المليء بالألوان في كل نقطة به, تضع سماعتها في إذنها, وفرشتها في يديها تضع اللمسات الأخيرة على تلك اللوحة التي رسمت اِبتسامة مختلفة على وجه رَحيل.

خلفية مليئة بالألوان الفاتحة المختلفة منها الأزرق والأحمر والأصفر, وفي وسط اللوحة آلة الأوكورديون تلونت باللون الأسود لتصبح الأكثر ظهورًا في وسط اللوحة, تعلوها ربطة عنق رجالية زرقاء مزخرفة باللون الأصفر, وتنتشر الأشكال الموسيقية حول الآلة.

اِقتربت رَحيل على شهرزاد وفي اللحظة التي وضعت يديها على كتف شهرزاد, ارتعبت بشدة رهيبة مِمَّا أدى إلى سقوطها على الأرض تدريجيًّا في محاولة التمسك برَحيل التي بدورها هي الأخرى حاولت أن تتمسك باللوحة فانتهى بهم المطاف على الأرض جميعًا بجانب لوحات شهرزاد الأخرى.

- رَحيل: طبعًا لو حلفت إني ماكنشي قصدي أعمل كدة من هتصدقي... أنا أصلًا افتكرتك حسيتي بيا وأنا داخله في الزريبة اللي إنتِ قاعدة فيها دي.

- شهرزاد بعصبية: إنتِ عاجبك المنظر اللي إحنا فيه ده... واللوحة باظت يا بنت ال....

- رَحيل: لا ماسمحلكيش.. إمسكِ لسانك الطويل ده.

- شهرزاد: بلا لساني بلا زفت, قومي هاتي أي حاجة نمسح بيها وشنا وشعرنا... كتك القرف في شكلك.

- رَحيل: حاضر حاضر.

تعدل الجميع في مكانهم وتربعوا على الأرض في صمت كل واحدة تمسك المرآة محاولين تنظيف تلك الألوان المنتشرة على وجوههم, لحظات مضت وتم إزالة البعض منها والبعض الآخر تبقى دون جدوى من تنظيفه. بالرغم أن الوحة تلطخت بالعديد من الألوان المبعثرة نتيجة ما حدث, إلا أن شكلها لم يختلف كثيراً فرسم ابتسامة على وجه شهرزاد وسط ملامح غضبها.

- رَحيل: بس حلوة اللوحة دي.

- شهرزاد: عايزة إيه يا رَحيل؟!!

- رَحيل: أنا قلت حاجة, بقولك اللوحة حلوة, هي اتعكت بشوية ألوان بس شكلها حلوة بردو.

- شهرزاد: شكرًا يا زفتة... هاتي اللي عندك وقولي الكام كلمة اللي مزنوقين جواكِ؟!

- رَحيل: بصي يا شوشو, أي حد بيبقى برا أي حوار بيبقى شايفو بشكل تاني, وأنا بصراحة شايفة إن في حاجة من ناحيتك لعمر, بس في بردو حاجة تانية قافلة على المشاعر دي, وده ممكن يضيع فرصة كويسه لكي مش ده كلامك, فاكرة ولا نسيتي؟!

- شهرزاد: ماعرفشي بقى... وكمان مش رسمة يعني اللي تحدد مشاعري.

- رَحيل: شهرزاد أنا وإنتِ عشرة 15 سنة يكاد يكون متربين مع بعض.

- شهرزاد: طب ومفروض أعمل إيه؟ ماهو كل واحد فينا عنده ذكريات قديمة غيرت فكرت الحب, وبَقت بتخلينا نفكر مليون مرة في نتايج الخطوة اللي هنعملها.

- رَحيل: ماهو ده غلط بردو يا شوشو, أكيد لازم طبعًا هنتعلم من إخطائنا اللي فاتت بس مش لدرجة إننا نقارن بينها وبين اللي فات.

- شهرزاد: أنا مش بقارن ولا حاجة... كل الموضوع إني بكل بساطة عملت حاجات وكسرت كل قوانيني وفي الآخر اتقالي إحنا مش مناسبين لبعض.

- رَحيل: والمرة اللي جايه هتكسري قوانين جديدة. المهم إنك ما تفكريش بعقلك بس أو بقلبك بس... إدي لنفسك فرصة وشوفي إيه اللي هيحصل!

- شهرزاد: أيوه يعني أعمل إيه!

بطبيعة عقلية المرأة فإنَّها دائمًا ما تحب أن تفترض العديد من التساؤلات التي لا يكون لها أي صحة من الأساس, وعلى الفور ظهرت عدة تساؤلات لرَحيل التي جعلتها تصمت لفترة من الوقت لتذكرها آسر والعديد من التسأولات. هل الفرصة التي أعطتها لآسر صحيحة أم أنَّها مجرد قصة سوف تصبح في الماضي يومًا

ماَ هل آسر يستحق تلك الفرصة؟ والعديد من التساؤلات التي تظهر في عقلية أي اِمرأة ,مِمَّا تؤدي إلى ظهور عقبات دون أي مبرر وتكون هي السبب الأكبر في فشل علاقتها أيًّا كانت نوعها.

ظهر نداء الغداء من قبَل والد شهزراد (زكريًّا) الذي قطع حبل تساؤلات رَحيل التي أوقفت حديثها مع شهرزاد, ولكن بالطبع سوف يجدن الوقت المناسب للتكلم فيه مرة أخرى. أبدى زكريًّا إعجابه بلوحة شهرزاد الخاصة بالأكورديون وابتسم تلك الابتسامة الأبوية الخبيثة التي حركت طبيعة شهرزاد كامرأة فظهرت بداخلها تساؤلات أولها خيانة رَحيل لها ومشاركتها نفس الحوار مع والدها بحكم قربهم من بعضهم البعض؟ أو ذهاب عمر لوالدها والتكلم معه؟

- شهرزاد تقترب على رَحيل: إنتِ قولتي حاجة لزيزو؟؟!

- رَحيل: لا محصلشي طبعًا... إيه الهبل ده؟!

- شهرزاد: الأنثى اللي جوايا بتقولي في احتمال إنك قلت لبابا أو لمحتي.

- رَحيل: يا بنتي محصلشي والله... وعرفتي منين إنه عارف؟!

- شهرزاد: إنتِ مشوفتيش ضحكلي إزاي لما بيقول اللوحة حلوة, ومش طبيعة زيزو إنَّه يقول تعليق واحد من غير تفاصيل!

نظرًا لخبرة زكريًّا في تعامله مع النساء تحسس بأنَّه قد أظهر الشك داخل شهرزاد, فحاول أن يقطع الحوار الشبه سري بين شهرزاد ورَحيل ووصف لهم الأكل بكل شهوة تجعل أي أحد يقبل على الطعام بشراهة دون حتَّى أن يفكر في أي شيء آخر. وبالفعل بدأ الجميع في ملئ طبقهم الخاص بكل ما لذ وطاب من الأطباق الرئيسية, بعد أن تم شرب القليل من حساء زكريًّا الشهير.

- زكريًّا: بصي أولا أنا ماكنشي قصدي إني أتصنت عليكم, بس أنا عندي إجابة للسؤال بتاعك يا شيكا.

- شهرزاد تتصنع اللامبالاة: هاا... سؤال إيه يا زيزو مش فاهمة؟!

- زكريًّا: وحياة أمك... طب خلاص أنا بس كنت حابب أساعد.

- شهرزاد: يووووه... طيب اتفضل يا زيزو باشا جاوب وقول اِقتراحك!

كلنا لدينا عيوب ومزايا, كلنا لدينا ماضي, حاضر ومستقبل نعيش من أجلهم, فإذا توقفنا عند ماضينا محتفظين فقط بالعيوب لن نرى حاضرنا الذي سوف يضيف عيوب جديدة ليتم تحويلها إلى مزايا في المستقبل. على سبيل المثال, لكل طباخ وجبة ما تميزه عن باقي الطباخين تدعى بالخلطة السرية, تلك الخلطة السرية في الماضي كانت مجرد توابل ليس لها علاقة ببعضها البعض تحولت إلى مزيج من التوابل المختلف في الحاضر حتَّى أصبحت خلطة سرية جعلتها وجبة متميزة. هكذا نحن كبشر متشابهين في امتلائنا بالعيوب والمزايا, مختلفين في زاوية نظرتنا لها وكيفية التعامل معها.

- زكريًّا: فهمتِ حاجة؟ أكيد في تساؤلات كتير عن عمر شخص كويس ولا عايز الحرق! بس كل التساؤلات دي مش هتخلص ومش هتقف إلا في حالة واحدة.

- شهرزاد: اللي هي إيه بقى!

- زكريًّا: فرصة وإنتِ حذرة, بمعنى تبقي مركزة ومتسبيش قلبك لوحده يختار أو عقلك, ولو احترتي روحي لشخص بتثقي فيه جدًا, واقترحي عليه نظرًا لأن أي حد بيبقى برا العلاقة بيبقى عنده وجهة نظر حيادية.

لم يقدر زكريًّا في أن يصمت عند رؤية بنته الوحيدة تتألم من كثرة التفكير في مشكلة يوجد عنده حل لها. بنته التي ضحى بكل شيء حتَّى تبقى معه بدلًا من أن تسافر مع والدتها جيسيكا إلى أمريكا بلدها الأم, كانت أهم علاقة في حياة زكريًّا, كانت المرأة الوحيدة التي خطفت قلبه وغيرت مفهومه عن الارتباط, تم اتفقاهم على إنهاء علاقتهم بأسلوب محترم متفهم يجعل حياتهم خالية من أي

كره لبعضهم البعض, وكانت تلك النهاية التي اِستقبلها زكريًّا بصدر رحب لإقتناعه بعدم قدرة جيسيكا على التأقلم والعيش في القاهرة, ولكنه رفض تربية بنته شهرزاد في بلاد الغرب التي سوف تكون خارج حدود دينه وعاداته وتقاليده, وكانت أهم الشروط عدم زرع أي أفكار تجعل شهرزاد تكره أي من الطرفين فتم الاتفاق على زيارة شهرزاد لوالدتها كل سنة مرة في الإجازة الصيفية بعد أن تتم سن السادسة عشر, وافقت جيسيكا بعد العديد من المشجارات التي انتهت بزيارتها لشهرزاد كل إجازة لها والسفر معها إلى الغردقة أو شرم الشيخ حتَّى تتم الرابعة عشر.

قطعة خشبية مكونة من 64 مربعًا نصفهم بالأبيض والنصف الآخر بالأسود, يرتب كل من زكريًّا ورَحيل القطع الخشبية على شكل الجيش الروماني في مكانها على رقعة الشطرنج لبداية تحدي جديد. بدأت أول حركة من قبل رَحيل بتحريك حصانها الأيسر نظرًا لاختيارها اللون الأبيض فرأت حرفين منقوشين على أطراف القطعة الخشبية.

- رَحيل: هو إيه معنى الحرفين دول يا أونكل زيكو, وإيه شكل الشطرنج الغريب ده؟ كل مرة ببقى عايزة أسئلك بس بنسى.

- زكريًّا: J&A... ودي كانت أول هدية جاتلي من آدم وجيهان لما سافروا شهر العسل في اليونان.

- رَحيل: اااه تمام... بس أنا عندي سؤال يا أونكل زيكو؟!

- زكريًّا: اِسئلي، بس ركزى علشان متجيش تقولي ماكنتش مركزة.

- رَحيل وهي تحرك الحصان الخشبي: مش غريبة إن ماما عمرها ما قالتلي قبل كدة إنها بتركب حصان وكان عندها زمان إسطبل ومعلمتنيش!

- زكريًّا: إنتِ عايزة إيه يا رَحيل؟ خشي في الموضوع على طول!

- رَحيل: بص يا أونكل زيكو بصراحة كده أنا سمعتك إنت وبابا لما كنت بتقولوا ليه كدبت وقلت إن جيهان هي اللي بتركب حصنة مش كارولين.

- زكريًّا: إنتِ تاني يا رولينا... مانا قولتلك قبل كده إن كارولين دي أول حب لآدم قبل مامتك, وإنه كان بيحبها جدًّا.

- رَحيل: طب وليه مقالشي إنها كارولين, وليه قال إنها ماما.

ليس كل منا لديه تلك القدرات لنسيان ماضيه أو ذكرياته التي اِعتاد أن يعشها حتَّى تحولت كنوع من الروتين اليومي, فبعضنا يفضل بقاء تلك الذكريات كنوع من تذكيره بماضيه والبعض الآخر يحارب كي ينساها, وآخرون يعيشون في تلك الذكريات وكأنَّها ما زالت روتين يومه. بالنسبة لآدم قرر أنَّه سوف يبني ذكريات جديدة على تلك الذكريات القديمة أتى كانت في الأصل فكرة جيهان, في البداية لم يتفهم آدم تلك الفكرة ولم يتقبلها وأحس بأنه سوف يكون ظالم لجيهان عند وضعها في منافسة قوية مع كارولين التي استمرت أكثر من 7 سنوات في عقله. مع الوقت بدأت تلك الفكرة أن تصبح حقيقة وأصبحت جيهان من أقوى الأمثلة والعبر للدلالة عن الحب والعشق لكل مستمع لتلك القصة أو من عاشها مثل زكريًّا.

- زكريًّا: آدم ماخنشي جيهان يا رولينا... ولا عمره قدر يفكر يخونها... كارولين ماتت قبل ما بابكِ يعرف أو يقابل جيهان بسبع سنين.

- رَحيل: ماتت.. إنت كده خلتني أتوه.. يعني كارولين أصلًا ماتت.

- زكريًّا: اه والله... كش ملك يا أستاذة.. وليه التوهان دلوقتي؟

- رَحيل تحرك إحدى القطع الخشبية: راح عليك الفيل... علشان إيه السبب اللي يخلي بابا يفضل يفكر في واحدة ماتت بقالها سبع سنين, إلا لو كان بيحب كارولين أكتر من ماما... يعني كده بابا ماحبش ماما زي كارولين!

- زكريًّا: لا يمكن حد يحب مرتين بنفس الطريقة أو الأسلوب, نفس وجهة نظر الطباخ والخلطة اللي فضل يعدل فيها حد لما وصل للخلطة السرية, أنا ماكنتش بقول الكلام ده لشهرزاد بس على فكرة.

- رَحيل: هـــاا... طيب... كش ملك يا أونكل زيكو.

- شهرزاد تشاهد: شكلي كده هلاعب رولينا... الزيزو اتزنق ولا إيه؟؟

لوحة فنية ذو خلفية رمادي والسواد في جوانبها, وفي منتصفها أرضية بها 64 مربع نصفهم بالأبيض والنصف الآخر بالأسود, تملئها قطع الشطرنج الكبيرة عن حجمها المعتاد, وعلى إحدى المربعات تقف بنت بجانب الحصان الأبيض وتشاور على مربع آخر, وفي المقابل رجل كبير في السن يحرك القلعة السواداء الخاصة به إلى إحدى المربعات.

ربطت شعرها كالعادة بفرشاتها وظلت تنظر إلى تلك اللوحة التي كانت بداية ظهور المحقق الذي بداخلها ليبدأ في عمله ومعرفة الحقيقة لتلك الحادثة أو الجريمة. بالنسبة لرَحيل لم تقتنع كليًّا بكلام زكريًّا ودفاعه عن آدم, فكيف لرجل يفضل حب قد مات عن حب حي أمامه وفي يديه وبإشارة منه يمكن أن يسيطر على العالم, عرفت رَحيل بأن آدم لم يكن خائنًا لوالدتها جيهان, فكيف يخونها مع أنثى قد ماتت وتحلل جسدها بالكامل, ولكن ظلت تساؤلات في ذهن رَحيل لماذا كل هذا الحنين للماضي وترك الحاضر يتذبل كالوردة التي قلة عنها المياه فتعذبت في ذوبلها يوم تلو الآخر. سحبت فرشاتها من شعرها الذي بدوره استسلم للجاذبية وتحرك للأسفل كشلال المياه بكل انسيابية ومرونة, وأكملت رحيل تلك الرسمة بكل فكرها.

يشرب آدم قليل من فنجان قهوته قبل أن يحرك قلعته السوداء أمام الملك ليحميه من إحدى محاولات رَحيل في قتله على رقعة الشطرنج, فانتقلت حيرة آدم

إلى حيرة رَحيل التي لم تستقر كثيراً نتيجة تحريكها ذلك الحصان الأبيض الذي يعتبر القطعة المفضلة لديها في لعبة الشطرنج.

- آدم: هو الحصان بتاعك ده ما بيهمدشي في حته.

- رَحيل: تلميذتك يا دومة!

- آدم: ماشي يا ستي, بس المرة دي هتقري الفاتحة على الحصان.

- رَحيل: أوف بقى... كل مرة بنفس الفيل الرخم ده.

- آدم: علشان تبقى مركزة ومتتسرعيش.

- رَحيل: بابا هو ليه شكل الشطرنج ده غريب كده, هو ده مش خشب صح؟!!

- آدم: لا مش خشب, ده طين أسواني.

يجلس آدم على كرسي خشبي وأمامه عجين بني اللون على ترابيزة متوسطة الارتفاع. يحاول أن يكون منه عدة أشكال, في البداية لم تكن مهارته كافية لتكوين شكل واحد من ذلك العجين, استسلم لبعض الوقت وخرج ليشرب فنجان قهوة في بلكونته الخاصة كنوع من إعادة المحاولة مرة أخرى دون أي شعور بالفشل, مرت دقائق ودخل آدم إلى غرفته جالسًا على ترابيزته وبدأ في المحاولة مرة أخرى, مرت ساعات حتَّى انتهى من أخر شكل في لعبة الشطرنج (العسكري), لم تكن بقية أشكال القطع الأخرى مصنوعة بحرفية ولكنها كانت قابلة للاستخدام على رقعة الشطرنج, كانت تلك الخطوة الأولى, التي جعلته سعيدًا لانجازه صناعة قطع الشطرنج, فانطلق على أقرب نجار له وطلب منه أن يصنع له رقعة شطرنج وعلبة فارغة كبيرة ليضع بها قطع الشطرنج, ولختام تلك الفرحة في طريق عودته إلى المنزل اشترى ورق هدايا ليلف به الهدية التي صنعها لجيهان, وأخيراً وضعها في حقيبة سفره في رحلتهم إلى اليونان لتقضية شهر العسل.

عضلات مشدودة وعروق بارزة في رجل آدم التي تستخدم كل ما أوتيت من قوة دفع في بدلات العجلة الهوائية الرزقاء التي يركبها محاولًا صعود ذلك المرتفع في إحدى ضواحي اليونان التي تتميز بضيق شوارعها ونظافتها فبالرغم من صعودك ذلك المرتفع بصعوبة, سوف ترتسم على وجهك ابتسامة نظر لما تراه من طيبة البائعين المرحبين بك دائمًا, أخيرًا وصل آدم بعد معاناة في صعود ذلك المرتفع ليجد جيهان في انتظاره على عجلتها الصفراء تشرب من زجاجتها الزرقاء ومن ثمَّ تلف شعرها بإحدى أعوادها الخشبية.

- جيهان: إنت مش ناوي تعرفني طيب رايحين على فين؟!

- آدم: لو صبر القاتل على المقتول.

- جيهان: كان مات لوحده... بردو هنروح فين! وأنا بدأت أجوع وبصراحة المكان اللي إحنا واقفين فب ده كله أكل والريحة تجنن بصراحة.

- آدم: لا سيبك منهم... هنا مفيش أحلى من سمك "حمادة".

- جيهان: حمادة مين؟! دوم دوم حبيبي إحنا في اليونان مش في سموحة.

- آدم: يا ستي حمادة دي صديق الجامعة... بس هو ربنا كرمه وسافر اليونان فتحله محل سمك وساب هندسة.

- جيهان: طب والله بيفهم. طب بالنسبة للبتاعة اللي في صندوق عجلتك ده وجيبها معك من مصر مش ناوي تقولي إيه هي, ولا دي هدية لحمادة!

- آدم: إن الله مع الصابرين, ورايا يلا وبلاش أسئلة كتير!

على أنغام صوت كوكب الشرق, ألقى آدم وجيهان دراجتهم على الرمال الصفراء الناعمة المبتلة عند طرفها بفعل الموج المتوسط الذي يزور الرمال كل فترة قصيرة. أخذ آدم تلك الهدية من صندوق دراجته واتجه بها إلى مطعم حمادة.

تمثال لرجل يرتدي قبعة الشيف حاملًا إحدى أنواع السمك في يديه مبتسمًا, ذو جسم بدين, ويرتدي ثوب الشيف الأبيض ويوجد عليه الكثير من التعليقات بالكثير من اللغات على جودة الطعام وذوقه في الأغاني, وروح المكان المليء بالبجهة والحب, أو كما يقولون عنها الروح المصرية. عند دخولك للمكان سوف تجده مليء بالترابيزات مختلفة الألوان منتشرة في جميع المكان, المحاطة بحوائط بنية من الطوب الأحمر الطيني الذي يتوسطه خطوط بيضاء بين الفراغات, وفي إحدى زوايا المطعم توجد ترابيزة خشبية مليئة بالثلج وعليها العديد من أنواع السمك والجمبري وأنواع أخرى لحيوانات البحر.

يخرج حمادة من المطبخ في زي الشيف وينشف يديه في ملابسه قبل أن يصل إلى ترابيزة آدم وجيهان المطلة على البحر مباشرة وسط العديد من العائلات اليونانية.

- آدم: مستر حمادة... أبو كرش جنان!

- حمادة: بشمهندس آدم بجلالة قدره عندي في اليونان... ده أنا مصدقتش لما كلمتني وقولت إنك جاي.

- آدم: حبيبي والله يا حمادة... جيهان المدام... حمادة أحلى واحد يعمل أكلة سمك وشوربة سي فوود.

- جيهان: مستر حمادة... أهلًا بحضرتك... المكان تحفة جدًا بجد.

- حمادة: أهلًا بيكِ... ألف مبروك وإن شاء الله تبقى حياة كلها سعادة وفسفور.

- آدم: حمادة... وجبة حلوة كده من إيدك على ذوقك.

- حمادة: من عينيا الاتنين بس كده.

أنهى آدم وجيهان الغداء المميز الذي قدمه حمادة لهم كهدية زواجهم ولم يقبل أن يأخذ أي مبلغ من آدم, بل جهز لهم ترابيزة خاصة بهم على ضوء القمر في الليل وسط الرمال الصفراء التي أصبحت زرقاء بعض الشيء بفعل الإضاءة التي كانت مرصوصة على أطراف الممر المؤدي لتلك الترابيزة... أخرج آدم تلك الهدية لتكون أهم ثاني منافسة بين آدم وجيهان في الشطرنج التي لم تكتمل عند تدخل حمادة حاملًا في يديه كأسين كبير الحجم ذو ساق رفيعة تنتهي بقاعدة دائرية مزينة بدائرة ذهبية على أطرافها إضافة للكأس شكل مميز, وتم تشغيل أغنية "fly me to the moon " للمغني الشهير "فرانك سيناترا" وتركهم وسط نغمات الأغنية ليتراقصوا عليها متشاركين بعض الابتسامات التي سوف تراها فقط في أعين اثنين تذوقوا طعم الحب بشكل مختلف عمَّا حولهم.

تلك اللحظة التي يتفق بها عقلك مع قلبك فتجعل كل جزء من خلايا العقل جاهزة لتسجيلها فيقوم بدوره إلى إرسال موجات للكبد ليضخ أكبر قدر ممكن من الدم وتغير رتابة الدورة الدموية التي تجعل قلبك يدق بسرعة رفرفة جناحات الفراشة التي تجعها تتحدى قوانين الجاذبية لتبقى حرة في الهواء, فتزيد نسبة هرمون السعادة في جسمك, في تلك اللحظة فقط أحست جيهان وكأنَّها تلك الفراشة الحرة التي تحدت كل القرارت وكل الصعوبات لتكون مع آدم وأن تشاركه تلك اللحظة, سرعان ما تحول إحساس تلك الفراشة لإنسانة عند تلامس شفاه آدم مع شفاهها عندما كانت متمايلة على ذراعه ناظرة إلى السماء بعد انتهاء رقصتهم, وفي تلك اللحظة كانت المرة الأولى التي تحس جيهان بكم الحب الذي يكنه آدم لها.

لم تكن تلك الرحلة هي الأولى, لكل رحلة كانت مغامرات جديدة وهدايا جديدة من الطرفين, وكانت دائمًا هدايا مختلفة عن المألوف غير قابلة للتقليد,

لا تقدر بثمن فقد بالنسبة لهم, تلك كانت إحدى أنواع للتعبير عن مشاعرهم لبعضهم البعض من وقت لآخر.

التزم آدم الصمت لبعض من الوقت يفكر في خطوته التالية بعد أن أنهى قصته لرَحيل, فاستقر على تحريك إحدى العساكر المتواجدين على رقعة الشطرنج.

- آدم: ومن ساعتها والشطرنج ده موجود عندنا, وياما وخسرت من جي جي.

- رَحيل: إيه يا دومة الرومانسية والحلاوة دي... ونقول كش ملك بالفيل.

- آدم: ما هو مش أسلوب كل شوية كش ملك كش ملك... أمال إيه يا بنتي أنا مليء بالمفأجات... صحيح بشمهندس آسر عدى انهارده عليا في المطعم.

- رَحيل مقاطعة بتردد: أوكي... وبعدين!

- آدم: سابلك لوحة كان بيقول إنَّها بتاعتك وإنك نسيتها عنده في الإستوديو!

- رَحيل: هاااا... أنهي لوحة؟!

- آدم: مش عارف... موجودك عندك عند الباب.

- رَحيل: طيب تمام... مش ناوي تلعب بقى!

- آدم: كش ملك وبكده الملك مات... مش ناوية إنتِ بقى تقوليلي مين آسر!

- رَحيل: بس متتعودشي على كده، أعملك معايا طبق آيس كريم.

- آدم: اعملي آيس كريم... بس مين بردو آسر؟!

- رَحيل: واضح كده إني اتزنقت زي الملك بتاعي. الآيس كريم فانيلا وشوكولاتة.

تشابهت رَحيل في الأسطوانة التي وضعتها على الجرامافون فاستسلمت لذلك الذراع والبدأ في إخراج الألحان والكلمات التي تجعلك تتراقص دون أي معرفة بالسبب. وعند بدء أنغام أغنية "sway" للمغني "فرانك سيناترا" ترك آدم ورَحيل نفسهم ليتراقصوا على نغمات الأغنية وسط سرد رَحيل لقصتها هي وآسر, بداية

من ظهوره المفاجئ في الكافيه حتَّى مغادرتها المفاجئة عند مقابلتهم في إحدى الكافيهات, تلك المغادرة التي جعلتها تفكر أكثر من مرة في ماضيها, وكتابة الكثير من النظريات الفاشلة في المقارنة مع ماضيها, وأسئلتها التي لم تجد لها إجابة مقنعة, وتوقفت عند سؤال واحد هل أنا فقط الملامة على مغادرته؟

- آدم: الفكرة مش في إنك غلطانة أو لأ.

- رَحيل: نوقف طيب المزيكا ونشوف الآيس كريم اللي ساح ده.

- آدم: ماشي... الفكرة يا ستي إنك أصلًا ماينفعشي تعملي كل الحاجات دي؛ لأنك هتفضلي تعملي نفس اللي عملتي في اللي فات بس بشكل مختلف أو حذر بمعنى أصح.

- رَحيل: وبعدين... هعرف بقى منين إنه الشخص المختار اللي هيجلي بالحصان الأبيض.

- آدم: هتعرفي ده لوحدك من غير تفكير ونظريات وافتراضات... شوكولاتيه بقى كده من التلاجة نحطها على الآيس كريم.

- رَحيل: إيه يا بابا الفصلان ده. مفيش شوكولاتيه, وكما كلامك لو سمحت.

- آدم: طب واحدة كيت كات بس!

- رَحيل: وهتكمل كلام من غير أي فواصل.

- آدم: وهكلم على طوول مش هقف ولا هقطع تاني.

"كن دائمًا توقيع لخروج مشاعرك المسجونة, ولا تكن توقيع تجديد حبسها"

لم تكن تلك المعادلة التي ذكرها آدم صعب فهمها بالنسبة لرَحيل ولكنها كانت صعبة في تنفيذها, هل سوف تقدر على إظهار كم تلك المشاعر لآسر وهل سوف يبقى ويتحمل كل ما يسمعه أو هل سوف يرفضه ويوقع قرار التخلي عنها.

- آدم: وعلى فكرة الولد لو قرر إنه هيمشي فده مش معناه إنه وحش.

- رَحيل: أيوه طبعًا طبعًا... بس أنا يا بابا مش عايزاه يمشي!

- آدم: خلاص يبقى ماتخبيش حاجة ومتخليهوش يفضل حيران, عرفي ده!

- رَحيل: أيوه يعني أعمل إيه!!

- آدم: هو كلام مايطلعشي مني كأب يعني, بس كملي دلوقتى واطلبي إنك تقابليه.

- رَحيل: يا دومة إنت برنس والله... يووختي عليه.

- آدم: واحدة كيت كات تاني بقى.

- رَحيل: مفيش مشاكل, بس جاوبنى الأول... مين كارولين يا بابا؟!!!

الفصل الرابع عشر

لوحة لبنت تقف في ممر وتنظر لباب خشبي بني اللون في نهاية الممر مكتوب عليه "صول"، تلف شعرها بقلم رصاص أصفر اللون، وحاملة في يديها ظرف خطابي، وفي اليد الاخر قطعة حصان من الشطرنج، وفي جيبها الخلفي ساعتان جلديتان أحدهما بني والأخرى سوداء، وتزينها خفلية ذهبية مزرقشة باللون الأبيض على أشكال ورود.

تضاء الأضواء في الصالة تدريجيًّا حتَّى تصبح الرؤية واضحة للحاضرين، تقف رَحيل من على كرسي البيانو لتحي الجمهور. يقترب آسر ليعطي لها يده لتنزل من على المسرح في مرونة وأنوثة في فستانها.

- رَحيل: هنقف هنا عند اللوحة دي وهنكمل بعد البريك إن شاء الله.

شعر أصفر ناعم، بشرة بيضاء لوجه صغير دائري الشكل تتوسطه عينان زرقاء، وأنف صغيرة الحجم في نهايتها فم تزين بالروج الأحمر الداكن، وتجاعيد دلالة على كبر سن تلك المرأة الطويلة التي تحضتن شهرزاد وتقبلها على رأسها. هذا ما رأته رَحيل فور خروجها من القاعة، كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها والدة شهرزاد جيسيكا على الحقيقة، بالرغم من أن شهرزاد لم تتكلم عنها كثيراً ولكن زكريًّا كان يبذل كل مجهود ليبقى علاقتها مع والدتها خالية من أي كره وشوائب.

- شهرزاد: رولينا... دي جيسيكا... كلمتها عنك كتير طبعًا.

- رَحيل: هاي... ميس جيسيكا.

- جيسيكا: هاي رولينا... أنا مبسوطة جدًا إني شوفتك... "شيا" بتكلمني عنك كتير جدًا.

- رَحيل: واااو... حضرتك بتعرفي تكلمي عربي.

- جيسيكا: زكريًا علمني عربي مصري كتير.

- شهرزاد تسحب عمر من ذراعه: وده بقى عمر.

جيسيكا تقبل عمر: أهلا عمر... أنا مبسوطة إني شوفتك أخيراً... لازم تسافروا معانا السنة دي على شرم الشيخ أو غردقة.

- عمر: وأنا كمااان جدًا، أنا حبيتك أصلًا يا...

- جيسيكا: ناديني جيسي.

- عمر: اوكى جيسى.. أنا من كتر كلام شهرزاد عن حضرتك حبيتك جدًا وكنت حابب إن اقابلك من زمان.

- شهرزاد: رَحيل... أمال فين آسر!

- رَحيل: راح يقابل حد كده وهيجي على طول!

- جيسيكا متجهة إلى القاعة: طب أنا هدخل أقعد جوا.

- شهرزاد: أوكي جيسي.

- عمر: جيسي شكلها لذيذ أووي.

- شهرزاد: جدًاا بقى.

- رَحيل: بس العربي بتاعها كويس جدًا.

- شهرزاد: البركة في زيزو بقى.

- عمر: طب إيه مش هتجهزي يا شوشو!

- شهرزاد: هو أنا لازم أطلع أكلم... ماهي رَحيل شرحت لوحتَّى كويس، خليها تطلع تكمل بقيت اللوح وأنا مش هضايق والله.

- عمر: أنا مش عارف إزاي إنتِ بترقصي باليه وطلعتي كذا مرة على المسرح، وخايفة إنك تكلمي قدام الناس عن فنك ولوحك!

- شهرزاد: علشان الباليه مباكلمشي في، ولما بسمع الموسيقى أنا مابقاش حاسة بأي حاجة حواليا.

- رَحيل: طب يلا يا شيكا.

- شهرزاد: طب لو لوحي معجبتهومشي؟

- عمر: طب ما تيجي نشوف هتعجبهم ولا لأ... ممكن ما تقليليش من فنك ولوحك، علشان هي فعلًا حلوة.

- شهرزاد: حاضر طيب يلا!

اِنطفأت الأنوار تدريجيًّا لتصبح الإضاءة الوحيدة في المكان هو الضوء المسلط على شهرزاد وهي تقف أمام الجمهور وخلفها لوحتها الأوكورديون: التي سبق وشرحتها رَحيل سابقًا. مرت لحظات ولم تفتح شهرزاد فمها... لحظات مضت ليتدخل عمر حاملًا الأكورديون وبدأ في العزف عليه لتخرج نغمات إضافة بهجة للجمهور وتغير وتيرة صمت شهرزاد، أغمضت شهرزاد عينيها لثواني معدودة وبدأت في التكلم والتحرك وكأنَّها وحيدة في القاعة.

الغموض هو صديق أي شخص مقبل على تجربة شيء جديد، ارتباط، عمل، سفر، في البداية كلنا نستقبله أفضل استقبال، البعض منا يحاول أن يطلب منه

الرحيل، والبعض الآخر يتقبل وجوده أو بمعنى آخر يستسلم له، ويبقى السؤال أيهما أفضل طلب مغاردته أم الاستسلام له؟

بالنسبة للبعض سوف تكون تلك اللوحة إمَّا غامضة أو غير مفهومة أو أنَّها لا يجب أن تكون لوحة من الأساس، ولكن من وجهة نظر شهرزاد كانت تلك أولى خطوات استقبالها للغموض، غموض علاقتها هي وعمر التي كانت دائمًا ما تنتهي بطريق مسدود خالي من أي مساعدة فتجبر أن ترجع مرة أخرى لبداية الطريق فينتهي بها المطاف في طريق آخر مسدود، حتَّى عثرت على نصايح زكريًّا ورَحيل وجيسيكا التي كان مضمونها تغير الطريق والاتجاه إلى طريق آخر مختلف كل الاختلاف عن الطريق السابق.

بالرغم من اختلاف أنواع الأسماك وأشكالها، تبقى المياه هي العامل المشترك وبدونها يموت. هكذا نحن كبشر بدون علاقة في حياتنا. ولكن الفرق الوحيد بيننا وبين السمك أنَّه واضح وصريح فعند خروجه من المياه سيحاول أن يقترب لأقرب بركة مياه مرة أخرى ولكن سرعان ما يموت، أمَّا نحن كبشر نتصنع العيش بدون علاقة خلف ستارة ما، معظمها يكون الخوف فنستمر في الابتعاد عنها بدلًا من نقترب منها، فينتهي بنا المطاف ناكرين أفعالنا وتعليقهم على أفعال الطرف الآخر، فتحافظ على مكانتك كمظلوم ليرتاح فكرك.

رائحة هواء الصباح المنعش المتزين بصوت العصافير المنتشرة على الأشجار في شارع أبو الفدا في الزمالك، ربط عمر حذائه وأكمل ركض مع شهرزاد. بالرغم أن عمر لم يكن ذلك الشاب الرياضي، إلَّا أنَّه كان يرتدي زيه الرياضي كل جمعة في الأسبوع ليركض مع شهرزاد، وكان من إحدى أهدافه في ذلك اليوم الرياضي هو الوصول إلى السوبر ماركت المتواجد في إحدى محطات الوقود ليحتسي كوب القهوة والكثير من المياه عند انتهائهم من الركض.

- عمر محاولًا أن يلتقط أنفاسه: معلشي يعني لوماكنشي فيها إساءة أدب، هو ليه لازم تجري كل جمعة.

- شهرزاد: وهو إنت ليه لازم تيجي معايا كل جمعة.

- عمر: يا بنتي إيه الدبش اللي إنتِ بترمي ده.

- شهرزاد: مانت اللي بتسأل أسئلة غير منطقية... إنت عارف إني لازم أحافظ على نفسى علشان الباليه.

- عمر: أيوه مالو نط الحبل هتبقى لوحدك ومش هتحتاجي حد ينزل معاكِ.

- شهرزاد: الهواء المنعش اللي مش هتعرف تشمه كمان كام ساعة ده، والشمس كل ده أهم من إنك تجري.

- عمر: طب أنا شحرت خلاص مش هنروح البنزينة نغسل وشنا ونشرب أي حاجة.

- شهرزاد: لا ماهو إحنا هنكمل جري للدقي، نفسي بصراحة هفاني على كبدة.

- عمر: إنتِ مجنونة يا شهرزاد... كبدة الساعة 10 الصبح؟!

- شهرزاد: اه عادي يعني إيه المشكلة؟!

- عمر: هو الأكل اللي إنتِ بتأكلي ده بيروح فين!

- شهرزاد: بيروح مطرح ما بيروح إنت مالك يلا بينا على الدقي.

ذلك الإحساس عندما تكون تائهًا في صحراء جرداء خالية من أي حياة فتجد أمامك فجأة بركة مياه فتجري عليها بكل قوتك لترضي عطشك الذي دام لمدة كافية لحرق الكثير من الدهون الداخلية، هكذا كان عمر عند وصوله لمحل العصير، مرت ثواني ولقد أنهى كوبان من عصير القصب وبدأ في شرب عصير بطيخ، وكانت شهرزاد تشرب ببطئ عصير البطيخ الخاص بها.

- شهرزاد: على فكرة اللي إنتِ بتعملو ده غلط.

- عمر يضع كوب البطيخ للساقي: مالكيش إنتِ دعوة، جاين جري من أول شارع الزمالك لحد الدقي.

- شهرزاد وهي تشرب العصير: معلش.

- عمر: دا إحنا لو بنجري من كلب مش هنجري الجري ده كله أقسم بالله.

- شهرزاد: طب يلا بيننا، علشان ناكل كبدة شوية حديد يدخل الجسم كده.

لوحة لفتاة تجلس على الرصيف ليلًا وتبدو على ملامحها الحزن، وخلفها باب خشبي في وسطه العديد من المربعات الزجاجية الشفافة، وفي إحدى زوايا اللوحة، بداية الشارع الذي تجلس به، ويقترب أحدهم حاملًا آلة الأوكورديون وتخرج منه فراشات على شكل علامات الموسيقى.

من حين إلى آخر نحتاج إلى حافز يحرك ما بداخلنا ليجعلنا نتقدم للأمام، بالنسبة لشهرزاد ما حدث في ذلك اليوم كان حافز قوي حيث جعلها تغير إحدى قوانينها نتيجة ظهور عمر في الوقت المناسب دون سابق إنذار ليفاجئها بدخوله عليها حاملا معه الأوكورديون وهي تجلس وحيدة في إحدى الكافيهات تحتسي قهوتها وتتصفح هاتفها الذكي في صمت.

- عمر: هازي بازي يويو يا بطة... يعني كل سنة وإنتِ طيبة.

- شهرزاد والدهشة على ملامحها: هاا... إيه ده... في إيه؟!

- عمر: يا شيخة يخربيت رد فعلك ده اللي مابفهمهوش، هو مش اِنهاردة عيد ميلادك.

- شهرزاد: أيييوه أييوه... وده إيه علاقته بـــ...

- عمر وهو يعزف: هعتبرها تأثير الصدمة... وكان يووووم أسوود لما جيتي ماما وبابا سابو البيت... والشغالة جالها حـــــالة...

- شهرزاد والابتسامة تعلو وجهها: أنا مش مصدقة نفسي... إنت... إنت.

- عمر: أيوه أنا إيه!

- شهرزاد: معرفشي.

- عمر: واضح إن الصدمة كانت قوية.

- شهرزاد وهي مبتسمة: عمر أنا بحبك... بس كده... ومش فارق معايا إنت كمان بتحبني ولا لأ، ولو لأ خلاص قشطة مش مشكلة هنفضل صحاب، بس أعمل حسابك إننا لو بقينا صحاب الأكل لمدة تلت شهور هيبقى على حسابك، ماهو مش أحاسيس مبعترة وكمان أكل قليل.

- عمر يقاطعها: طب ولو مابقيناش صحاب يعني... الأكل بردو هيبقى على حسابي.

- شهرزاد ولمعان عينها مع نظرة حزن: يعني كمان مش هنبقى صحاب.

- عمر يقاطعها: نهـــار أسود ومنيل... شهرزاد أنا كمان بحبك بس ماكنتش فهمك!

- شهرزاد: إنت بتقول كده علشان تهاودني، ولا ده بجد... ولا إنت بتعطف عليا، شيكمني غلبانه وكده.

- عمر: شيكمني وغلبانه طب إزاااي... يا بنتي والله بحبك.

رسمة لم تكتمل خطوطها، معزوفة تداخلات نغماتها، قصة توقف الراوي عن سردها، هكذا كانت شهرزاد قبل أن تصارح عمر بمشاعرها فإذا بها اِكتملت رسمتها على نغمات المعزوفة فأكمل الراوي سرد القصة، قصة اثنين كان الحاجز بينهم فقط الخوف من مواجهة الحقيقة. بالطبع كلنا نخاف من الحقيقة لأنها دائمًا ما تكون عكس تواقعتنا فتكون كمرأة لإحدى الجوانب التي نخشى أن نراها أمامنا، ولكن

(الحقيقة) هي كلمة من إحدى مفاتيح السعادة في حياتنا، بوجودها لن يحدث تضارب أفكار بداخلنا عن بعض الافتراضات التي تعمل فقط على تنشيط خلايا العقل دون أي استفادة فيتم استغلال خلايا العقل في التفكير بدلًا من تحقيق ما يحلو لك لتستمر سعادتك. لم يكن ذلك القرار سهل تنفيذه على شهرزاد، ولكنها دون أي تدبير أو تفكير في رد فعل عمر عبرت له عن مشاعرها وأخرجت كل ما بداخلها دون انتظار أي رد فعل منه يرضيها.

محاولات انتهت بالفشل من جهة عمر لجعل شهرزاد تحرك أحبالها الصوتية والتكلم معه حتَّى وصل الطعام فتحضرت شهرزاد لاستقبال الطعام.

- عمر يأخذ الطبق من أمام شهرزاد: طب مفيش أكل إلا لما تكلمي وتردي عليا.

- شهرزاد بعصبية: أقسم بالله يا عمر لو الطبق مارجعشي مكانه لأخلي السكينة دي تبقى أول مرة تتزفر بدم بني آدمين.

- عمر يرجع الطبق مكانه: ألف هنا يا حبيبتي، مطرح ما يسري يرمي.

- شهرزاد بعصبية: شكرًا... إنت طلبت إيه؟!

- عمر: مالكيش دعوة... (تنظر له شهرزاد بعصبية)... سمك طلبت سمك ورز تاكلي.

- شهرزاد: لا كل إنت بالهنا والشفا يا حبيبي، أنا هاكل الاستيك ده وهحلي لـــوحدي.

- عمر: أنا أصلًا مابحبش الحلويات.

- شهرزاد بعد صمت لدقائق: عمر إنت بجد ماقلتش بحبك علشان صعبت عليك وإنت بجد بتحبني صح!

- عمر: والله يا بنتي أنا من زمان أصلًا بس كنت متردد من رد فعلك.

- شهرزاد: إشمعنه يعني، دا أنا واضحة وضوح الشمس، شيكمني طيبة.

- عمر: أهي شيكمني دي هي اللي مودياكِ في داهية!

- شهرزاد: طب كمل ياخويا كنت متردد ليه!

- عمر: علشان ماكنشي في أي دليل منك واضح، اتعاملت في مواقف كتير معاكِ ومعرفشي أنا موقفي عندك إيه، خصوصًا إنك كنتي دايمًا بترفضي فكرة الارتباط أول لما كنا بنكلم عن الموضوع ده.

- شهرزاد: ماهو أنا كنت بقول كده علشان إنت متحسش إني مرمية عليك ولما صدقت إنك فركشت مع ميرنا زفتة دي.

- عمر: يا سلام، وأنا بقى ساحر علشان أَنجم إنتِ قصدك إيه ومش قصدك إيه.

- شهرزاد: ماهو أنا كنت بقول بردو ساعتها بس لو جيه شخص مناسب وفاهمني كويس أكيد هفتحله الباب.

- عمر: أيوه أفهم إيه بردو.

- شهرزاد: ماهو ده إنت؟ إنت شخص مناسب وبتفهمني كويس جدًا كمان.

- عمر: طيب ماهو رَحيل بتفهمك كويس جدًا.

- شهرزاد: حد قالك عليا إني بسكلته وليا في الجنس الناعم... ما تتعدل كده.

- عمر: قصدي يعني إن إحنا لما كنا بنكلم بيبقى الكلام بينا إحنا التلاتة، وفجأة بتيجي سيرة صحبك اللي معاكِ في الجامعة اسمه أسامة.

- شهرزاد: أيوه ماهو أنا كنت بحاول أخليك تغيير، بس البعيد كان جبلة.

تتعامل بنت حواء مع ابن آدم وكأنَّه جالس بداخل عقلها، فيكون مطلوب منه فهم ما يقال وما سوف يقال وما يدور في فكرها، وأي تقصير في فهم أو توقع

ما سوف تقوله يكون الغلط عليه وإنه ليس شخص مناسب لها فإنه لم يفهم ما قالته، وفي نفس الوقت ترفض أي فعل منه كدلالة على ظهور بعد المشاعر تجاهها.

عزيزتي المرأة، عقل الرجل يختلف اِختلاف كلي عن عقلك، فبكل بساطة عقلك متصل ببعضه البعض، على عكس عقل الرجل الذي يكون منظمًا من الداخل ومقسم إلى عدة أقسام، فعندما تفعلين شيء ما، سوف يستقبله الرجل بما رأه منك وبالأسلوب الذي أخرجني، على سبيل المثال عند قولك له "اخرج مع أصدقائك واستمتع..." فإنه سوف يفعل ذلك، بالرغم من أن المعنى الحقيقي لتلك الجملة "لا تخرج، وإذا فعلتها فلتذهب للجحيم أنت وأصدقائك"... لذلك عند ظهور بعد المشاعر لشخص ما، فلا تحاولي أن ترسلي رسائل مشفرة لها عدة معاني وعدة افتراضات، بالطبع كرامتك تهمك وللحفاظ عليها هي وذلك الرجل يفضل أن تفعلي موقف ما يكون واضح إنك تعاملي ذلك الرجل بأسلوب مختلف عن أي رجل آخر في حياتك، هكذا سوف يتفهم الرجل، وليس عن طريق اختبار قدراته العقلية التي لن تصلح إلا لو كان هذا الرجل أنثى سابقًا.

لوحة ذو خلفية سوداء وعدة نجوم زرقاء ونقط بيضاء منتشرة في وسط سماء تلك اللوحة، وفي منتصفها ساحة بيضاء للتزلج على الجليد يتراقص بها رجل وامرأة, يرتدي الرجل بذلة سوداء اللون، والمرأة ترتدي فستان أبيض وعليه جاكيت بدلة أسود.

يقترب عمر على شهرزاد وهي تضع اللماسات الأخيرة في تلك اللوحة حاملًا في يديه كوبان من القهوة مكتوب على كل منهم أساميهم، وقف للحظات يتأمل تلك اللوحة لما تحتويه من تناسق ألوان ودقة في تفاصيلها.

- عمر: حلوة أوي دي يا شيكوبون.

- شهرزاد: ميرسي، لاتيه بالفانيلا وتلت أكياس سكر.

- عمر: اه زي ما طلبتي والله.

- شهرزاد: وإنت جبت إيه؟!

- عمر: هتفرق معاكِ في إيه!

- شهرزاد: أصل إنت مجرب كل حاجة هنا، فممكن يطلع حلو فاخده منك!

- عمر: فراباتشينو بالكراميل، وشوكلت صوص أب إند داون.

- شهرزاد: بدي أذووق...

- عمر: اتفضلي، مين اللي في الصور دول يا شيكوبون، وإيه كم الحب اللي إنتِ عامله في اللوحة دي.

- شهرزاد: دي واحدة من اللوح المفضلة بالنسبة ليا... دي جيسي، وده زيزو.

- عمر: إيه ده هما اتعرفوا على بعض في ساحة الجليد دي.

ذلك الإحساس الذي يأتيك فجأة دون أي سابق إنذار فيجعلك تتحول إلى شخص آخر عما كنت عليه، تكسر بعض قوانيك الخاصة، تسمح لأحدهم بدخول قلعتك المحصنة، يتوقف عقلك عن التفكير فيكون المسيطر الوحيد هو قلبك لتجد نفسك فيما بعد متعجب لتلك الذكرى في ذهنك، لم يدرِ زكريًّا بأن سلسلة ذكرياته مع جيسيكا سوف تتوقف عند طلاقه منها، فهي الوحيدة التي اخترقت قلعته المحصنة من جميع الاتجاهات. بدأت القصة عند سفر زكريًّا لإتمام إحدى صفقاته للشركة التابع لها في أمريكا، اقترح عليه أحد الأصدقاء بأنه يجب أن يجرب رياضة التزحلق على الجليد فإنَّها دومًا ما تكون ممتعة وتجعلك تشعر وكأنك تحلق في السماء. أعُجب زكريًّا بالفكرة، وذهب إلى إحدى ساحات التزلج في مدينة واشنطن.

في البداية لم يقدر زكريًّا على الوقوف لمدة ثواني على الجليد دون أن يشعر ببرودة الجليد في ظهره، ساعات وظهرت جيسيكا وحيدة في الساحة ارتدت حذائها

وبدأت في التزحلق كمتحرفة ففهم زكريًّا مفهوم صديقه "وكأنك تحلق في السماء"، حاول زكريًّا أن يقلدها ولكن كان يفشل في أول خطوة يخطوها، فإذا بها تقترب عليه لتساعده في الوقوف حتَّى انتهى بهم المطاف يضحكون وهم ملقون على الجليد، ومن هنا بدأت القصة، نظرًا لوجود زكريًّا في واشنطن لأيام معدودة فحاول أن يعرف كل معلومة عن جيسيكا، في البداية كانت مجرد علاقة عابرة وسوف تنتهي عند مغادرة زكريًّا ووصوله القاهرة، وفي إحدى الليالي فوجئ بخطاب وصل إلى بيته من واشنطن، وكان محتواه بأن جيسيكا سوف تصل إلى القاهرة لمدة أسبوع، وفي يوم وصول جيسيكا ذهب زكريًّا إلى المطار ليستقبلها. وبعد مرور أسبوع. وفي لحظة مغادرة جيسيكا من القاهرة وجد نفسه يعترف لها بأنَّه يكن لها مشاعر وأنَّه يريد أن يكمل معها طريقه في الحياة.

تلك اللحظة التي تجد نفسك تخرج كلام دون المرور على العقل الواعي للتأكد إذا كانت هذه الكلمات يجب أن تخرج أم لا، فتجد نفسك فجأة كمسمار في خشبة ما غير مصرح لك بالتحرك فتكون مجبر على استقبال تلك الضربة على رأسك فتجعلك تدخل في قلب تلك الخشبة أو تخرج منها بإصابة طفيفة.

كل ما فعلته جيسيكا إخراج قلم من حقيبتها وورقة عشرة دولار وكتابة رقمها وعنوانها الجديد في واشنطن، وأنها هي الأخرى تبادله نفس الشعور. أسابيع مضت وسافر زكريًّا إلى واشنطن ليفأجئ جيسيكا بوصوله وبدأ مشوار حياتهم معًا. وصل إلى ذلك العنوان المكتوب على ورقة العشرة دولار رن جرس المنزل مرتان، فوجد رجل طويل ذو بشرة بيضاء يفتح الباب، وسط نظرات الدهشة والحزن سئل زكريًّا ذلك الرجل عن جيسيكا تايلور، حضن زكريًّا الرجل عند إنكاره معرفة شخص بذلك الاسم. لم يستسلم زكريًّا وحاول الاتصال بها لينتهي بهم المطاف في تناول وجبة الغداء معًا في ذلك اليوم، لم يكن يتوقع آدم وجيهان أن زكريًّا سوف يتزوج يومًا

ما، إلَّا بعد مرور ثلاث سنوات عن غياب زكريًّا في أمريكا ليجد آدم وجيهان بطاقة دعوة حضور حفل زواج زكريًّا وجيسيكا، الذي استقر في واشنطن وفتح مطعم متوسط الحجم وقدم اِستقالته في القاهرة، وأكملت جيسيكا عملها كسمسارة بيع عقارات.

يقترب شاب على ترابيزة عمر وشهرزاد حاملًا معه صينية بلاستك خضراء مليئة بالأكواب البلاستيكية المتسخة وبعض الأطباق الصغيرة.

- الشاب: الكوباية دي خلاص كده حضرتك.

- شهرزاد: اه خلاص تقدر تاخدها، شكرًا.

- عمر: هاا يا ستي وبعدين إيه اللي حصل!

- شهرزاد: جيسيكا أسلمت أول لما باقت حامل فيا، وبعد أول سنتين ليا في أمريكا، زيزو قرر أنَّه لازم ينزل مصر علشان تيتة تعبانة وبردو كان لازم أتربى ما بين مصر وأمريكا ولأن الفترة دي من أهم فترات التربية في سن الطفولة زيزو كان مُصر إننا لازم ننزل نعيش في القاهرة حتَّى لو تيتة خفت.

- عمر: بصي هو أنا بصراحة مش مقتنع أوي بفكرة أونكل زكريًّا، بس ماشي كملي.

- شهرزاد: مفيش بقى يا سيدي نزلنا كلنا عيشنا في القاهرة، وجيسيكا معرفتش تتأقلم هنا بعد سنة من وجودها.

- عمر: وبعدين هي سافرت؟!

- شهرزاد: سافرت بس بابا وماما معرفوش طبعًا يكملوا وهما مجوزين فقرروا إنهم يطلقوا.

- عمر: طب وإنتِ.. دا إنتِ كنتي لسه 3 سنين!

لوحة منقسمة إلى نصفين أحدهما في الليل والآخر في النهار وفي الوسط توجد بنت صغيرة في فستان أصفر مزين بالورود البيضاء، وفي النصف الأيمن تمسك يديها سيدة كبيرة في السن، والنصف الأيسر يمسك يديها رجل كبير السن.

لم يكن فراق زكريًّا وجيسيكا سهل عليهم، ولكنهم قرروا أن يعيشوا حياة بشكل مختلف، حياة مبنية على الاحترام المتبادل ليس فقط بسبب وجود شهرزاد بينهم، ولكن احترام للسنين الماضية المليئة بالذكريات والأحداث وكم التضحيات. ولذلك تم عقد اِتفاقية ما بين جيسيكا وزكريًّا بأن كل واحد حر في تكملة حياته ولكن شهرزاد سوف تبقى مع زكريًّا وأنَّه مصرح لجيسيكا زيارتها في أي وقت، ولن يسمح لشهرزاد بالسفر إلى أمريكا قبل بلوغها السادسة عشر عامًا. وافقت جيسيكا زكريًّا بعد أن أقنعها بالأسباب الدينية حيث أن مريكا ليست بالمكان الجيد لتربية أطفال مسلمين حفاظًا على ديانتها. وحتَّى هذا الوقت لم يتزوج أحدهما مرة ثانية وأكملوا حياتهم على بقايا ذكرياتهم.

ويبقى سؤال تقبل الغموض أو طرده من علاقتك؟!؛ لتكون الإجابة المختصرة الغير متقبلة للكثير هي المصارحة، فعند إطلاق العنان لصراحتك سوف تجد الإجابة الأمثل لك، إمَّا بالموافقة أو بالرفض، في كلتا الحالات سوف تكون الإجابة في صالح راحتك النفسية.

الفصل الخامس عشر

لوحة ذو خلفية زرقاء تتوسطها العديد من السحب وفي منتصف اللوحة شجرة كبيرة ذو فروع ضخمة، يجلس شاب في منتصف العشرينات على إحدى الفروع حاملًا في يديه كمان بدون أوتار، وفي الزاوية اليسرى من اللوحة تقف عربة صنع حلويات غزل البنات في ألوانها الحمراء والبيضاء.

ساحة كبيرة منقسمة إلى ثلاثة أقسام على اليسار استراحة تحت مظلة خضراء ترفعها أربع عواميد خشبية متزينة بالورود في نهايتها وتنتشر تحت تلك المظلة العديد من الكراسي الخشبية مصفوفة بجانب بعضها البعض, ومطبخ صغير بجانبه شواية يخرج منه جرسونين حاملين صواني فضية مليئة بفناجين القهوة, وفي منتصف تلك الساحة توجد ساحة مستطيلة محاطة بسور خشبي أبيض اللون ذو أرضية رملية مزينة بالحشائش والبعض من الورود لتضع لمسة جمالية على أطرافه, منقسمة إلى أربعة صفوف من الكراسي الخشبية وأربع ترابيزات صغيرة في كل صف, أخيرًا على اليمين سوف تجد الكثير من البيوت الصغيرة ذو باب خشبي متعدد الألوان, بنفس ترتيب ألوان قوس قزح.

يقف جدو إسماعيل وابنه سيد بجانب آدم على مدخل تلك الساحة في المنتصف ليتقبل العزاء من الزائرين, وتقف والدتها جوليت تحت المظلة تستقبل

التعازي من الزائرين. كانت تلك هي المرة الثالثة التى يرى آدم والد كارولين سيد, لم تكن هي المفضلة بالنسبة له ولكن لم يكن لديه اختيارات أخرى.

تلك اللحظة عندما تحاول أن تكتم دمعتك فتلمع عيناك فتمتلئ بالدموع, فتفارق تلك الدمعة بكل حزن جفن عينيك, فتصارع محاولة العودة مرة أخرى ولكن الجاذبية تجبرها على السقوط فتنزل ببطئ على كل نقطة فى وجهك وكأنَّها اللمسة الأخيرة, هكذا كان آدم في عزاء كارولين.

انتظر آدم مغادرة كل الحضور من العزاء ليكون آخر يوم يزور فيه تلك المزرعة. ودع آدم إلى كل ذكرى كانت تجمعه مع كارولين في المزرعة, بداية من عند الشجرة, والحصانة روح, مرورًا بحفلات الرقص والشواء التي كانت تجمعهم مع جدو إسماعيل, وبالتأكيد لن ينسَ عربة غزل البنات. كانت كارولين رمز السعادة والمشاعر في حياته, وكان هو رمز الجدية والعقل فيكف سوف يكمل حياته ونصفه الآخر غير متواجد معه, كانت إجابة سؤاله هو الاحتفاظ بكل ذكرى مع كارولين ودخوله قوقعته الخاصة دون زيارة أحد له, وكانت أولى الأشياء التي قرر أن يحتفظ بها, فستانها الأبيض بعد أن تم غسيله, أخذه من والدتها جوليت, ألقى عليهم السلام هي وسيد وجدو إسماعيل في صمت دون فتح أي أحاديث.

تقف رَحيل حاملة في يديها فستان أبيض مليء بالورود الزهرية، ويجلس أمامها آدم على مكتبه يبكي في صمت يمسح دموعه حتَّى لا تراها رَحيل احترامًا لجيهان، اقتربت رَحيل بعد أن تركت الفستان في علبته السوداء لتمسح دموعه وتقبله على رأسه.

- آدم: بس بقى يا ستي هي دي كارولين.

- رَحيل: يااااه يا بابا كل ده شايله جواك. علشان كده كنت دايمًا بتحب تيجي هنا.

- آدم: أنا عمري ما خنت جيهان، ولا عمري أقدر أخونها، أمك يا رولينا، علمتني بجد معنى كلمة الوفاء، التضحية...

- رَحيل: طب إيه سبب إنك مخلتشي أي حد يدخل هنا صول...

- آدم: علشان صول عمرها ماكانت أوضتي.

- رَحيل: مش فاهمة... يعني إيه؟!

- آدم: يعني يا ستي، غرفة صول دي، أصلا فكرة جي جي، لما بدأت تدخل حياتي وبدأت تعرف كل حاجة عن كارولين وعن حياتي وقد إيه أنا بحب احتفظ بالحاجات، قررت إنَّها هتخليني أعمل زي ما هي بتعمل، أوضة وأحط فيها كل ذكرى في حياتي، حلوة وحشة، أي حاجة... وأصلًا هي اسمها صول كناية عن الروح ترجمتها بالعربي.

- رَحيل: حتَّى جي جي كمان كان عندها أوضة زي دي؟

- آدم: لا لا... دي هي أوضة جي جي... أنا اللي جبت حاجاتي فيها.

- رَحيل: أنا مش فاهمة أي حاجة.

- آدم: دي أوضة جي جي... وأنا اللي جيت عليها دخيل، فاتحولت الأوضة دي من أوضة جي جي إلى القوقعة بتاعتي اللي بحب إني أزورها كل فترة.

- رَحيل: طب وليه دخلتني فيها دلوقتي!

- آدم: علشان دي مش أوضتي، جيهان الوحيدة اللي تقدر تدخل وتخرج أي حد منها، أمال إنتِ فاكرة ليه زكريًّا عمره ما دخل الأوضة دي مع إنه عارف عني كل حاجة. علشان روح جيهان موجودة فيها.

- رَحيل: يا حبيبتي يا ماما.

تتحرك رَحيل, بحذر شديد حفاظًا على عدم وقوع أي شيء وكسره من على

الأرفف، تأملت كل شيء في تلك الغرفة، الغرفة التي كانت ممنوع دخول أي أحد بها أو حتَّى أن يلقى نظرة عليها، هي الآن موجودة بداخلها وكأنها وجدت كنز ظلت تبحث عنه كثيراً كنز لا يقدر بثمن. حاولت أن تفرق ما بين أشياء آدم وأشياء جيهان الخاصة حتَّى وقعت عينيها على إحدى التماثيل المصنوعة من الفخار الموضوعة في إحدى الصناديق الخشبية ولكنها كانت مشوهة أو مكسورة وكأنها لم تكتمل.

غرفة ملئية بالكثير من الأواني الفخارية مختلفة الأحجام والأشكال وعند إحدى زوايا الغرفة يوجد الكثير من الطين الناشف مغطى بقطعة قماش بيضاء اللون. تجلس جيهان أمام ترابيزة خشبية متوسطة الارتفاع فارغة من الأسفل يتوسطها موتور تخرج منه عصا حديدية, تنتهي بأسطوانة دائرية فوق ترابيزة مليئة بالطين الرمادي اللون, ترتدي جيهان السالوبت القماش الرمادي اللون الخاص بها, وتجلس لتصنع فازا جديدة وتضعها بجانب الأشكال الأخرى.

انتهت جيهان من نحت تلك الفازا فخرجت إلى آدم لتسمع رأيه الذي طالما تفضل أن تسمعه بعد أن تنتهي من نحت أي شكل جديد, لتجده جالس في غرفة صول, ويمسك ذلك الفتسان الأبيض في صندوقه الأسود ويبكي.

- آدم: وحشتني يا كارولين جدًا... وحشني جنانك وقد إيه كنتي واخدها ببساطة كده...

- جيهان بعصبية تقاطع كلام آدم: ياخى حرام عليك, انا بجد تعبت... إنت إيه ما بتحسش... 17 سنة متحملة وجود كارولين في حياتي... ذكريات, مشاعر, وكلامك عنها اللي ما بيخلصشي... ماكنوش سنيتن اللى عشتهم مع الهانم, أمال أنا بقى فين السنين اللي عشتها معايا... هـــاا... في إيه معملتوش معك, أنا لو واحدة غيري ماكنتش أصلًا خليتك تحتفظ بأي حاجة ليها عندك أو تحت تكون تحت سريرك...

لكن أنا خليتك تحطها في أهم مكان بالنسبة ليا... المكان الوحيد اللي عمر ما حد دخله غيرك... ودلوقتي ألاقيك ماسك فستناها وبتحنلها... دا أنا جاية علشان...

وقعت تلك الفازا من يديها بعد أن ألقت العديد من الأشكال التي كانت تفضلها في غرفتها صول نتيجة عصبيتها, هلع آدم من مكانه فور سقوط جيهان على الأرض, حملها وانطلق على أقرب مستشفى. دقائق مرت ووصلت يسرا إلى المستشفى صديقة جيهان المقربة.

وسط بكاء آدم في انتظار ظهور الدكتور لا علامة بحالة جيهان وسبب ذلك السقوط, خرج له الدكتور ليطلعه على أفضل خبر سمعه فى حياته "مبروك المدام حامل في الشهر الثاني..."، وقف آدم متجمدًا من تأثير سماعه تلك الجملة, التي انتظرها لمدة 10 سنين. لم يفكر آدم إلا في شيء واحد فقط وهو إطلاع جيهان على ذلك الخبر ولكنه اكتشف بمعرفتها خبر حملها وكانت تحاول أن تخبره عندما وجدته في غرفة صول يتكلم عن كارولين.

لكلٍ منا حساب جاري في بنك حياة شخص ما، فأحذر اِستخدام رصيدك قبل نفاذه وإلغائه.

لم يتوقع آدم رد فعل جيهان وطلبها أن تترك المنزل وتعيش مع يسرا لفترة الحمل كاملة، ولكنه لم يحاول أن يتناقش معها احترامًا لرغبتها وصبرها الذي لم ينفذ يومًا، فحفاظًا على حسابه الجاري في بنك جيهان قرر آدم أن يعيد مليئ رصيده مرة أخرى.

بُعد جيهان عن آدم كان مثل تشقق الأرض الخصبة لقلة وجود المياه, ولذلك محاولات آدم فى اِستعادة تلك المياه لم تتوقف, فظل يدخل غرفة جيهان الخاصة (صول) وجلوسه على الكرسي الأبيض ويتمعن النظر في كل أغراضها فيذهب بتلك

الذاكرة إلى جلستهم معًا فيتذكر تفاصيل حديثهم, فتتماسك الأرض مرة أخرى شيء فشيء.

يقف آدم من على مكتبه ويتحرك في إحدى زوايا غرفة صول ليخرج صندوق وردي اللون مرسوم عليه وجه مبتسم ومكتوب بأسفله (بنوتة), أعطاه آدم إلى رَحيل, لتفتحه وتجد بداخله ملابس أطفال.

- رَحيل: إيه ده يا بابا... بتاعت مين الهدوم دي!

- آدم: بتاعتك.

- رَحيل: أيوه بس ليه في أزرق وبينك!

- آدم: ماهو ساعتها ماكنتش عارف جيهان حامل في بنت ولا ولد, ماهي دي كانت الفترة اللي كانت غضبانة مني, ولما كنت بسألها عن حالتها كانت يدوبك بتقولى إنها كويسة وبس كده... اليوم بقى اللي يسرا كلمتني وقالتلي إن جي جي في المستشفى, جريت وأخدت معايا اللبس ده, قولت لو ولد هنلبسه الأزرق, ولو بنت هنلبسها البينك... وساعتها بقى جي جي رسمت الوش ده وكتبت تحتيه بنوته.

- رَحيل: تمام وبعدين.

صوت بكاء طفل حديث الولادة, جعل آدم يقفز من مكانه حاملًا معه صندوق صغير الحجم, ودموع الفرحة والابتسامة لم تفارقه حتَّى رأى جيهان تحضن المولد ظاهرًا منه وجهه فقط وسط لفته في ملاءة وردية, اقترب عليها وبهدوء قَبلها على رأسها هي والمولود, أخرج الملابس من داخل الصندوق فارتسمت على وجهها ضحكة.

- آدم: أنا آسف يا أغلى حاجة في حياتي... متزعليش مني...!, أنا جبت أزرق

وبينك, ماكنتش أعرف البيبى ولد ولا بنت!

- جيهان: وحشتني!

- آدم: وإنتِ كمان... على فكرة حاولت أنا مطلعتش من صول, وكنت عمال بفتكر كل ذكرى فيها, وماكنتش بفكر حتَّى في جزء كارولين... وحياتك عندي.

- جيهان تضحك: من غير تحلف مصدقاك... المهم هنسميها إيه البنوتة دي.

- آدم: رَحيل...!

- جيهان: رَحيل؟... اِشمعنا!

- آدم: رَحيل آدم... علشان تبقى سبب رَحيل آدم القديم, ويتبقى بس آدم بتاع جيهان... وتبقى دايمًا قدامي تفكرني برَحيل أي حاجة ضايقتك لأنها أكيد هتبقى زيك في روحها...!

- جيهان: بحبك...

- آدم: وأنا كمان بحبك!

- جيهان: موافقة.

كانت رَحيل كالصحفي الذي يحاول أن يتحرى عن كل شيء وكل حدث بكل تفاصيله فلم تتوقف عن التساؤل عن جميع الأشياء المتواجدة في تلك الغرفة التي تمنت كثيرًا أن تشم رائحتها من سنين مضت وتعرف سر تلك الغرفة الممنوعة من دخولها.

كانت خطوة دخول رَحيل إلى غرفة صول مثل أولى خطوة خطتها في طفولتها, فعند خروجها تعرفت على وجهة نظر أخرى للحياة, نوع جديد ومختلف من حب, قدرة تحمل وصبر لَمْ ترَ مثلها في جيهان, وأنانية آدم وحبه المختلف لكل من كارولين وجيهان. وكانت نتيجة تحرى الصحفية رَحيل هي تغيير فكرة المعرض السابقة التي كانت بذهنها.

في طريق خروجهم من الغرفة أخذت رَحيل ورقة وقلم من على مكتب آدم لتذهب وتجلس بجانب رقعة الشطرنج التي كانت أهم مباراة شطرنج بين رَحيل وآدم, فبدأت في رسم الكثير من الأشكال لم يفهمها آدم, فاتجه بدوره إلى المطبخ لتحضير العشاء.

- آدم: نحمر بطاطس, ولا مش هينفع قبل الفجر...!

- رَحيل: فجر... هو إحنا بقينا الفجر فعلًا...!

- آدم: ماهو انتى اللى اسئلتك كتير..

- رَحيل: هو أنا ممكن أخش صول تاني لوحدي!

- آدم: اه طبعًا... بس اِشمعنة.

- رَحيل: علشان أنا نويت إني أغير فكرة المعرض, وهيبقى علينا!

- آدم: علينا دي عايدة على مين!

- رَحيل: أنا وشهرزاد وعمر وكل واحد يحكي قصة عن ذكرياته.

- آدم: طب وآسر؟!

- رَحيل: ماله آسر...!

آدم: مش هتكلمي من ساعة آخر مرة اتقابلتوا.

- رَحيل: مانا عملت زي ماما وعملتلوا هدية ساعة محفور عليها اسمه زي ما حكتلي هي زمان.

- آدم: وبعدين.

- رَحيل: وبعدين سبتله ورقة جوا الهدية بعتذرله فيها وبفهمه رَحيل من زاوية تانية... بس واضح إنه مفتحشي الهدية لحد دلوقتي.

- آدم: أو ممكن يكون فتحها بس مش متقبل اِعتذارك ونفسه يسمع الكلام

ده منك!

- رَحيل: أووووف بقى... هتعملنا عشاء إيه طيب, أنا جعانة.

- آدم: متغيريش الموضوع... ابعتله رسالة أو تكلمي دلوقتي لو صاحي, وتطلبي منه تتقابلوا بكرة علشان تتناقشه في موضوعكو... آسر ولد كويس وابن ناس... وبلاش الصراصير اللي جواكِ تخليكِ تندمي.

- رَحيل: دومة إنت عارف إن بكره كلمة صراصير في دماغى دي, أنا ماعنديش صراصير... ومش بغير الموضوع إنت متخيل إننا مكلناش حاجة من الساعة 8 بليل... جعاااانة بجد.

- آدم: مانا بعمل العشاء أهوو... روحي يلا ابعتي رسالة لآسر!!

لوحة ذو خلفية ليوم مشرق سمائه صافية, ورصيف على الجانب الأيسر من اللوحة يجلس عليه رجل كبير في السن ذو شعر أبيض اللون على كرسي وأمامه شاب ذو شعر أسود جالسين أمام بعضهم البعض يحتسون القهوة، وتوجد بينهم ترابيزة سوداء بسيطة في تفاصيلها.

لم تعلم رَحيل وقتها بأن آسر قد أبرم أتفاقية مع آدم بأنَّه يريد معرفة رَحيل من زاوية أخرى. بالرغم من عدم توقع آدم تلك الحركة الجريئة من آسر, قرر أن يساعده احترامًا وتقديرًا لجرأته. فكان الاتفاق بأنَّه يجب أن يقنع رَحيل بأن تتكلم مع آسر لمناقشة مغامرتهم القادمة التي انتهت فيما بعد بالخطوبة.

توقفت رَحيل عن العزف وتحركت لمنتصف المسرح عند دخول عمر وشهرزاد حاملين تلك اللوحة الكبيرة بكل حذر, وضعوها على الحامل الكبير, فتم إضاءة النصف الأول من القاعة لتظهر تفاصيل اللوحة كاملة.

لوحة منقسمة إلى قسمين ذو خلفيتين, على الجهة اليمنى نصف وجه لرجل مبتسم اِختلفت درجة لون جلده كدلالة على كبر سنه ووجود بعد التجاعيد عند

جبينه, ذو خلفية مليئة بالألوان المتداخلة في بعدها البعض, وفي النصف الأيسر نصف شجرة تُكمل نصف وجه الرجل, ويوجد على الشجرة بنتان الأولى جالسة على إحدى فروع الشجرة تعزف على آلة الكمان, والأخرى تقف على إحدى فروع الشجرة تنحت في ساقها, وفي الخلفية رموز منتشرة على أوراق الشجر المتطايرة مثل (نغمات موسيقية, سيارة قديمة, ساعة, رقعة الشطرنج, سمكة...) لخلفية سماء صافية دون أي غيوم, وفي أسفل الشجرة تقف بنت صغيرة تسقى تلك الشجرة وخلفها حصان يقف على رجلين ورافع الآخرتين في شموخ وعزة.

- رَحيل: وهي دي لوحة "رَحيل آدم" رسمتها الفنانة الراحلة جيهان مختار, والدتي... فكرة اللوحة بكل بساطة إنها بتلخص حياة اتنين عاشو مع بعض مغامرة مختلفة عن أي مغامرة ممكن أي حد يكون عاشها قبل كده.

- شهرزاد تُكمل: وهي دي كانت فكرة معرضنا... ذكريات اتحولت لقصة غيرت وجهة نظر جواك.

- عمر يُكمل: أو يمكن لأ, المهم إنك لازم تواجه ذكريات, وترتب أولاوياتك, أفكارك مش بالضرورة لازم تكون بترسم أو فنان علشان تطلع اللي جواك.

- رَحيل تُكمل: اِخلق لنفسك غرفة صول وزينها براحتك... شاركها مع أقرب الناس ليك اِرسمها في خيالك في أحلامك المهم إنك تكون فنان نفسك... وهي دي فكرة معرضنا "رَحيل آدم" قصة ذكريات... وطبعًا أحب أشكر والدي آدم اللي موجود معنا اِنهارده.

- شهرزاد: وزيكوو... وجيسيكا... بردو كانو موجودين.

- عمر: وأنا أحب أشكر عيلتي اللي أكيد موجودة في مكان تاني أحسن, وأشكركم جميعًا إنكم شاركتونا ذكرياتنا اللي أتمنى إنها تغير وجهة نظر.

- رَحيل: شكرًا... كنتم مع الثلاثي المشاكس, ونتقابل في ذكرى جديدة قريبًا.

انبهر الحضور بما قدمه الثلاثي المشاكس من لوح وطريقة سرد الأحداث المليئة بالذكريات, فوقف الجميع يصفق, البعض لمعت عيناه المليئة بالدموع, والبعض الآخر أخرج هاتفه ليكلم شخص ما, وآخرون ذهبوا إلى لوحة ما وأخذ صورة معها, وانطلق الثلاثي المشاكس خارج تلك القاعة والدموع تملئ ملابسهم بفعل احتضان بعضهم البعض وخصوصًا بعد معرفتهم بأنَّهم سوف يعرضون في ألمانيا؛ نظرًا لأن آسر قد أبرم اتفاقية مع إحدى زملائه في العمل بعرض ذلك المعرض في ألمانيا للجالية العربية كنوع من تشجيع الثقافة.

وفي النهاية سنبقى جميعًا ذكريات في غرف آخرون...!

*** النـــهـــايـــة ***

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007